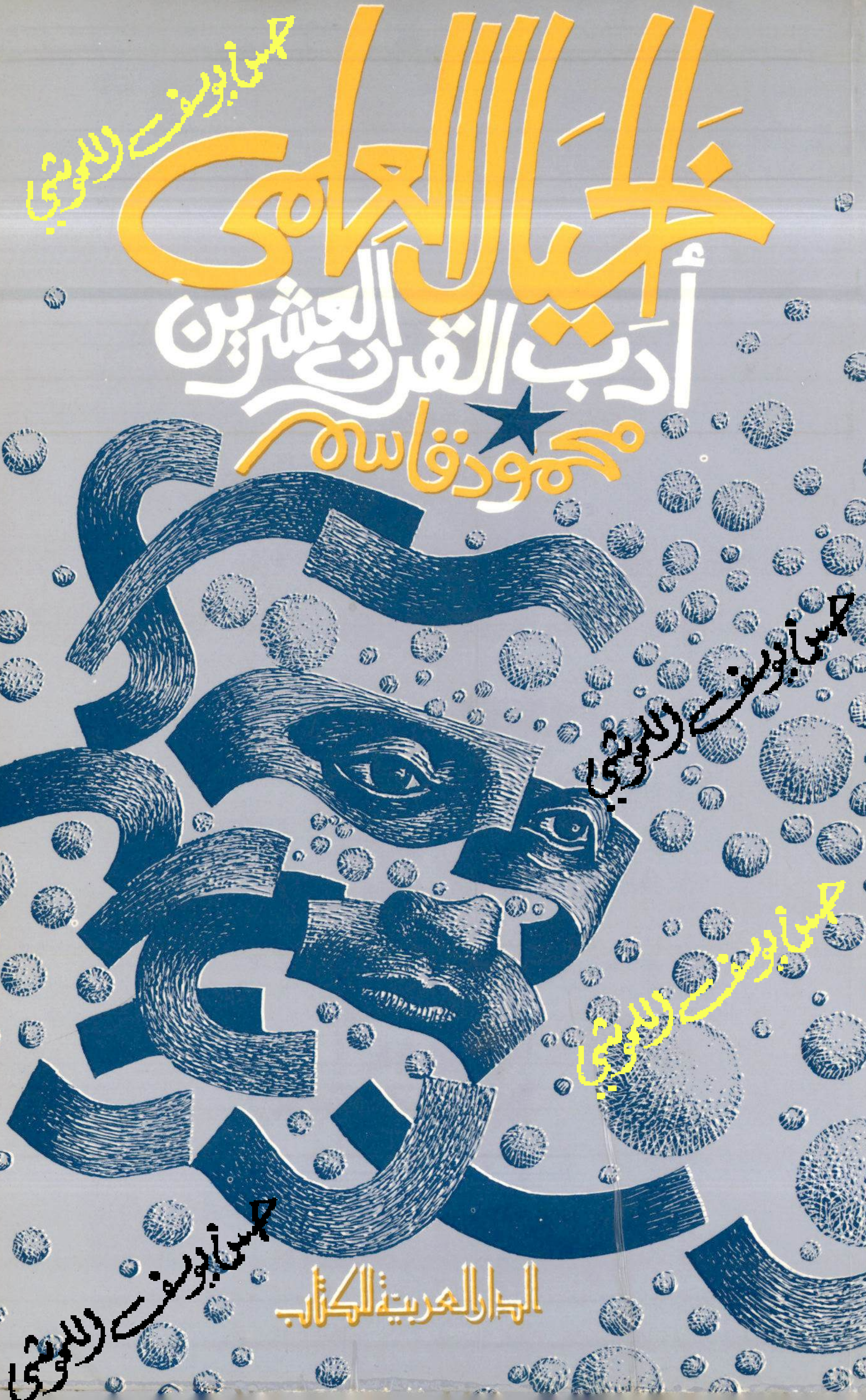


الخيال العلمي
أدب القرن العشرين
محمود قاسم
الدار العربية للكتاب



الخيال العلمي

أدب القرن العشرين

محمود قاسم

الدار العربية للكتاب

ISBN 9973 - 10 - 125 - 1

الخيال العلمي

أدب القرن العشرين



مقدمة

رغم أن أدب الخيال العلمى هو أحد أبرز الأنواع الأدبية فى القرن العشرين ، ورغم أنه غزا مجالات عديدة من الآداب والفنون كالرواية والأقصوصة والقصيدة والفن التشكيلى والمسرح والسينما والقصص المرسومة BANDE DESSINEEفإنّ هذا النوع من الأدب ، لايزال غريبا على القارئ العربى ، سواء القارىء أم المؤلف.

والخيال العلمى هو بالفعل أدب القرن العشرين . فهو قد نشأ فيه وترعرع . وأصبح ابنه المدلل ، يعبر عن حاضره ومستقبله ، عن مشاكل الواقع وآمال المستقبل أو المخاوف منه . يتأمل فى الغد بنفس المقياس الذى يمكنه فيه غزو الماضى . وأصبح رجال القرن العشرين هم بالضرورة أبطال الخيال العلمى ورجاله .. سواء القادمون من مختبرات المعامل أم الأدباء الذين حلموا فيما قبل بالنجوم فأصبحوا الآن يدوسون فوقها ويكتبون عن مغامرات أبطالهم فيها من أجل غزوها واحتلالها وانمائها وزراعتها واقامة الحياة فيها .. ربما ليتأملوا يوما الأرض من هناك ويحلموا بها مثل العديد من أبطال الروايات العلمية الذين سافروا سنوات طويلة بعيدا عن الحبل السرى للأم .. الأرض ..

ومع كل مايتمتع به أدب النوع فى العالم الغربى فإنه لايزال غريبا فى عالمنا العربى – كما أشرنا – خاصة فيما يتعلق بالإبداع .. فالقارئ العربى ينظر إليه فى أغلب الأحوال على أنه شطحات غير قابلة للتحقيق . وأنه يكفيه واقعه الذى يعيش فيه ، ويميل إلى أن يجد الكاتب الذى يعبر بأصالة عن هذا الواقع . وليس الذى يبتعد عنه . رغم أن العديد من الروايات العلمية أكثر واقعية من الأدب الواقعى ذاته ..

ونحن لايمكن أن نُحمل القصور فى حركة ترجمة هذا النوع مسئولية عدم ذيوع أدب الخيال العلمى فى منطقتنا بما يتلاءم مع أهميته فى القرن العشرين .. حتى وإنْ كان الكثير من هذا الأدب قد مسه سوء السمعة بمزجه بأنواع أخرى كرواية التجسس والرواية البوليسية جعلته أدبا هامشيا فى إحدى مراحله ، لكنه مالبث أن نفض عن كاهله هذه السمعة وأصبح أبرز الأنواع فى السنوات الأخيرة كما سنرى فى ثنايا هذا الكتاب .

وبالنظر إلى قائمة الروايات التى تمت ترجمتها إلى اللغة العربية من أدب النوع سوف نجد أن الحصيلة كانت فى غير صالحه بالمرة .. ولا تتناسب مع هذا العطاء المتدفق الفياض

الذى قدمه أدباء النوع فى الشرق والغرب .. وأن الروايات القليلة التى تمت ترجمتها كانت أغلبها من ذلك النوع الذى اكسب هذا الأدب هامشية وأساء إليه أكثر مما أضاف له .. فهو أقرب إلى مغامرات تدور أحداثها فى المستقبل .. أو فى الفضاء الخارجى ..

ولهذا فإن البعض يتصور أن الخيال العلمى ليس سوى أسماء معينة عرفها القارئ العربى مثل **جول فيرن** ، **وهـ . ج ويلز**، وهما أسعد الأدباء حظا فى العالم العربى . لكن الخيال العلمى الآن قد تجاوز هذين الكاتبين بمراحل طويلة – كما سنرى – وأصبح يسير بسرعة صواريخ الغد ، لدرجة يمكن إنّ نقول أن أدب كل من فيرن وويلز مكانه الآن متحف الخيال العلمى قياسا إلى ما تم انجازه فى سنوات القرن العشرين فى كافة أنحاء البسيطة وليس فى بلد دون آخر.

وسوف نرى – للأسف – أن أغلب المحاولات التى قدمها الكاتب العربى المعاصر فى أدب النوع كانت ظلا لنفس التيمات التى أبدعها **ويلز وفيرن** ، وأنه حتى المثقف العربى غالبا لم يبتعد كثيرا عن المعرفة بالابداعات الكلاسيكية من أدباء النوع .. ومن يطالع ما يكتب فى الصفحات الأدبية عن أدب النوع ، فسوف يلاحظ للوهلة الأولى أن المثقف العربى – نفسه – لايكن احتراما لأدب النوع ، وأنه يتكلم عنه بازدراء واضح . وأنه لايقرأه غالبا . وذلك من خلال الأحاديث الصحفية المنشورة يوميا فى الصحف .. أما الدراسات المكتوبة فأغلبها يقف عند الكلاسيكيين من أدباء الخيال العلمى .

والغريب .. ونحن فى العقد العاشر من القرن العشرين .. فإن المكتبة العربية لم تضم حتى الآن كتابا واحدا حول أدب النوع . وأن الكتاب الوحيد الذى صدر حول هذا الموضوع كان عبارة عن تجميع لمقالات متناثرة مترجمة منشورة فى مجلة " **الثقافة الأجنبية** " ببغداد .

لذا فإنّ هذا الكتاب هو الأول من نوعه فى المكتبة العربية عن أدب الخيال العلمى . يدرس نشأة النوع والتعريف به . والمدارس الأدبية المختلفة التى ارتبطت به . وأبرز أدباء مراحله الثلاث .. وأيضا تخصيص فصول منفصلة عن أنواع أدبية انبثقت عنه .. فبعد أن أصبح الخيال العلمى أدبا يافعا مليئا بالعطاء .. والفحولة المتدفقة . انبثقت عنه أنواع جديدة من أبرزها أدب الخيال السياسى . وأدب الفنتازيا العلمية . وأدب الظواهر الخفية .

والمتتبع لما يصدر من كتب ودراسات عالمية عن أدب النوع ، سوف يلاحظ أن الباحثين يتعاملون مع القارئ كأنه بالسليقة قارىء لأغلب ما يصدر عن الخيال

العلمى .. ولكن هذا الأمر يختلف عند القارئ العربى .. لذا آثرنا أن يكون هذا الكتاب بمثابة مدخل وتعريف للنوع . وتقديم وتحليل لابرز الظواهر والمؤلفات . وذلك حتى لا يجىء غريبا للقارئ فيعزف عنه ويتعامل معه بتغريب شديد ، مثلما يفعل أغلب القرّاء فى المنطقة العربية مع هذا النوع .. ما يؤكد أهمية كتاب مؤلف حول أدب النوع أكثر من كتاب مترجم ملىء بالأسماء الغريبة على مسامع القارئ .

لذا فاننا نعتقد أن هذا الكتاب هو المناسب فى شكله الحالى للقارئ العربى فى هذه المرحلة .. إلى أن يصبح أدب الخيال العلمى بعطائه المتدفق نوعا مألوفا فى المنطقة العربية ، وآنذاك يمكن ترجمة العشرات من الأبحاث التى تتعامل مع القارئ لهذه النوعية .. أو أن يصدر الباحثون كتبا عربية تنتمى إلى هذا النوع ..

ولا يخفى على القارىء أن هذا الكتاب هو حصيلة القراءة والرجوع إلى المئات من الروايات والدراسات والأفلام السينمائية والمقالات المتناثرة عن أدب النوع بلغات عديدة سوف يلاحظها القارىء فى المراجع .

ولا يمكن لباحث أن يستطيع توفير مثل هذه المراجع لولا مساعدة من الأصدقاء المهتمين بهذا النوع .. الذين يشتركون فى حب الخيال العلمى .. فيعملوا على احضار المؤلفات الخاصة به – أو عنه – من الخارج . أو يشتركون فى العديد من الدوريات الصادرة فى أدب النوع . والذين هم أعضاء فى جمعية أدب الخيال العلمى العالمية .. والغريب أن بعض هؤلاء لا يمارسون الكتابة ولكنهم قراء شديدو الفهم ليس فى أدب النوع وحده .. ولكن فيما يتعلق بالثقافة المعاصرة كلها . وقد استطاع بعضهم أن يوفر لى من المراجع أندرها وأهمها .. أدقها وأحدثها .. لذا فانه لا يسع الباحث وقد انتهى من هذا الجهد المضنى طوال عدة أعوام أن يتقدم لهم بالشكر والعرفان فى سطور قليلة ..

أخيرا .. فاننا نتمنى أن يكون هذا البحث قد جاء بما يتفق مع ذوق واهتمام القارئ العربى .. الذى يتطلع إلى المستقبل بعيون مشرقة .. ويستعد لدخول القرن الحادى والعشرين مسلحا بعلمه وعطائه ومشاركته فى صناعة هذا الغد فى جميع مجالات الحياة آملين من الله أن تعود حركته إلى عصرها الذهبى .. ونقرأ لهؤلاء الأدباء وغيرهم .. بعد أن كنا نقرأ عنهم .

الفصـل الأول

أدب الخيال العلمى

تعريف .. وتاريخ

أدب الخيال العلمى .. أدب هامشى :

تلك هى النظرة السائدة التى كانت معروفة عن أدب الخيال العلمى SCIENCE FICTION فى السنوات الأولى لظهوره . وظلت تلاحقه إلى سنوات قريبة . والغريب أن الكثير من المهتمين بالآداب الجادة لايزالون ينظرون إليه بنفس المنظور. لكن المتتبع لاتجاهات أدب الخيال العلمى فى السنوات الأخيرة سوف يجد أن هذا النوع من الأدب قد أخذ صورته الجادة وأصبح هذا الأدب هو أبرز أنواع الأدب فى القرن العشرين . خاصة بعد أن انحسرت المذاهب الأدبية المتعددة التى طفت يوما ما على السطح ، واعتبرت تقاليع مثل الملابس والأغنيات ، لذا فقد خرج أدب النوع من قوقعته الواسعة التى حبس نفسه فيها لسنوات طويلة وبدأ يبحث لنفسه عن هوية محددة وطريق محدد الملامح .

الخيال العلمى هو أدب عصرنا . ربما اليوم أكثر من أى يوم مضى . فهو ينطلق نحو الأمام مخترقا طريقه بدون أو بهؤلاء الذين ينظرون إليه من أعلى ويسخرون من معالمه وكتابه ويتصورون عمره القصير. لذا فان أدب النوع ، بعد أن استقرت أحواله واكتملت صورته الجادة ، لايهمه أن يتبعه من يتمكن أو لايتبعه أحد . فقد استطاع أن يشكل هويته ، ويجتذب إليه مريدين جدد ، متعصبين له متحمسين لرسالته . لن يتخلفوا أبدا عنه ، ولن يتنازلوا عن مناصرته قط ، وسوف يحتفظون به مادام قد فجر كتاب الخيال العلمى قرائحهم بلا حدود دون أن توقفهم قيود السوق أو التجارة .

لقد استطاع أدب النوع أن يتحرر من ذلك الإطار الضيق الذى التصق به سنوات طويلة . خاصة منذ منتصف القرن الماضى حتى ثلاثينيات القرن العشرين . وبدأ يستولى على كل أشكال الأدب ، واستطاع أن يفرض نفسه على كل هذه الصياغات والأشكال باعتباره أدباً تجريبيا وليس هامشيا .

لكن . لماذا الخيال العلمى بالذات؟

هل هناك أسباب سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية دفعت إلى انتشار مثل هذا الأدب – خاصة فى السنوات الأخيرة – كى ينتشر هذا الانتشار الكبير؟ بالطبع هناك أسباب عميقة دفعت إلى ذلك لدرجة أنه انبثق عن النوع الأم المسمى بأدب الخيال العلمى آداب أخرى مثل أدب الخيال السياسى ، وأدب الفنتازيا العلمية . وأدب الظواهر

الخفية. واستطاع هذا الأدب أن يتغلغل إلى شتى مجالات الحياة الاجتماعية فى انسان القرن العشرين، وسيشتد أكثر فى عشرات القرون القادمة، وسوف يمثل آنذاك - مثلما هو يمثل الآن - الماضى والحاضر والمستقبل.

الأسباب التى كانت وراء انتشار هذا الأدب كثيرة. منها أسباب حضارية واجتماعية وأسباب تتعلق بالتطور الذى يشهده البشر والكائنات والعلوم. ولأن الكاتب هو عين كل هذه الأسباب وغيرها، فقد كرس قلمه لتجسيد حلمه وإبداعه وخيالاته لصناعة طوبوية الخاصة والعامة. حتى تلك الآداب المليئة بالواقعية والطبيعية بها الكثير من خيالات الفنان. وقد جاب الأديب داخل حاضره وواقعه أبان كل العصور؛ فمزج قريحته بكل سمات العصور التى عاشها، فعبر عن حركة المجتمع فى سلامه وحربه، فى كراهيته وحبه، منذ أوديسا وإلياذة هوميروس، مرورا بحكايات الشطار والقصور وليالى شهرزاد وعصور الفرسان. وعندما جاء عصر العلم تحول الفارس الذى يمتطى جيادا إلى طيار يقود طائرته الصاروخية السرعة، أو ملاحا يحارب من أجل امتلاك المجرات، أو من أجل الدفاع عن الأميرة ليا لاستعادة عرشها المفقود.

وإذا كنا قد قرأنا الماضى فى كتب التاريخ، وفى الآداب التى سطرها أدباء العصور المختلفة، وإذا كان التاريخ شاهداً بآثاره الباقية التى تحطم الكثير منها، ولم يبق سوى القلة من هياكلها، فإن الحاضر الذى نعيشه يلاحقنا فى حياتنا اليومية، وفى وسائل الإعلام المنتشرة حولنا فى كل مكان، لذا فإن أدباء الخيال العلمى هم الذين يتأملون ويصوغون المستقبل الذى لن يعيشه أحد منا، خاصة المستقبل البعيد. ولأن المستقبل أهم من الماضى، ولأننا نطمح إلى الحياة فى هذا الغد أكثر من رغبتنا فى العودة إلى البارحة، فإنّ القارئ والكاتب يلتقيان معا فوق بساط منسوج من خيالات متجادلة ستكون فيه العلوم والتقنيات أكثر تقدما مئات المرات مما نعهده الآن. فالتطور العلمى ليس ظاهرة محلية فى بقعة بذاتها من العالم، ولا على زمن دون آخر. وإنسان العصر يجد نفسه فى سباق مع نتائج العلوم التى يقدمها العلماء والباحثون. وأصبح من الصعب حتى مجرد تلقى كل هذا الكم الهائل من التقنيات التى تصدرها المعامل يوميا للاستهلاك الآدمى. وقبل أن يستوعب الانسان جهازا جديدا أو تقنيات حديثة يفاجىء باختراع جديد يجبُّ سابقه. لذا يشعر أن عليه أن يسبق فيصنع من خياله وعاءً للتخيل. وقد جاء على العلم وقت أصبحت المسافة قصيرة بين التخيل والانجاز وصار هذا الخيال عاجزا عن تقديم الجديد، لذا راح البعض إلى الشطحات الأكثر اتساعا، ومن هنا جاءت آداب

أخرى منبثقة عن النوع الأم. ورغم أن الفنتازيا والأسطورة قد سبقتا الخيال العلمى فإنّ الكتاب المعاصرين قاموا بفصل كل منها فى واديه. وقام البعض الآخر بصنع مزيج بين الميثولوجيا الإنسانية القديمة والحديثة فصاغوها فيما يمكن تسميته بميثولوجيا العلم، أو فنتازيا الخيال العلمى؛ إلى درجة أصبح من الصعب الفصل بين هذه الأنواع وما ينبثق عنها. ومن هنا تأتى حساسية الكتابة فى هذا الموضوع.

يقول رولان لاكورب: كان الخيال العلمى دائما نوعا ملعونا. ظل منذ نشأته محبوسا داخل «جيتو» من التجاهل والاحتقار، الأمر الذى قد يوحى بأنه أسلوب فكر يهدف إلى تغيير العادات والتقاليد بشكل راديكالى. وهو بالنسبة للجمهور مجرد «نوع» تابع. والبديل للقصة الشعبية الحديثة. والمخصص لبعض المتحمسين الذين لا يفكرون كالآخرين لأنهم إماً أكثر سذاجة أو أكثر ادعاء [1].

لكن ما هى الأسباب التى أدت إلى وجود مثل هذا الحاجز النفسى؟

يرجع ذلك إلى أن الخيال العلمى فى مجموعه - مثل أى مجال لا تزال المعرفة به قليلة - قد أرجعه غير العالمين بأسراره إلى ما هو أكثر تمثيلا له فى نظرهم. ابتكارات خارقة. حرب العوالم. جول فيرن أو هـ. ج. ويلز. وليس هذا على وجه الإطلاق هو الخيال العلمى المعاصر الحقيقى. انه فى الواقع أبعد ما يكون عن حقيقة النوع. وذلك بنفس الدرجة التى يبتعد بها جول فيرن عن كاتب مثل الفونس دوديه.

وقد يتعلق الأمر فى المقام الأول بحركة فكرية مدهشة ليس لها مثيل. فى هذا المجال استولى العلم فعلا على السلطة. وللمرة الأولى غادر العلماء معاملهم كى يصبحوا روائيين وأمسك علماء الاجتماع، ورياضيون وعلماء فلك وكيميائيون وعلماء تاريخ طبيعى وفيزيائيون بل حتى علماء لاهوت، بالقلم كى يبسطوا بشكل أكثر جاذبية وإبهاجا أفكارا تقفز من النص مباشرة [2].

وربما ترجع أسباب عدم الاهتمام بالخيال العلمى على أنه أدب إلى أن الكثيرين كانوا قبل ينظرون إليه على أنه قصص ذات طابع صبيانى ساذج، وأن شخصياته غير مرسومة وغير مدروسة وأقل نضجا، وأن الكاتب انما يكتبها ساعيا إلى تحقيق إثارة القارىء، وجذب خياله إلى ابعد حد ممكن. وكان بعض القراء ينظرون إليه مثل نظرتهم

---

(1) Roland La Corbe, le cinéma de Science , fiction, écran, Juillet 1977, p.23

(٢) المرجع السابق.

إلى الأدب البوليسى ، ويعاملون كتابه بنفس النظرة التى ينظرون بها إلى أدب الروايات البوليسية المعروفة تحت اسم POLARS والمنشور فى سلسلة الكتب السوداء SERIE NOIRE

والخيال العلمى هو بلا جدال أدب القرن العشرين والابن الشرعى له . لكن هل هو وليد القرن التاسع عشر فقط ؟ هل هو جول فيرن وهـ . ج . ويلز؟ .

يقول الدكتور هيجنز إن « مجال القصة العلمية واسع سعة هذا الكون الرحيب » .

« وقد بدأ الظن أن كوكبنا الأرضى له نظائر أخرى فى الكون فى مرحلة مبكرة من تاريخ حضارتنا ، فكان القمر أول نظير يرجح العلماء أنه شبيه بالأرض . كما كانت فكرة وجود أجرام سماوية تكون مع شموس أخرى ، عوالم مشابهة لعالمنا موضوع تساؤل كثير من الفلاسفة القدماء . وقد كانت هذه الفكرة موضوع نقاش فى العصور الوسطى رغم الاقتناع بصحة نظرية بطليموس ، وظلت تؤكد على ذلك حتى جاء الرد القاطع عندما تمكن جاليليو فى عام ١٦١٠ من التطلع نحو القمر بدقة وتمكن من اختراع المنظار المكبر . وكان أن اكتشف خطأ الظن بأن هذا الجسم السماوى جسم بللورى وأكّد أن سطح القمر وعر شديد أشبه بسطح الأرض ، فكان هذا أول اثبات تجريبى لفكرة وجود كوكب شبيه بكوكبنا » [٣] .

وإذا أردنا أن نبحث عن تاريخ الخيال العلمى فلابد أن نرى مفهومه التقليدى ثم نعود للحديث عن المفاهيم الحديثة لهذا النوع من الأدب . فالقصة العلمية عند البعض هى فى « الحقيقة قصة خيال تبحث عن المجهول بعبارات علمية مفهومة ، مستعملة الاختراعات الخيالية ، والاكتشافات فى أمكنة تشمل داخل الأرض والكواكب الأخرى وحتى الذرة . أما الزمان فغالباً مايكون فى المستقبل البعيد أو فى الماضى القريب التاريخ وفى أبعاد جديدة . فنى بعض الأحيان تشبه القصة العلمية القصة الخيالية الطوباوية » [٤] .

وفى حدود هذا المفهوم البسيط البدائى لتعريف النوع يمكن أن نرى أن الكاتب

---

(٣) و. م. رس ، الحكاية الشعبية وقصة الخيال العلمى . ترجمة كاظم سعد الدين ، الثقافة الأجنبية . ربيع ١٩٨٣ . ص٨٣ .

(٤) روبرت شولز، جذور القصة العلمية . ترجمة د. عبدالرحمن محمد رضا . الثقافة الأجنبية . ربيع ١٩٨٣ ص٦٦ .

الفرنسي FONTENELLE (١٦٥٧ - ١٧٥٧) هو أول كاتب لأدب الخيال العلمي. ومن أهم رواياته «**لقاءات فى قمة العالم**» التى نشرها عام ١٦٨٦ الذى أكد فيها أن هناك حياة فوق سطح القمر والكواكب الأخرى.

وقد عاش فونتنل بداية عصر العلم. ففى أوائل القرن السابع عشر بدأت قلة من الشعراء فى بحث وتفهم ظواهر الكون. وبدأ البعض يتقبل فكرة أن الأرض لا تتعدى أن تكون ذرة من الذرات السابحة فى الفضاء. ومن أبرز هؤلاء الأدباء هناك عالم الرياضيات الألمانى المعروف كبلر KIBLER الذى كتب رواية «**الحلم**» باللغة اللاتينية. ونشرت عقب وفاته عام ١٦٣٤. وفى عام ١٦٣٨ قدم الأسقف البريطانى جودوين GOOD WEEN قصة بعنوان «**رجل فى القمر**» A MAN IN MOON التى كانت نواة لظهور العشرات والمئات من روايات حول السفر إلى الفضاء الخارجى.

«ولعل سيرانو دى برجراك نفسه فى كتابه "**رحلات إلى دول وأمبراطوريات القمر والشمس**" عام ١٦٤٣ يعتبر أحد رواد أدب الخيال العلمى. على الأقل كما يحلو للفرنسيين أن يؤكدوا. ففى هذا الكتاب مجموعة نظريات وافتراضات علمية لا تخلو من العبقرية فى ميدان التنبؤ. وفيه وصف دقيق لآلات ولعوالم أخرى فى الكون تشبه عالمنا» [٥].

ويقول بريان الدريس BRIAN ALDRIS أن **دانييل ديفو** DANIEL DEFOE قد كتب القصة العلمية عام ١٧٠٥ فى روايات مثل «**المدعم**» CONQUISTADOR و«**انفاق من الأرض إلى القمر**» TRANS ACTIONS FORM THE WORLD IN THE MOON، وأكد أيضا أنه قد دخل فى أدب النوع كل من جوناثان سويفت ورابليه وتوماس مور ودى برجراك [٦]. وقد تميز فى هذا النوع بصفة خاصة كاتب يدعى ERAMUS DARWIN صاحب رواية ZOONOMIA عام ١٧٩٧، ومارى شيللى التى ستتحدث عنها فى نطاق الفنتازيا العلمية.

ويرى البعض أن ادجار الان بو EDGER ALLAN POE (١٨٠٩ - ١٨٤٩) هو أحد أدباء النوع أو الذين بشروا بظهوره على هذا الشكل الواسع. وقد تضاربت الاراء حول بعض قصص بو مثل «**يوريكا**». علماً أن بو قد شغف بالعلم خاصة علم الفلك

---

(٥) رفيق فتوح. ملتقى المسافة بين الأساطير والحداثة. مجلة الصفر «باريس» يونيه ١٩٨٧. ص ٩١.
(6) Brian Aldriss, Billion Year Spree, Corgi Books, New York, 1973 P.II

« إنه يعرف كذلك أن العلم قد أضاف بعدا جديدا إلى الخيال ، بأنْ جعله يخرج قصصا من نوع خاص . ان شعور بو قد تضمن معنى أقوى بكثير مما تتضمن العبارة المعروفة أن « **الحقيقة أغرب من الخيال** » إنه يدرك أن العلم قد قطع شوطا أبعد مما قطعته الحقائق المملة . إن الفلك وحده قد فتح آفاق عالم جديد أمام الشاعر . وهذا هو ما هداه أن يسمى « **يوريكا** » قصيدة نثرية رغم مضمونها العلمى . إنه يقول فى كتابه « **هامشيات** » إن قصيدة موضوعها المريخ هى شيء صغير بسيط إذا ما قورنت بالحقائق الهائلة التى تتضمنها دراسة هذا الكوكب . إنّ العلم قد منح الانسان بيد ، قدر ما أخذ منه باليد الأخرى » (٧) .

ويرى بورانيلى فى كتابه عن بو أن « كثيرا من الفقرات التى وردت فى كتابه " **يوريكا** " تبدو للقارئ اليوم كأن كاتبها عالم من علماء القرن العشرين ، كما كانت آراؤه عن البديهيات والثبوت سابقة لمنطقنا الرياضى . إنّ الصورة التى رسمها للعالم مبتدئا بوحدة لا يمكن تمييزها عن لا شيء ، هى فى الحقيقة طليعة للعالم الذى رسمه دى سيتر ، كما أن العبارة التى يركز فيها أن عالم النجوم محدود تبدو كأنها صادرة عن اينشتين الذى يقول « إنّ العالم لا حدود له ، ولكنه محدود » . إن هذه الصورة التى يصور بها القدرات المقدر لها أن تعود مرة أخرى إلى وحدتها الأولى ، فتختفى بذلك فرديتها وتختفى معها الخليقة ، هى نفس الصورة التى يرسمها علماء الطبيعة لنهاية العالم » .

ورغم ما قاله بورانيللى حول بو ، فإن هذا لم يكن وفيا للنوع مثل الجيل الذى جاء بعده خاصة معاصرته مارى شيللى التى قدمت « **فرانكنشتاين** » .

وقد شهد أدب الخيال العلمى خلال عمره القصير نسبياً ثلاث أحقاب متمايزة . الأولى منها تشمل الطلائع أو الأجداد الذين ظهروا قبل القرن العشرين ، وهم الذين تحدثنا عن بعضهم فى السطور السابقة ، ثم الكلاسيكيين الذين برزوا مع أوائل القرن الحالى . وتمثل هذه الحقبة ظهور التجارب الأولى فى أدب النوع . ولعل جول فيرن وويلز هما أبرز أدبائها .

أما الحقبة الثانية فقد ولدت فى الولايات المتحدة الأمريكية فى الثلاثينيات . ولم يتخل الكتّاب فى هذه المرحلة عن العوالم التى صنعها كلاسيكيو هذا النوع . فقد ظلت

---

(٧) فنسنت بورانيللى ، إدجار ألان بو ، القصصى والشاعر ، (ترجمة عبد الحميد حمدى) دار النشر للجامعات المصرية ، القاهرة ، ص ٥٣ .

التيمات المستوحاة فى مجموعها هى نفسها. لكن المعالجة هى التى تغيرت. ويمكن تعريف هذه الحالة العقلية بتعبير فيه مفتاح القضية الآتية :

«التخلى بلا رجعة عن المنظور المتخلف لمذهب تشبيه كل الكائنات بالإنسان».

وهذه النظرة الجديدة لا يستهان بها. فهذا يعنى أن الخيال العلمى قد دخل مرحلة الصبا. فهو قد مكن إنسان القرن التاسع عشر من قبول المتغيرات الضخمة التى سيجلبها معه العالم الجديد والتى ستقلب كل المعتقدات رأسا على عقب. وإذا كان هناك تيار متخلف لا يزال موجودا أساسا بجانب التسلية (كغزو الفضاء والحروب بين العوالم والمعارك بين المجرات)، فإن أشباه الباحثين – وكتّاب الخيال العلمى هم دائما أشبه بالباحثين – قد اهتموا بجوانب أخرى لم يسبقهم أحد اليها. واستكشفوا فى حمّى ولهفة كل الاتجاهات التى تفرض نفسها على خيالاتهم، ومن هذه المرحلة فصاعدا أصبح هذا الجانب أكثرهم أصالة فى تيار الأفكار وأكثرهم إثارة للعقل. ومن أبرز كتّاب هذه المرحلة الدوس هكسلى، وجون كامبل وكارك تشابك..

أما الحقبة الثالثة للخيال العلمى فسوف تنبع من هذا التيار، وبها يدخل هذا الأدب فى مرحلة النضج. ونجد الكتّاب يحلقون بخيالاتهم إلى آفاق من الصعب تخيلها من قبل الجهلاء بأسراره. وقد سعى الأدباء فى العثور على أرض للتأمل العلمى والأيدولوجى والسياسى والثقافى فى آن واحد. تتلاقى أو تتقاطع فى غالبيتها بالرغم من ظاهرها مع الاهتمامات المعاصرة العظمى. وهذه المرحلة قد وجدت المئات من الفرسان الذين غيّروا تماما مسيرة الخيال العلمى.. ومن أجلهم خصصنا هذا البحث. ومن أهم هؤلاء الأدباء آرثر كلارك، واسحاق آزيموف، وراى برادبورى، وهارى هاريسون، وآخرون.

إذا كنا قد استقينا هذا التقسيم العام من الدراسة التى قدمها رولان لاكورب فى أدب الخيال العلمى. فان الكاتب المعروف اسحاق آزيموف قد أكد على هذا التقسيم فى كتابه «**قبل العصر الذهبى**» BEFORE THE GOLDEN AGE [8] وهو عبارة عن مجموعة من الروايات والقصص القصيرة التى قام بجمعها والتعليق عليها. وقد خصص لسنوات الثلاثينات وحدها ثمانية أجزاء أكد فى الجزء الأول منها أن المرحلة الثانية أو ما أسماها بما قبل العصر الذهبى لأدب الخيال العلمى قد انتهى عام ١٩٣٨ بظهور مجلة

---

(8) Isaac Azimov, Before The Golden Age, Fawlett creast, New York 1980.

ASTOUDING STORIES التى يرأسها جون كامبل JOHN CAMBELL . لذا فان العصر الذهبى بدا ، حسب منظور آزيموف - فى ذلك العام ، وأنه قد استمر حتى عام ١٩٥٠ ؛ وذلك لأن هذه الفترة ارتبطت بظهور مجموعة من المجلات التى تخصصت فى أدب النوع فى تلك الآونة مثل مجلة THE MAGAZINE OF FANTASY AND S.F. , GALAXY.

ويعنى آزيموف بذلك أن مرحلة رابعة قد بدأت عام ١٩٥٠ ، وهى الحقبة التى ازدهرت فيها كل الأسماء التى برز فيها أدب النوع خلال القرن العشرين . الا أن لاكورب اعتبر أن مرحلة العصر الذهبى بدأت منذ عام ١٩٣٨ وأنها مستمرة حتى الآن .. وهو أقرب إلى الواقع حيث إنّ الأدباء المعاصرين قد قدموا إبداعاتهم الأولى مع بداية الأربعينات ومنهم آزيموف نفسه .

ويقول آزيموف إنه بحلول عام ١٩٣٧ ، وعندما أصبح جون كامبل محررا ل « **قصص غريبة** » التى أصبحت تحت رعاية « **قصص الخيال العلمى الغريبة** » نضج الخيال العلمى فى ذلك النوع من المجلات وسميت الفترة التالية عموما بالعصر الذهبى . وأن آزيموف الذى اكتشفه كامبل نفسه فى عام ١٩٣٩ يحدد تاريخ العصر الذهبى من ١٩٣٨ إلى ١٩٥٠ عندما أصبحت المجلات الأخرى ، والمحررون يتمتعون بمكانة مهمة . وانى شخصيا أود أن أمد تاريخ هذه الفترة أطول لتشمل فقط رائعة كلاسيكية من العصر الذهبى ألا وهى تيارات الفضاء لآزيموف المنشورة فى « **قصص غريبة** » عام ١٩٥٢ . غير أن العصر الذهبى بدأ أساسا فى أوج المرحلة الجديدة « التى يذكرها فردريك بوهل فى كتابه عن السيرة الذاتية من الخيال العلمى وانتهى ككثير من الأمور الجيدة فى الخمسينات. وعندما بلغت تأثيرات التضخم السكانى فى الولايات المتحدة ذروتها ، بلغت الهجمة الضارية على العلم والتعليم والفنون التى ترتبط باسم جوزيف ماكارثى السيء الصيت » (٩) .

لذا فاننا عند تناول الخيال العلمى أدباً للقرن العشرين ، فسوف نلتزم بالتقسيم الذى قدمه لاكورب حول الأحقاب الثلاث ، مع التركيز على أهم السمات التى تتسم بها كل حقبة على حدة ، والحديث عن أهم الأدباء والإبداعات فى كل منها . ثم سوف نتحدث عن الأقسام التحتية التى نتجت عن التقسيمات العامة مثل الفنتازيا العلمية ،

(٩) و.م.رس . الحكاية الشعبية وقصة الخيال العلمى . ترجمة كاظم سعد الدين . الثقافة الأجنبية .

وأدب الظواهر العلمية الخفية ، وأدب الخيال السياسى ، الخيال العلمى عند العرب ، مع الحديث عن السينما وعلاقتها بأدب الخيال العلمى .. ومستقبل هذا الأدب فى السنوات القادمة ..

السؤال الآن .. **ماذا يعنى الخيال العلمى ..؟**

لاشك أن المفاهيم قد تضاربت واختلفت حول تعريف هذا الأدب . وسوف نسوق هنا أكثر التعريفات والآراء التى قيلت فى تعريفه ، والتى استطعنا الحصول عليها من مصادر مختلفة .

يرى الدكتور مجدى وهبه أن الخيال العلمى هو « ذلك النوع من الأدب الروائى الذى يعالج بطريقة خيالية استجابة الإنسان لكل تقدم فى العلم والتكنولوجيا سواء فى المستقبل القريب أو البعيد ، كما يجسد تأملات الأنسان فى احتمالات وجود حياة فى الأجرام السماوية الأخرى » (١٠) .

وهذا التعريف بلاشك ينقصه الكثير من التحديد . وقد صاغه الكاتب أيضا بمنظور الكلاسيكيين الذين توقفوا عند المرحلة الكلاسيكية . أما جورج تيرنر GEORGE TURNER فيرى أن : الخيال العلمى يقدم طريقا بديلا للاهتمامات العامة لدى الغالبية العظمى من القصص ، والقائمة بدورها على حقائق الحياة وبيئتها المعروفة . وقد يعتبر المرء هذه « الغالبية العظمى » أدبا قصصيا واقعيا ، وهذا اصطلاح أفضل من اصطلاح التيار العام الذى يحمل من وجهة نظر النقد معنى يختلف عن ذلك الذى يحمله اياه المعجبون بالخيال العلمى . وبذلك يدل على أنه يرتبط بواقع الوجود كما هو معروف . أما نقيضه الأدب القصصى اللاواقعى فهو يعرف عادة بالنوع الأدبى FANTASY أى الخيال اللاواقعى ، حيث يجرى تجاهل قيم الوجود الثابتة من أجل خيال غير محدود . وبين هذين التعريفين ينبرى الخيال العلمى ، الذى يقترح إقامة وجود طرق بديلة (فى زمن المستقبل ، فى عوالم أخرى ، أو ببساطة – فى أذهان الشخصيات) مقامة على حقائق ثابتة تربطها بالعالم الحقيقى ، فى الوقت الذى يقتصر فيه العنصر الخيالى على التطور المنطقى (١١) .

ويرد لاكورب على مثل هذه التعريفات التقليدية قائلا : إن الخيال العلمى فى

---

(١٠) مجدى وهبة . معجم مصطلحات الأدب . مكتبة لبنان . بيروت . ١٩٦٨ . ص٥٣ .

(١١) جورج تيرنر ، الخيال العلمى كأدب . ترجمة كوثر الجزائرى . الثقافة الأجنبية . شتاء ١٩٨٣ . ص١١٦ .

مجموعة – كأى مجال لا تزال المعرفة به مكبلة – قد أرجعه غير العالمين بأسراره إلى ما هو أكثر تمثيلا له فى نظرهم : ابتكارات خارقة ، حروب العوالم ، جول فيرن ، هـ . ج . ويلز. وليس هذا على وجه الاطلاق هو الخيال العلمى المعاصر الحقيقى . إنه فى الواقع أبعد ما يكون عن جول فيرن بمثلما كان فيرن بعيدا عن الفونس دوديه (١٢) .

وهناك منظور آخر حول هذا الأدب تحدث عنه رؤوف وصفى فى مقدمة ترجمته لمسرحيات من تأليف راى برادبورى قائلا إنّه : « يهدف إلى عرض الحقيقة العلمية بأمانة وصدق وبنظرة مستقبلية ، وإنْ تغلفت بغلاف له تألق وبريق القصة . وهو يعالج أيضا الأفكار الأجتماعية والعلمية بشكلها الصرف الخالص . وليس من هدف أدب الخيال العلمى التنبؤ بالمستقبل ، بل إنه يقوم بشىء أهم من ذلك بكثير ، فهو يحاول أن يصور لنا المستقبل الممكن . وإذا نظرنا إلى الجنس البشرى كأنه مهاجرة ضخمة خلال الزمن تتجول خلاله الآف الآلاف الملايين من البشر خلال القرون المتعاقبة ، فإنّ كتاب الخيال العلمى هم المستكشفون الذين يطلقون قصصهم التى تنذرنا بالصحراء الجرداء التى أمامنا ، أو التى تبهرنا بأبناء الوديان والجبال المتألقة التى تقع وراء الأفق مباشرة . إنه لا يوجد مستقبل فقط يأتى ويكون محددا من قبل وجامدا لا يلين . فإن المستقبل حالة تبرئيه شيئا فشيئا ودقيقة بدقيقة . تصرفات البشر ، ودور الخيال العلمى هو أن يظهر أى نوع من المستقبل قد ينشأ من بعض التصرفات البشرية (١٣) .

وأعتقد أن الكاتب قد ابتعد كثيرا عما يمكن أن يكون خيالا علميا . فقد نسى أن الخيال العلمى أدب . وليس شرطا أن الأدب عملية تعليمية هادفة . وأن كتّاب الخيال العلمى الذين نستعرض لهم لم يقصدوا أن تكون أعمالهم تعليمية . وسوف نرى فى كل النماذج التى سنقدمها أن الخيال العلمى هو فى المقام الأول عملية « تنبؤ وتأمل » لما يمكن أن يأتى به العلم فى الحاضر أو فى المستقبل البعيد أو القريب . التأمل لما يمكن أن يحدث للبشر أو للأشياء المحاطة له . فى الأرض التى يعيش عليها أو الكون اللامتناه من حوله . وروايات الخيال العلمى – وان كان التعبير الأصدق هو التخيل – والخيال السياسى هى تحذير لما يمكن أن يصيب العالم مثلا من انفجار نووى أو اندلاع حروب عالمية سببها التطور العلمى والتقنى ، أو من اخطار غزو كونى للأرض ، أو مخاطر سيادة الآلة وأجهزة الكومبيوتر والروبوت على عقليات البشر . وإذا توافق أن كان فى نصوص هذه الروايات

(12) Roland La Corbe, Le cinéma de la science fiction, Ecran, Juillet, 1977, page 22.

(١٣) راى برادبورى . من مسرح الخيال العلمى .

عملية تعليمية فإن الكاتب لا يقصدها ، وانما عليه فقط التحذير من مغبة ومشاكل التطور العلمى الخارق الذى سيأتى مع المستقبل . فنحن نمضى قدما مع الزيادة المضطردة لعدد القنابل النووية التى تمتلكها دول كبرى وصغرى . ونتقدم حثيثا نحو المجاعات . ولعل هذا الرأى يتفق مع آراء أساتذة باحثين مثل مارتن هارى جرنبرج MARTIN HARRY GREENBERG وجون بلستيد JOHN BELSTIDE وباترشيا فاريك PATRICIA FARECK وجوزيف أولندر JOSEPH OLEANDR فى مقدمتهم SOCIAL PROBLEMS TROUGH S.F. (١٤) . حيث يقولون إن «الغاية من الروايات العلمية هى جعل القارئ يدرك المشاكل الاجتماعية ، فهى لا تتنبأ عن أمور سرعان ما تتحول إلى حقيقة ، كما أنها لا تقدم حلولا لمشاكل تحاول هذه الروايات أن تصورها . فالذين يقولون «إننا نعرف هذا ، ولكن ما الحل؟ نرد عليهم أن الشعور بالظروف الاجتماعية التى تضر بمصلحة المجتمعات البشرية انما هو شرط يسبق الوصول إلى حلول لهذه المشاكل وتطبيقها بصورة ناجحة ، إن كثيرا من المشاكل التى تعالجها الرواية العلمية معروفة عند الناس . أما بعضها الآخر فلا يزال يجهله الجمهور» (١٥) .

والتنبؤ المقصود فى أدب الخيال العلمى ديناميكى متحرك دوما . يقوم على أساس التغيرات ، ففيه يتميز الكاتب بقدرة كبيرة على التخيل مع وجود خلفية علمية كبيرة لدى كتابها . وسوف نرى أن أغلب أدباء النوع المعاصرين قادمون من مختبرات المعامل . ورغم أمتهانهم لأدب الخيال العلمى فإنهم لم يتركوا قط مختبراتهم .. وقد أكد رؤوف وصفى أن «الخيال العلمى هو أدب التغيير . فكل قصة من قصصه تنهل من منهل معين . إن غدا سيكون مختلفا عن اليوم ، وربما يكون الاختلاف كبيرا ، فقد توقعت البشرية منذ زمن طويل أن يكون الغد كاليوم تماما أو يكاد ، فالتغيير شىء مثير للقلق يدعو للخوف والرهبة ، ولكننا فى العصر الحديث نتحدث عن صدمة المستقبل FUTURE SHOCK (١٦) .

ويؤكد جورج تيرنر أنه حتى الآن «لم يتفق على تعريف واحد للخيال العلمى بشكل عام . إن استعراضنا للعشرات من التعاريف التى خرجت قد يملأ كتابا . ومن الأكثر دراية

---

(١٤) ترجمة وتقديم رؤوف وصفى – من المسرح العالمى – الكويت ١٩٨٥ ص٨ .

(١٥) يوائيل يوسف عزيز (مترجم) الرواية العلمية والمشاكل العلمية . الثقافة الأجنبية : ربيع ١٩٨٣ ص٥٨ .

(١٦) راى برادبورى . من مسرح الخيال العلمى ، ترجمة وتقديم رؤوف وصفى . وزارة الأعلام . الكويت . ١٩٨٥ ص٨ .

بين هذه التعاريف واحد قدمه إسحاق آزيموف يقول إن الخيال العلمى هو أدب قصصي يدور حول مستقبل العلم والعلماء. أما بالنسبة لتيودور سترجن فالاصطلاح يمكن تطبيقه على قصة يلق منها السرد القصصى إذا حذف المحتوى العلمى [١٧].

ويرى تيرنر أن الاثراء أو الإصاب قد يكون المهمة الأدبية النهائية للخيال العلمى كما نعرفه، وأن كل قارئ عارفٌ «**بالموجة الجديدة**» وفروعها. ولكن قلة هم من لاحظوا (**على الأقل فى مجال النشر**) ان الموجة الجديدة قد اقتربت بأفضل كتابها وبشكل ملموس إلى أساليب ومجسات الخيال الواقعى، وكالمعتاد عندما يخفت الحماس المبدئى يتحول المجددون الشباب إلى أبطال متوسطى العمر ينادون باستقرار جديد [١٨].

وفى مقال «الرواية العلمية والمشاكل الاجتماعية» التى ترجمها د. يوئيل يوسف عزيز يرى أن «أدب الرواية العلمية يمكن أن يعمق الشعور بالنمو التقنى وعواقب هذا التطور، كما يستطيع أن يحذرنا من فوائد وأضرار تغيير النظم الأجتماعية حسب أساليب مختلفة. ويجعلنا أكثر أحساسا بأن قيمنا إنما هى نسبية. ويساعدنا على معرفة الأبعاد الخلفية والقانونية والسياسية للمشاكل الاجتماعية، فالرواية العلمية لها ميزة فريدة وهى أنها لا تقتصر على ماحدث فى الماضى، أو ما هو محتمل فى الحاضر فهى تتمتع بصفة يعتبرها العالم وستوس WESTHUES من أهم فوائد التحليل المقارن. إذ يقول «يستطيع الطالب أن يفهم، من تحليل مجتمعه والمجتمعات الأخرى كيف أن التغيير فى الثقافة والتركيب الاجتماعى يمكن أن يفسر التغيير فى المشاكل الاجتماعية التى يعانى منها مجتمع ما».

«كما تستطيع الرواية العلمية أن تجسم عواقب الاتجاهات الاجتماعية فيسهل فهمها، مثال ذلك استخدام الآلة بدلا من الإنسان وعواقب النمو السكانى المستمر» [١٩].

أما رولان لاكورب فهو يرى أن الخيال العلمى إذا كانت مراحله السابقة تنبؤاً، أو بعبارة أخرى إذا كان القدامى يهتمون بمحاولة القيام بتنبؤات تقنية فإن التخيل العلمى الحالى (فى جانبه الأكثر طليعية) هو فى جوهر تأمل. والتخيل العلمى من جهة أخرى ثرى بتجربته الخاصة. والعقل فى هذا المجال ليست له أهمية. والشيء العام حقا هو

---

(١٧) جورج تيرنر. الخيال العلمى كأدب. ترجمة كوثر الجزائرى. الثقافة الأجنبية: شتاء ١٩٨٣ ص ١١٥.
(١٨) المصدر السابق.
(١٩) يوائيل يوسف عزيز (مترجم) الرواية العلمية والمشاكل الأجتماعية. مجلة الثقافة الأجنبية. ربيع ١٩٨٣ ص ٥٨.

المنطق والخيال ، وهو دائما فى اتجاه التاريخ ، والجرىء دائما هو الشخص القادر على تحديد شكل المستقبل. والشخص الذى كان يتنبأ فى أواخر القرن التاسع عشر بأن السيارات لن يكون بمقدورها تخطى سرعة الثلاثين كيلومترا فى الساعة (لأن السرعة الزائدة سوف تعمل على سحق السائقين) لم يعد أحد يتذكره الا كأضحوكة للعالم الحديث. أما الذى كان يهذى بأمكانية الرحلات الفضائية فقد كان هو الرائد الحقيق.

ومن الأكيد أنه حتى الكتّاب الذين يمعنون النظر فى المستقبل يظهرون قدرا من تهيب مدهش بالاضافة إلى تشاؤم عام ومميز لعصر الأزمة الذى نحياه ، فلم يسبق لأى من كتّاب الخيال العلمى أن رأى غزو القمر قبل عام ١٩٧٠ . ولذلك لم يجرؤ أى كاتب أن يتخيل أن أولى خطوات الإنسان على قمرنا يمكن إن يُشاهد فى اللحظة ذاتها - أن لم يكن فى اللحظة التالية - بواسطة ثلثى الإنسانية [٢٠] .

والخيال العلمى كما يرى نورمان سبينارد NORMAN SPINARD هو حالة خاصة من التخيل التأملى. وهو مدرسة أدبية ونوع تجارى فى قصصه الغريبة ومن خلال فروعه المتعددة [٢١] .

ويرى سبينارد أيضا أن التخيل التأملى يعنى وجود شخص خارج النوع ، بل فنان متصل بعصرنا. التخيل التأملى هو التخيل الوحيد الذى يتفق مع الواقع الحديث فى الطريقة التى نفهم بها عصرنا. والخيال التأملى هو التغلغل فى ثقافة شعب من كل اتجاه لأن انعكاسها شرط للعقل الحديث. وهو الخيال الوحيد الذى نجابه به ونفهم حقائق عصرنا [٢٢] .

وإمعاناً فى أن نذكر أكبر عدد ممكن من التعريفات والآراء التى تحدث بها كتّاب النوع عن أدبهم والتى وردت ضمن ردودهم حول الرسالة الاجتماعية لأدب الخيال العلمى ، والدور الذى يقوم به هذا الأدب فى عالمنا المعاصر. نشير إلى تلك الأسئلة وغيرها التى طرحتها مجلة SOVIET LITERATURE فى عددها رقم ٤٣١ الصادر عام ١٩٨٤ والتى ترجمتها لطيفة الديلمى فى مجلة الثقافة الأجنبية حيث يرى إسحاق آزيموف أن رسالة أدب الخيال العلمى «تكمن فى سعيه لتدريب عقول البشر وتعويدها لتتقبل حتمية التطور

(20) Roland La Corbe, Le cinéma de la science fiction, Ecran, Juillet, 1977, page 22.

(21) Norman Spinard, Modern Science Fiction, Anchor Books, 1979 P.I.

(22) Ibid P.3

التقنى المتسارع ، ويتجلى دور أدب الخيال العلمى فى دفع الإنسان وتحريضه على استخدام التكنولوجية والتآلف معها بالقدر نفسه الذى يسعى فيه البشر ويبذلون الجهود الكبيرة لتطوير مجتمعهم الإنسانى وترسيخ سعادته وليس العكس » .

أما آرثر كلارك فيرى أنه « لخطأ فادح أن ينسب لأدب الخيال العلمى دور تنبوئى ما ، فليس بإمكان هذا الأدب فعل شىء ما بالنسبة للتنبؤ بالمستقبل . فرسالة أدب الخيال العلمى ووظيفته تتحددان فى تنمية مخيلات الناس وتعليمهم ومنحهم القدرة على التفكير بالمستقبل ، ويبقى أدب الخيال العلمى فى معظم الأحوال وسيلة لإثراء خيال الإنسان ومنحه المزيد من الاطلاع على آفاق المستقبل لإغراقه بفيض من المعارف والمعلومات عن هذا المستقبل .

ورغم هذا فإن أدب الخيال العلمى بوسعه تحذير الناس وصرف أذهانهم إلى المخاطر التى قد تكون خافية عن بصيرتهم ، وهو يقوم بهذه المهمة على نحو أعم وأشمل وأجدى ، كانت التصورات الطوباوية . أنا أسمى هذا « نظام الإنذار المتقدم » AN ADVANCE WARNING . هذا النظام الذى ينبىء عن الكوارث الوشيكة قبيل وقوعها . ويمتلك أدب الخيال العلمى (بعدا اجتماعيا) أشد أرضية ، أى ارتباطا بالواقع ، أعنى أن بوسعه إثارة وتحريض أخيلة القراء – وبالأخص القراء الشباب – فيأخذ بيدهم ويقودهم ليتمتعوا بالانجازات العظيمة فى دنيا العالم . إنما ينبغى ألاّ نغفل عن حقيقة مهمة وهى أن أدب الخيال العلمى هو فى المقام الأول ضرب من الفعالية الإبداعية : أى عمل كاتب وليس عمل معلم أو واضع نظريات » (٢٣) .

ويرى هارى هاريسون HARRY HARRISON صاحب رواية SOYLENT GREEN أنه لا يعتقد أن لهذا الأدب رسالة اجتماعية ، وأنه عبارة عن قصص متخيلة يفترض فيها أن تقدم المتعة والتسلية لقرائها . إلاّ أن كتّاب الخيال العلمى المبدعين والمتمرسين بوسعهم أن يهبوا القراء فكرة ما حول مهمات العلم وآفاقه ، إنّ هذا هو عالم المتغيرات ، وإن بوسع الإنسان تغيير هذه المتغيرات ذاتها ، وليس تقبلها على نحو أعمى من أجل تقدم البشرية وصالحها . (٢٤) .

ويرى الكاتب السوفيتى يريمى بارنوف YEREMI PARNOV أن الرسالة

---

(٢٣) لطيفة الدليمى (مترجمة) كتاب الخيال العلمى يتحدثون . الثقافة الأجنبية . بغداد . العدد الثانى ١٩٨٧ ص ١١٤ .

(٢٤) المرجع السابق ص ١١٦ .

الاجتماعية لأدب الخيال العلمى تطرح فى المقام الأول حقيقة الكشف عن مخاوف البشرية وتجسيد توقعاتها وآمالها ، وهى تهيئ المجتمع – إذا ماوُجِّهت لذلك – تهيئة لمهات جديدة وتغييرات جوهرية وتحذره من كل الأخطار المحتملة .

وعلى المستوى العلمى بالتحديد ، يناقش أدب الخيال العلمى المشكلات الملحة بقصد معالجتها ، وفى الوقت نفسه يوجه الأنظار إلى النتائج المنطقية المتوقعة لحلول مثل هذه المشكلات . وأثر هذه النتائج ووقعها على المجتمع الإنسانى ، وهكذا حصل الأمر مع الأسلحة النووية والنيوترونية فى الوقت الذى لم تكن قد صنعت بعد ، والآن قد جرى تصنيعها على نطاق واسع .

إن أدب الخيال العلمى فى عالمنا المعاصر ومسئوليته تجاه الجنس البشرى ينبعان من كونه أدبا جماهيريا تحظى تكهناته وتنبؤاته بثقة الناس ؛ لأن عددا كبيرا من القضايا التى تنبأ بها تحققت على نحو أدق وأصدق من تلك التوقعات التى طرحها العلماء . ومن هنا يتوجب على كتّاب الخيال العلمى استغلال مطلق لطاقاتهم والقيام بكل مايمكن القيام به للإسهام فى حل المشكلة الرئيسية .

أما يوسف الشارونى فيرى «أن أدب الخيال العلمى يجعل الانسان أكثر إدراكاً لوضعه الصحيح فى الزمان والمكان» [٢٥] .

مما سبق يتضح أنه رغم تقارب المفاهيم حول السمات العامة والتعريف بأدب الخيال العلمى ، فإن هناك نقاط خلاف حول دور هذا الأدب من ناحية التنبؤ والتأمل ، وأن لكل كاتب رأيه الذى يخالف زميله ويكاد أن يلغيه . ولأن هذا الأدب فى حركة تطور وأنبثاق مستمر ، فإنه حتى الأن لم يصل إلى التعريف الثابت الذى يمكن الوصول إليه . وعلى كل فمسألة التعريفات شيء غير مرغوب فيه فى الأدب وخاصة فى السنوات الأخيرة ، وربما من هذا المنطلق سنجد أن أدب الخيال العلمى فى السنوات الأخيرة لم يعد نقى النوع . بمعنى أنه امتزج بالأشكال الأخرى والأنواع المتباينة سواء المنبثقة عنه أو القريبة إليه . ولذلك لن نحاول – كشأن الباحثين الآخرين – أن نضع لأنفسنا تعريفا جامعا شاملا يتضمن ماسبق أن قدمناه من آراء متباينة حول هذا الأدب .. لأن التيار مستمر ومتدفق .. وسيظل ينهل منه أدباء القرن العشرين .. وربما يستمر حتى عشرات القرون القادمة وهو أرض أزمنة سيكون للعلم فيها السيادة الأولى .

---

(٢٥) يوسف الشارونى . الخيال العلمى فى الأدب العربى . مجلة عالم الفكر . اكتوبر ١٩٨٠ ص ٢٣٤ .



الفصـل الثانى

كلاسيكيات الخيال العلمى



كلاسيكيات الخيال العلمـــى

ترتبط المرحلة الكلاسيكية فى أدب الخيال العلمى بأسماء محددة ، اكتسبت شهرة كبيرة فى أدب النوع ، إلى درجة أن الكثير من كتابنا المعاصرين عندما يتحدثون عن هذا الأدب – حتى فى صورته الآنية – لابد من أن يذكروا كلاً من الكاتب الفرنسى جول فيرن JULES VERNE والكاتب الانجليزى هـ . ج ويلز HERBERT GEORGE WELLS . وقد أشرنا فى الفصل السابق إلى أنهما لم يأتيا إلى أدب النوع من الفراغ ، وأنما كانت هناك محاولات عديدة بدأها أدباء كثيرون قبل القرن التاسع عشر.

وبالنظر إلى الروايات التى قدمها أدباء الخيال العلمى فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين والتى اقترح على تسميتها بالكلاسيكيات . أو كما أطلق البعض عليها مصطلح رومانسيات النوع . سوف نجد أنها تنتمى جميعها إلى القرن العشرين . فقد وضع رجال العلم النماذج الأدبية التى ابتدعها الأدباء أمام أعينهم وراحوا يصممون مخترعاتهم لتجىء أقرب إلى ما ابتدعه خيال الفنان . وأصبح إنسان القرن العشرين هو الفائز الأول بهذه الإنجازات العلمية ، أو الخاسر الأول بما نجم عنها من أخطار. مثل الصعود إلى القمر ، ومحاولات غزو الكواكب الأخرى ، والدوران حول الكرة الأرضية ، والنزول إلى أعماق المحيطات ، أو تدمير المدن بقنابل شديدة الفتك بالبشر.

ويمكن القول إنّ أهم السمات التى شغف بها أديب الخيال العلمى فى المرحلة الكلاسيكية تنحصر فى النقاط الآتية . هذا إذا أخذنا فى الاعتبار أن المبتدئين فى عصرنا فى هذا المجال يفكرون غالبا على نفس المنوال الكلاسيكى :

– الرحيل : فقد سعى كاتب النوع فى هذه الحقبة إلى القيام بالرحلات إلى كل الأماكن التى يمكن أن يصل إليها خياله . مع وجود قابلية التصديق – إن أمكن . وما روايات جول فيرن سوى مجموعة متباينة من الرحلات الجغرافية فى المقام الأول . سواء

تمت هذه الرحلات فى منطاد يطير فى السماء أو غواصة تخترق المحيطات أو فوق سفينة تجوب العالم فى ثمانين يوما ، أو إلى مركز الكرة الأرضية . هذا بالنسبة لرواياته العلمية . أمّا رواياته الأخرى التى تنتمى إلى أدب المغامرات عن الكابتن أتراس والكابتن جرانت ، وميشيل ستروجوف وآخرين ، فهى أيضا رحلات جغرافية فى المقام الأول .

وإذا كان فيرن قد انتقل بأبطاله إلى اليابسة والفضاء ، فإن رحيل أبطال ويلز عبر الزمان من خلال « **آلة الزمن** » لم يلغ قيام أبطاله الآخرين بالرحيل إلى جزيرة الدكتور مورو أو إلى القمر ، أو الدوران حول الأرض ، أو إلى بلاد العميان .

وأغلب هذه الرحلات تتم بصفة جماعية ، أو يقوم بها شخصان على أقل تقدير ، مثل رحلة فيلياس فوج وباسبارتو ، ثم كافور ويدفور . ورحلات أخرى فى غواصة الكابتن نيمو وعبر آلة الزمن .

وقد قدح مؤلفو هذه الروايات خيالاتهم لصنع مركبات غريبة الصنع مبهرة لمعاصريهم كالسفن والغواصات والطائرات والمناطيد . فقاموا بوصف هيكلها الخارجى ومحتوياتها الداخلية بكل دقة لدرجة لانغالى فى أن أكثرها أصبح مألوفا لنا فى آواخر القرن العشرين .

– ولأن أبطال هذه الروايات يميلون إلى الرحيل فى المقام الأول ، فإنهم رجال مغامرات يتحملون المشاق والصعاب من أجل الاستمتاع بالمغامرة وغموضها . والرحلات التى قام بها هؤلاء الأبطال رحلات رجولية فى المقام الأول . يقوم بها رجال أشداء عبر مجهول مخيف ينتظرهم فيه شر غامض لا يمكن سوى لمن يملكون سماتهم أن يعبروه . لذا فإن الروايات التى كتبها كل من فيرن وويلز – ومن بعدهما كل أدباء الخيال العلمى – هى فى المقام الأول روايات مغامرات بالغة الغرابة والجاذبية ، وهو ما يخفف من غرابة الأفكار التى يطرحها الكاتب . ويقلّل من حدة الأطروحات العلمية التى لابد أن يضعها الكاتب إما على لسان أحد ابطاله أو فى حشايا حديثه عن هذا العالم . وهكذا فإن هذين الكاتبين لا يعتبران فقط من رواد النوع ، بل من رواد أدب المغامرات بصفة عامة ، ولا شك أنهما أيضا أمتداد لكل من ادجار الان بو ، ومارى شيللى .

– وسوف نلاحظ أن المهام التى يقوم بها أى من الأبطال متشابهة غالبا مهما كان المكان أو الزمان الذى يرحلون إليه . ففلياس فوج هو أقرب إلى ميشيل ستروجوف إلى أندرو فى نوع المغامرات التى يقوم بها ، والمخاطر الغامضة التى يتعرض لها ..

– إذا كان علماء النصف الثانى من القرن العشرين قد راحوا يؤكدون أن الكثير من أفكار وخيالات فيرن ثم ويلز جاءت منافية للفروض العلمية ، فاننا لا نعرف ما هو موقف علماء الغد من الأطروحات التى يضعها كتّاب العصر خاصة أن أغلبهم – كما سنرى فى فصل آخر – من العلماء الذين يمارسون حرفة الأدب.

بالنظر إلى المجالات التى خاضها أدباء الخيال العلمى المعاصرين ، فإن الأدباء الكلاسيكيين لم يتطرقوا سوى إلى ميادين محدودة للغاية. وسوف نرى فى هذا الفصل أن فيرن وويلز قد تنافسا دوما على الولوج إلى نفس العالم. فبعد أن كتب فيرن روايته **«من الأرض إلى القمر»** عام ١٨٩٥ ، يؤكد ويلز أن كافور هو أول من وصل القمر فى روايته التى كتبها عام ١٨٩٥. وبعد أن قدم ويلز **«آلة الزمن»** عام ١٨٩٠ ، يحاول الأمريكى مارك توين الولوج إلى الزمن أيضا عبر آلة مشابهة فى رواية أخرى..

ومن أهم المجالات التى لم يتطرق إليها هؤلاء الأدباء الطب ، وعلوم الحياة والكيمياء والفيزياء والكومبيوتر. وهى العلوم التى كانت – ومازالت – تشهد تطورا هائلا فى تلك الحقبة ، وسوف نرى أن مجالات العلوم قد أصبحت مجالا خصبا لأغلب الأدباء المعاصرين فى الخيال العلمى.

عالم جول فيرن :

فى عام ١٩٧٨ وبمناسبة الإحتفال بمرور قرن ونصف على ميلاد فيرن صدر كتاب للباحث الفرنسى مارك سوريانو MARC SORIANO يحمل عنوان «من كان جول فيرن الحقيقى» QUI ETAIT LE VRAI JULES VERNE قال فيه إن الكاتب كان يستلهم أعماله وأفكاره من قوى خفية تتقمصه من فترة لأخرى ، تجعله يعيش فى غياهب المستقبل أسفل المياه أو فوق السحب. ولا أعتقد أن سوريانو كان على حق فى هذا الرأى الذى يحاول أن يعضده. والا تصورنا أن كل الأدباء الذين يكتبون فى الخيال العلمى هو فسوسون فى المقام الأول. وخاصة أن فيرن كان رجلاً غزير الاطلاع فى المجالات التى يمكن أن يستفيد بها فى رحلات أبطاله ، خاصة العلوم والجغرافيا.

ورغم الرأى الغريب الذى ساقه سوريانو عن فيرن ، فإنه أفرد فى نهاية كتابه بعض الكلمات التى قالها أدباء آخرون عن الكاتب. فتولستوى يقول : «قرأت رواياته وأنا فى سن الرجولة ، ومع هذا فقد سحرتنى» [1] . أما سلفادور دالى فيقول إنه أحد أعمق رجال

(1) L'Express, 22 Mai 1978.

عصرنا . ويقول والت ديزنى الذى أنتج العديد من الأفلام عن رواياته : « اشعر بالتقارب معه لأنه استطاع أن يحل مشكلة تقنية السينما . وهذه نقطة بالغة الصعوبة » .

ولد جول ڤيرن فى مدينة نانت NANTES عام ١٨٢٨ لأب يعمل محاميا يدعى بيرفيرن PIERRE VERNE . التحق بمدرسة تديرها السيدة سامبان SAMBIN التى لعبت دورا فى التأثير على حياة الكاتب . فقد روت له الكثير عن حياة زوجها القبطان الذى هجرها وهى فى أيام العسل الأولى (٢) . ثم التحق الطفل بمدرسة أخرى كى يدرس الجغرافيا التى تفوّق فيها ، واللغة اللاتينية واللغة اليونانية .

وعندما بلغ الحادية عشرة من العمر. حدث حادث هام فى حياة الطفل جول . فقد ركب سفينة راغبا فى السفر مع شلة من أقرانه . ولما عرف أبوه بذلك لحق بالسفينة قبل خروجها من مصب نهر اللوار إلى عرض البحر، متجهة نحو جزر الهند الغربية ، فأعاد ابنه إلى المنزل ، وطلب منه عدم معاودة السفر أو الهروب قط . ويقال إن الطفل كان يسعى إلى إحضار عقد من المرجان لفتاة أحبها ووعدها أن يقدم لها هذا العقد . ولأن الفتاة كانت تكبره بسنوات فقد اعتقد الصغير أنه يمكن ان يستميلها إليه بمثل هذه الهدية الثمينة التى عليه أن يهديها إليها .

وعندما بلغ السادسة عشرة رحل إلى باريس كى يدرس القانون . ويلتقى بأبناء جيله من الأدباء مثل فيكتور هيجو VICTOR HUGO . واشترك فى أحداث ثورة عام ١٨٤٨ التي أسفرت عن تنحي الملك لويس فيليب Louis PHILIPPE عن العرش. وكتب مسرحية حول أحداث هذه الثورة.

ونحن لن نؤكد على حياة الكاتب فهذا ليس من خط الكتاب . ولكننا نود أن نؤكد أن فيرن قد كتب مجموعة متباينة من الروايات . ويقول يوسف عزالدين عيسى فى عرضه لكتاب JULES VERNE, INVENTOR OF SCIENCE FICTION من تأليف بيتر كوستللو PETER COSTELLO : « لقد حكت مدام سامبان قصتها هذه لتلميذها جول : وقد تكون هى شخصية مسز برانيكان فى رواية جول التى يحمل عنوانها اسم "**مسز برانيكان**" التى قضت اربعة عشر عاما تبحث فى بحار المرجان فى المحيط الباسفيكى عن زوجها المفقود الذى وجدته فى النهاية حيا لحسن الحظ . وهى القصة التى ظل فيرن محتفظا بها فى ذاكرته نحو خمسين عاما حتى كتبها . ولقد ساعدته ذاكرته

---

(٢) جول فيرن والأدب العالمى . عرض يوسف عزالدين عيسى . عالم الفكر. ابريل ١٩٧٩ ص ٢٠٠ .

القوية على اختزان مواد لقصصه مدة طويلة »[٣] .

وقد عرف عن فيرن سعة خياله وكثرة قراءته فى علوم الجغرافيا والطبيعة لدرجة أن الأميرال بيرو قال حين زار القطب الجنوبى : « لقد كانت كتابات فيرن ترشدنى خلال رحلاتى »[٤] .

ومع أن فيرن يهتم بأدب المغامرات والخيال العلمى ، فان بعض النقاد يضعونه فى مصاف كتاب الرومانسية ؛ رغم خلو الكثير من أعماله من أجواء الرومانسية المتعارف عليها . وكما أشرنا ليست كل روايات فيرن من أدب الخيال العلمى . ومع هذا فان أدبه يكشف عما كان يتمتع به الكاتب من قدرة على التخيل مجتازا حدود المسافات والأمكنة والأزمنة . وقد اتضح ذلك فى قدرته على صنع عوالم محددة حقيقية لأماكن لم يزرها قط .

لكن أبطال رواياته داسوها بأقدامهم وأسالوا الدم والعرق والرعب فوق أديمها مثل ميشيل ستروجوف MICHEL STROGOFF بطل الرواية المعروفة بنفس الاسم التى عرفت فى عالمنا العربى باسم " **رسول القيصر** " فى ترجمة مختصرة ترجمها حلمى مراد عام ١٩٥١ لأول مرة . وهذه الرواية تقوم على شخصية خيالية تعيش فى أماكن حقيقية وأزمنة محددة .

ولجول فيرن العديد من الروايات ، من أهمها فى ميدان الخيال العلمى : " **من الأرض إلى القمر** " DE LA TERRE A LA LUNE و" **خمسة أسابيع فى بالون** " CINQ SEMAINES EN BALLON " **عشرون ألف فرسخ تحت البحار** "20 MILLE LIEUEX SOUS LES MERS و« **حول القمر** » AUTOUR DE LA LUNE و« **الجزيرة الغامضة** » L, ILE MYSTERIEUSE « **الشعاع الأخضر** » LE RAYON VERT .

أما أهم رواياته الأخرى التى تدخل أغلبها فى إطار المغامرات الكبرى فهناك « ابناء الكابتن جرانت LES ENFANTS DU CAPITAINE GRANT « مغامرات الكابتن آتراى LES AVENTURES DU CAPITAINE ATARI « **الهنود السود** » LES INDIENS NOIRS « **بلاد الفراء** » LE PAYS DES FOURRURES « **عامين أجازة** » DEUX ANS DE VACANCE « **الأمس والغد** » HIER ET DEMAIN « **منزل البخار** » LA MAISON DE VAPEUR ورواية « **حول العالم فى ثمانين يوما**

(٣) المرجع السابق : ص ٢٠٠ .

(٤) جول فيرن ، رسول القيصر (ميشيل ستروجوف) . ترجمة حلمى مراد . روايات الهلال ١٩٥١ ص ٥

AUTOUR DU MONDE EN 80 JOURS ، التى تنتمى إلى النوعين معا..

وفى هذا الفصل سوف نؤكد على بعض روايات أدب النوع. وسوف نلاحظ أن هذه الروايات هى فى المقام الأول مزيج من الرحلات والمغامرات ممزوجة فى أجواء علمية.. إلى درجة يمكن أن نعتبرها مجموعة من الرحلات المتصلة. مرة عبر البحار وأخرى فى الهواء الجوى وثالثة فى الفضاء الخارجى، أو فوق سطح الأرض. وكان فيرن أحد الذين استفادوا بنجاحات أحد كتبهم فقاموا بتكملة الأحداث فى كتاب آخر.

كانت أولى الرحلات التى قام بها فيرن هى رحلة مجموعة من الأشخاص داخل بالون لمدة خمسة اسابيع. ثم جاءت الرحلة الثانية إلى مركز الكرة الأرضية حين قام عالم دنماركى يدعى ليد نبروك LID EN BROKC وقريب له يدعى أكسيل AXIL يسافران من مدينة كوبنهاجن إلى جزيرة أيسلندا بحثا عن فتحه يمكن بها الولوج إلى باطن الكرة الأرضية الملىء بالأسرار، وتضمنت الرواية أيضا عملاقا شبيها بالانسان يقود قطيعا من الثدييات، وربما كان أمتع ما فى الرواية الحلم الذى ذكره جول فيرن على لسان اكسيل حيث رجع بذاكرته إلى ملايين السنين قبل ظهور الإنسان، بل قبل ظهور الكائنات الحية. وفى اثناء الرجوع للماضى فى الحلم اختفت الثدييات، ثم اختفت بعدها الطيور، ثم اختفت الزواحف ثم الأسماك والقشريات والحيوانات الرخوة، ولم يعد على قيد الحياة سوى اكسيل الذى رأى الحلم. بينما لم يعد هناك قلب ينبض سوى قلبه. وازدادت حرارة باطن الأرض حتى أصبحت فى مثل حرارة الشمس (**كل هذا فى الحلم**) ولم تعد هنالك فصول. ورأى النباتات وقد ارتفعت إلى أطوال عملاقة، ومرت القرون فى الحلم وكأنها أيام، ثم اختفت النباتات وأصبحت صخور الجرانيت لينة، وانصهرت المواد الصلبة وتحولت إلى سوائل تحت وطأة الحرارة الشديدة. واندفعت السوائل إلى سطح الأرض تغلى، وكأنها براكين، وأحاط البخار بالكرة الأرضية التى تحولت تدريجيا إلى كتلة من الغاز فى حجم الشمس وفى مثل تألقها. وفى مركز هذه الكتلة الغازية التى تبلغ ٤٠٠ ضعف حجم الأرض، حملت اكنسيل إلى مكان بعيد بين الكواكب حيث تبخر جسمه وامتزج بالأبخرة التى تندفع نحو النهاية (٥).

وفى روايته «من الأرض إلى القمر» تحدث عن مغامرة قام بها بعض أعضاء نادى بالتيمور الاجتماعى إلى الفضاء. وهؤلاء الأعضاء فى أغلبهم من الضباط المتقاعدين الذين ضاقوا بالسلام واشتاقوا إلى الحرب. فقام أحدهم باقتراح أن يقوموا بعمل شىء

(٥) جول فيرن والأدب العالمى: عرض يوسف عزالدين عيسى. مجلة عالم الفكر. ابريل ١٩٧٩ ص ٢١٠.

جديد لم يقم به أحد من قبل. وكانت المبادرة تتمثل فى ركوب قذيفة تصعد بركابها إلى القمر.

وقبل أن يبدأ إطلاق القذيفة تلقى النادى برقية من باريس من رجل يدعى ميشيل أردان MICHEL ARDAN يعلن عن رغبته فى السفر داخل القذيفة. وبالفعل فان القذيفة تنطلق وبداخلها ثلاثة رجال. وتنتهى الرواية عند انطلاق القذيفة إلى مجهول لا أحد يعرف عنه شيئا.

وقد كتب كوستيللو فى كتابه «**جول فيرن والأدب العالمى**» أن فيرن قد استوحى أحداث هذه الرواية من قصة قصيرة لإدجار ألان بو حول رحلة إلى القمر تدور داخل بالون. وأنه فى العام الذى نشرت فيه هذه الرواية - ١٨٦٤ - ظهرت روايات أخرى تحمل نفس الاسم مثل رواية «**رحلة إلى القمر**» تأليف الكسندر ديما ALEXANDRE DUMAS. وأيضا روايتان إحداهما بالفرنسية والأخرى بالانجليزية لمؤلفين مجهولين. ورغم ظهور هذه الروايات فإنه حسبما يرى كوستيللو فان الرواية الوحيدة التى لا تزال تقرأ حتى الآن هى رواية فيرن. لأنه هو الوحيد «الذى بنى رحلة القمر على أساس تصور صنع مدفع عملاق، متأثرا بذلك بأحداث الحرب الأهلية الأمريكية، حيث تبدأ الرواية بأحاديث تبدأ بين أعضاء ناد فى الولايات المتحدة بعد الحرب الأهلية أطلق عليه اسم «نادى بالتيمور»، يضم مجموعة من متقاعدى ضباط الجيش معظمهم من مشوهى الحرب الذين ضاقوا بالسلام واشتاقوا للقتال، واقترح رئيسهم «امبى» IMPEY أن يحاولوا عمل شىء جديد حيث يصوبون مدفعا نحو القمر وتحمسوا لفكرته فبدأوا بتنفيذها.[٦]

وعندما تساءل قراء فيرن عن مصير القذيفة التى انطلقت نحو القمر. قام الكاتب بإستكمال أحداثها فى رواية أخرى منفصلة تحمل عنوان «حول القمر» عام ١٨٧٠. وأشار الكاتب أن القذيفة قد دخلت إلى منطقة انعدام الوزن. وهو ما جعل الكبسولة تنحرف عن مسارها فلم تهبط فوق القمر كما هو مطلوب، بل إنّ قمرا آخر قد جذبها إليه. فقامت بالدوران حول الجانب المظلم للقمر الأرضى. حيث تسود البرودة الشديدة والظلام الدامس. وبعد العديد من المحاولات المتعثرة للخروج من هذه الضائقة استطاع الملاحون الافلات من جاذبية القمر. وعادوا إلى الأرض فسقطت قذيفتهم فوق المحيط الهادىء.

---

(٦) المصدر السابق ص ٢١١.

حيث أمكن انتشالهم بواسطة احدى السفن الأمريكية التابعة للأسطول الأمريكي. وعندما فتح البحارة فوهة الكبسولة شاهدوا ملاحى الفضاء يلعبون الورق وقد عِلَتْهُم سكينة شديدة.

إلى هذا المحيط الهادىء، وبقية البحار والمحيطات العالمية، قرر جول فيرن أن يرحل مع أبطال جدد فى غواصة غريبة الشكل مثل قذيفة نادى بالتيمور تسمى نوتيلوس NAUTILUS أصبحت فيما بعد مصدر وحى لعشرات الأدباء والسينمائيين. وهو اسم سفينة اخترعها عالم يدعى روبير فلتون ROBERT FULTON عام ١٨٠٠ فى إحدى أولى المحاولات الحديثة لصنع الغواصات. إلا أن كوستيللو أكد أن فيرن استوحى حكاية غواصته من غواصة أخرى تمكن انزالها إلى الماء عام ١٨٦٣، وقد بلغ طولها ١٤٠ قدما وعرضها ٢٠ قدما وعمقها عشرة أقدام: أما وزنها فقد بلغ ٤١٠ أطنان. وهى أكبر غواصة شهدها القرن التاسع عشر. وهكذا يتضح لنا أن جول فيرن لم يكن أول من تنبأ بصنع الغواصات كما يعتقد الكثيرون [٧].

وتدور أحداث الرواية على لسان بحار كندى يدعى لاند تعرف على العالم اروناكس فى إحدى المدن، وطلب منه الموافقة على الأبحار معه بحثا عن ذلك الوحش البحرى الرهيب الذى يهاجم السفن. ولاند هذا صائد حيتان عبثى السلوك لا يميل إلى التقيد داخل جدران.. لكنه مجنون بمثل هذه المغامرات. لذا يذهب مع أروناكس فى سفينة صغيرة ظلت تبحر بملاحيها أسابيع طويلة حتى كاد الجميع أن ينسى السبب الحقيقى لأبحارهم. إلا إنه أنه ذات ليلة حالكة السواد هاجمهم تنين بحرى رهيب استطاع أن يأتى على سفينتهم فى دقائق معدودة. ولم ينج من البحارة سوى اروناكس ولاند وبحار آخر يدعى لاينر فيتعلقون باشلاء السفينة المحطمة.. وبعد بعض الوقت يرون جسما غريبا يطفو فوق سطح الماء، أنه التنين الذى هاجمهم، لكنه ليس حيوانا بحريا، بل جسما حديديا هو فى واقع الأمر الغواصة نوتيلوس التى يمتلكها الكابتن نيمو.

الكابتن نيمو هو أحد العلماء الذين استطاعوا تحويل البحار إلى مسكن دائم.. فهو يعيش مع رجاله فى الأعماق. يأكلون من هناك. ويشربون مياها مقطرة. يسكنون الماء. حتى الغليون مصنوع من الأعشاب البحرية. لقد اعتزل العالم بشروره. ونفى نفسه إلى أعماق البحار من خلال غواصته التى لا تطفو فوق السطح سوى للتزود بالأكسجين أو لمهاجمة احدى السفن العابرة.

---

(٧) المرجع السابق.. ص٢١٥.

وهناك علاقة طيبة تنمو بين أروناكس ونيمو الذى قرأ أعمال العالم فأعجب بها . لكن أروناكس لايشاطر نيمو أفكاره عن الناس حول الشر المتأصل فيهم . وفى هذه الرواية يقوم أبطال فيرن برحلة سياحية تحت البحار أشبه برحلة فيلياس فوج فوق اليابسة . حيث ترحل نوتيلوس من المحيط الأطلنطى إلى المحيط الهادئ متجهة نحو قطعة من الأرض يسكنها قوم متوحشون . ثم تنزل تحت البحر الأحمر عابرة قناة السويس التى افتتحت لتوها . ثم إلى مكان مجهول فى المحيط الهندى حيث اكتشف نيمو وجود قارة الاطلنطي الغارقة .. ومنها رحلوا إلى القطب الجنوبى . وهناك يقول أروناكس أن « العمل تحت المياه الباردة يُحتمل فقط فى سبيل حب العلم »[8] . ومن هناك يرحلون إلى رأس الرجاء الصالح . ثم يعودون إلى الاطلنطى مرة أخرى . أى أنها نفس الرحلة التى سوف يقوم بها السيد فوج فوق الأرض بعد ذلك بعامين فقط .

ويفشل ركاب الغواصة فى الهروب من الأسر. فقد حاول لاند مرارا أن يفلت من هذه الغواصة دون جدوى . وبعد محاولات من الفشل قرروا البقاء فى السفينة ، إلاّ أن لاند يتمكن وحده من ذلك .

وقد استكمل فيرن رحلة الكابتن نيمو من خلال روايته « الجزيرة الغامضة » التى تحكى قصة هروب مجموعة من المساجين السياسيين خلال الحرب الأهلية ، عن طريق بالون تحطم بهم فوق إحدى الجزر الواقعة فى المحيط الهادئ ، فأقاموا فوق الجزيرة بعد أن أطلقوا عليها « جزيرة لينكولن » . وبدأوا يعيشون فيها حياة جديدة أقرب إلى حياة روبنسون كروزو. فأعادوا اكتشافات ابتكارات الأنسان فى مجالات العلوم والفن واستطاعوا خلق الحضارة من جديد . وبعد مرور بضعة أعوام يكتشفون أن العجائب التى قابلتهم فوق الجزيرة كانت من صنع الكابتن نيمو الذى قص على سكان الجزيرة قصة حياته ، وحدثهم عن غواصته نوتيلوس وكيف ابتكرها ، وما الذى دفعه إلى الحياة فى أعماق البحار. فهو فى الحقيقة أمير هندى يدعى داكار بن راجاماند الأمير العادل الذى أرسل ابنه إلى أوروبا كى يتلقى أحدث العلوم ليعود للارتقاء ببلاده . وعندما رجع إلى وطنه تزوج ، ومارس العمل الوطنى فقام بمحاربة الإستعمار الانجليزى الذى يحتل الهند . وعندما تعرض لارهاب الاستعمار آثر الرحيل إلى البحار فأنشأ غواصة ، وبدأ ينتقم من الانجليز بتدمير سفنهم العائمة فى البحار والمحيطات .

---

(8) 20.000 Lieux sous les mers. Jules Verne, Bibliothèque Verte 1944, 9.217.

أما الرحلة التى قام بها فنلياس فوج PHINLEAS FOGG وتابعه باسبارتو PASSE-PARTOUT فوق اليابسة فقد استغرقت ثمانين يوما كاملة. ومثلما بدأت فكرة غزو الفضاء فى نادى بالتيمور الأمريكى، فإن رحلة فوج قد بدأت فى نادى الإصلاح الذى انضم إليه فوج حول رهان بامكانية الطواف حول العالم فى ثمانين يوما. ولما كانت الفكرة غريبة ومحالة التحقيق فى تلك الأونة قبل اختراع الطائرات وتطور خطوط السكك الحديد والطرق البرية، فإن أحد أعضاء النادى يقول: «أصبحنا نستطيع الطواف حول العالم فى أقل من أربعة أشهر، بعد أن كان الرحالة - منذ عدة سنوات يحتاج إلى عشرة أمثال هذه المدة ليطوف حوله».

وفنلياس فوج رجل مغامر، يراهن رجال النادى مقابل مبلغ كبير أنه قادر على القيام بمثل هذه الرحلة عبر ثمانين يوما لا أكثر، مقررا أنه لا يعترف حتى باحتمال أن تتعطل رحلته. من هنا تأتى جاذبية المغامرات التى تعرض لها فوج منذ أن غادر مدينة لندن إلى أن عاد إليها، خاصة أن جميع خصومه يؤمنون أنه ليس فى إمكانه انجاز مهمته فى المدة المحددة. «وكثرت المراهنات بنسبة واحد إلى عشرين، وتكونت شركة مالية أصدرت عددا كبيرا من الأسهم اطلقت عليها اسم «أسهم رحلة حول العالم فى ثمانين يوما». وكان السهم يباع لمن يشاء بشلن. فاذا نجح فنلياس فى رحلته، أصبح لحامل السهم الحق فى إعادته للشركة مقابل جنيه كامل. وإذا فشل فقد السهم قيمته المالية تماما [٩]».

ويرحل فوج مع تابعه فى رحلة تبدأ من الأربعاء الثانى من أكتوبر عام ١٨٧٢، من لندن إلى باريس إلى السويس وعن طريق البحر إلى مدينة بومباى فى الهند ثم إلى هونج كونج ويوكوهاما وسان فرانسيسكو ثم يعود إلى لندن يوم السبت الحادى والعشرين من ديسمبر من نفس العام. وتقابله مغامرات عديدة تعرقله وتكاد تعوقه عن العودة، فيُضطر إلى العودة بعد واحد وثمانين يوما. لكن فيرن يناقش فى هذه الرواية فكرة اليوم الزائد الذى ينقص كلما اتجهت من الشرق نحو الغرب.

وهذه الرواية هى إحدى روايات المغامرات أكثر من كونها من الخيال العلمى. ويمكن القول إن فوج هو الوجه المقابل لميشيل ستروجوف فى إصرار كل منهما على الدخول إلى مغامرة غير مأمونة العواقب، ورغم كل ما تعرض له كلا الرجلين من متاعب متتالية، فإن كلاً منهما يصر على الوصول إلى هدفه، وفى النهاية يفوز - كل منهما أيضا - بامرأة

(٩) حول العالم فى ٨٠ يوما، جول فيرن، المكتبة الحديثة للطباعة والنشر. القاهرة عام ١٩٥٨ ص٥٣.

جميلة قابلها أثناء رحلته الشاقة .. وبمبلغ من المال وبمكانة اجتماعية أعلى من تلك التى كان يتمتع بها قبل الرحلة.

من المعروف أن النقاد الذين يتناولون التيمات الأدبية والموضوعات التى خاضها جول فيرن قد أكدوا أن روايته آنية دارت أحداث أغلبها فى زمن تأليفها. وأن فيرن لم يتحرك كثيرا خارج القرن التاسع عشر. لكن الكاتب اجتاح الزمن إلى القرن التاسع والعشرين فى روايته «**يوميات صحفى أمريكى فى عام ٢٨٩٠**» JOURNAL D'UN JOURNALISTE AMERICAIN 2890 وصف فيها شوارع نيويورك التى يبلغ عرضها مائة ياردة، على جوانبها مبان ارتفاعها ألف قدم، وفيها يتحكم الناس فى الطقس، ويستطيع الإنسان أن يزرع الأطعمة فى القطب الشمالى، وتعلن الحوانيت عن سلعها بعبارات تكتب على السحاب.

والشخصية الرئيسية فى هذه الرواية هو صحفى يعمل فى صحيفة توزع ثمانين مليون نسخة يوميا. ويبعث مراسلوها أخبارهم بالتليفزيون من فوق كواكب المشترى والمريخ والزُّهرة، ويمكن للناس الجالسين فى حجراتهم الخاصة فى بيوتهم من رؤية كل مايحدث فى العالم (١٠).

عالم هربرت جورج ويلز:

إذا اعتبرنا أن فيرن هو أحد الأدباء الطليعيين فى أدب النوع، فإن الكاتب الانجليزى هـ. ج. ويلز HERBERT GEORGE WELLS هو الأب الروحى الثانى لهذا الأدب. وإذا كان هناك تعارض بين النظريات العلمية التى سادت عصر فيرن وجاءت بعده، وبين أدب الكاتب الفرنسى – وهذا ماسنتناوله فى آخر الفصل – فان هذا التعارض يقل إلى حد كبير فى روايات ويلز الذى اهتم بالمناهج والمعطيات العلمية أكثر، فامتزج خياله الخصيب وقدرته الابداعية مع الفروض العلمية.

وقد ساعد هذا أن ويلز كان مؤرخا وباحثا وعالما اشتراكيا جادا، الأمر الذى جعل رواياته تحظى بقدر كبير من القابلية للتصديق حتى على المدى الزمنى الأكثر اتساعا. ولم تعد مجرد خيالات تأملية بقدر ما هى تنبؤات مقروءة فى المستقبل.

كما كان ويلز أحد المؤمنين بخلق يوتوبيا – مدينة نموذجية فاضلة – تطرق إليها فى رواياته وأبحاثه ودراساته المتعددة. وهو كاتب مارس التاريخ السياسى ودافع عن الفكر

(10) Jules Verne, Qui fut prophète en son pays, Progrès Egyptien, 22 Février 1941.

الاشتراكى . وعند الحديث عن حياة ويلز الروائية يمكن أن نقسمها إلى ثلاث مراحل تبعا لنوعية إبداع كل منها : فقد اتسمت الأولى بقدرته المتدفقة على التخيل إلى أبعد الحدود . فقد راح يفكر فى المستقبل البعيد وفى تصوره المثالى لما فيه . وكان من نتاج ذلك مجموعة من الروايات مثل **آلة الزمن** TIME MACHINE ١٨٩٥ ، وجزيرة الدكتور مورو ISLAND OF DR MOREAU ١٨٩٨ ، و "**الرجل الخفى**" THE INVISIBLE MAN ١٨٩٧ ،و "**حرب العوالم**" THE WAR OF THE WORLDS عام ١٨٩٨ .

أما المرحلة الثانية فقد انتقل فيها من التخيل العلمى إلى البحث القائم على التمحيص والتدقيق فيما يدرسه دون اللجوء إلى الخيال . وفى هذه الفترة ، قدم روايات منها تاريخ الدكتور ديللى STORY OF THE DOCTOR DILLY ، و "**كيبس**" KEABS .

وفى المرحلة الثالثة كتب ويلز قصصا أطول من التى كتبها فيما قبل ، مثل «عالم ويليام كليسولد» . و «شكل الأشياء فى المستقبل» ، و «عقل العالم» ، بالاضافة إلى «موجز تاريخ العالم» و«دراسات أخرى» .

وهربرت جورج ويلز المولود فى الحادى والعشرين من سبتمبر عام ١٨٦٦ بمدينة برومللى بأقليم كِنْت غرب لندن فى المملكة المتحدة ، هو أهم من أقام أدب النوع «على أسس علمية سليمة واستخدم خياله الخصيب وقدرته على الخلق والابداع لتصوير بعض النتائج البعيدة لتطوير العلوم ، ووضعها فى خدمة الإنسان . ولقد كان ويلز شديد الإيمان بالعلم وبقدرته على خلق عالم مثالى . كما كان مفكرا وفيلسوفا اجتماعيا نادى بضرورة استخدام العلوم ونشر مبادىء الاشتراكية والتنظيم الاجتماعى ليتحقق الفردوس على الأرض ويسود العدل والكفاية بنى البشر[١١] .

وقد لعبت طفولة الكاتب دوراً كبيراً فى الروايات التى كتبها . فقد كان أبواه يعملان فى الخدمة ببيوت أبناء الطبقة الراقية . وقد هجر الأب الخدمة كى يفتتح متجراً صغيراً للصناعات المعدنية . وعُرِف عنه أنه كان لاعبا محترفا للعبة الكريكيت . أما الأم – واسمها نيل – فقد عملت خادمة فى المنازل قبل اقترانها بجوزيف . ولم يكن دخل الأب يكفى من متجره وهو ما جعل الابن يتذوق طعم الحاجة . ومع ذلك فقد ورث هربرت عن أبيه حب

---

(١١) هـ .ج ويلز وأول رحلة إلى القمر. أنجيل بطرس سمعان – مجلة الفكر المعاصر – ديسمبر ١٩٦٩ القاهرة. ص ٨١.

القراءة والشغف بالكتب. فكان يتردد على المكتبات ومعاهد الدراسة لاستعارة الكتب. وقد «كانت للحياة فى هذا القصر كواحد من أبناء الخدم أكبر الأثر فى نفس ويلز الصغير. فقد كان الخدم يعيشون فى الأدوار تحت الأرضية حياة مليئة بالشقاء والتعاسة. ينتقلون فيما بينهم داخل انفاق خاصة حتى لايعكر وجودهم صفو حياة أسيادهم الارستقراطية المقيمين فى الأدوار العليا. وقد تأثر ويلز بهذه الأجواء تأثرا واضحا خاصة فى روايته الشهيرة «آلة الزمن» (١٢)

فى عام ١٨٨٠ التحق هربرت بمصنع النسيج فى مدينة وندسوركى كى يساعد أسرته فى تكاليف المعيشة. ولأنه لم يكن عاملا ناجحا ترك المصنع بعد فترة قصيرة. وعمل مساعدَ مدرس فى إحدى المدارس الابتدائية. ثم عمل مساعد صيدلى بمدينة ميدل هيرست. ثم عاد مرة أخرى إلى مصنع الجوخ. وفى عام ١٨٨٤ منح إعانة أسبوعية مقدارها جنيه عندما التحق بمدرسة نورمال للعلوم بساوث هامبتون فى لندن وعمل بها لثلاثة أعوام يدرس الكيمياء والطبيعة وعلم طبقات الأرض والفلك وعلوم الحياة. وكان استاذه فى علم الأحياء البروفسور توماس هنرى هكسلى والد الكاتب الدوس هكسلى ALDOUS HUXLEY وهو صديق وزميل العالم الشهير دارون. وعن تلك الفترة من حياته يقول: «كان العام الذى أمضيته فى فصل هكسلى بدون أى شك أكثر الأعوام الدراسية تثقيفا فى حياتى كلها. وبرغم أننى فى هذا العام كنت رث الملبس، قليل الغذاء ويعوزنى السكن الجيد فإنّ كل هذا لم يهمنى لأن عينىّ كانتا تتفتحان على الحياة (١٣)».

وفى عام ١٨٩٠ نال ويلز درجة علمية مع مرتبة الشرف والامتياز فى علم الحيوان من جامعة لندن، ثم عمل مدرسا لعلم الحيوان فى إحدى الكليات الجامعية للمراسلة. أى أن ويلز كان أقرب إلى العلوم كدارس منها كقارئ هاوٍ أو محترف. وهو بذلك أول واحد فى سلسلة طويلة من العلماء الذين احترفوا من كتّاب أدب النوع.

أصيب ويلز فى عام ١٨٩٣ بنزيف رئوى جعله ينقطع عن العمل للراحة فترة طويله وقد استغل هذه الفترة كى يكتب العديد من المقالات فى الكثير من الصحف والمجلات العلمية والأدبية. ثم بدأ يكتب الأقاصيص العلمية وينشرها فى تلك المجلات.

ومن هنا بدأ نجمه الأدبى يبزغ خاصة بعد أن نشر روايته «أول إنسان فوق سطح القمر» THE FIRST IN THE MOON وهذه الرواية تبدأ بداية واقعية، وتتقدم

---

(١٢) هـ. ج ويلز: مجلة هنا لندن. يوليو ١٩٨٦ ص١٩.

(١٣) المصدر السابق.

تدريجيا نحو عالم التجريب العلمى وتنتهى بحدث علمى خارق غير مألوف.. وهو نزول رجلين فوق سطح القمر مع نهاية القرن التاسع عشر.

يكتشف العالم كافور CAVOR مادة عازلة للجاذبية يطلق عليها اسم كافورايت نسبة إلى اسمه. وعندما يتعرف على الكاتب المسرحى بدفورد BED FORD يحدثه عن أهمية الاختراع الذى توصل إليه. فمن اللازم وجود مادة عازلة للجاذبية – وموضوع الجاذبية هو المؤرق الأول لأعضاء نادى بلتيمور – كى يمكن الخروج من نطاق الكرة الأرضية. ويقول بدفور إن على العالم أن يطبق استخدام هذا الاختراع بأن يصنعا سفينة قمرية ينطلقان بها نحو القمر. إذ يحدث عند صنع مادة الكافورايت انفجار عنيف يبعث بسقف العمل واجزاء كبيرة من منزل الجيران إلى عنان السماء. يشرح كافور لصديقه أن مادة الكافورايت قد عزلت الجاذبية الأرضية عن كتلة الهواء الملاصقة لها، فارتفعت إلى أعلى وحلت محلها طبقة من الهواء المحيطة بها، وعزلت هذه بدورها عن الجاذبية فانطلقتا إلى أعلى.

وتوحى هذه الحادثة لكافور أن يصنع سفينة قمرية، تصمم بحيث يمكن التحكم فيها ويستفيد من مادة الكافورايت CAVORITE فى إدارتها، وتصمم بطريقة يمكن توجيهها حيثما مايشاء قائدها. ويبدأ الإثنان فى تأسيس السفينة التى يستغرق إعدادها أشهراً طويلة. «أحسست فى أول الأمر بشىء من الدوار والذهول وأنا أقف على الزجاج وأنظر إلى القمر تحت قدمى خلال مئات من آلاف الأميال الممتدة فى الفضاء. ولكن هذا الإحساس لم يلبث أن تلاشى سريعا. ثم تخلف عنه الشعور بروعة المنظر وبهائه.

كان القمر، بسبب انعدام الغلاف الهوائى يبدو أشد تألقا وأكبر حجما بكثير. وكانت أدق التفاصيل على سطحه تبدو واضحة. ولما كنا لا نراه من وراء غلالة هوائية، فقد بدت خطوطه وتضاريسه مضيئة واضحة بدون وهج أو هالة محيطة به. بدقة خطوط جانبه غير المضىء. وفيما أنا واقف أحملق فى وجه القمر بين قدمى، عاودنى الإحساس بأنى أعيش فى حلم[١٤].

وفوق القمر يصف ويلز السكان الذين يعيشون هناك: فهناك اختلاف بينهم وبين أهل الأرض. إنهم أشبه مايكون بحشرة قريبة من النمل؛ نظرا لصغر أحجامهم ورقتهم وشفافيتهم. وقد فشل كل من كافور وصديقه فى التفاهم مع سكان القمر. فيقتل بدفور

---

(١٤) هـ.ج. ويلز: مغامرة فوق القمر. روايات الهلال، القاهرة: ١٩٦٢. ص٤٢.

العديد منهم ، على حين يود العالم أن يتفاهم معهم ، بعد أن أدرك أن لأهل القمر حضارتهم المتقدمة فى بطن القمر وعلى شواطىء بحاره القمرية . ويفتقد الصديقان مركبيهما الا أن بدفور عندما يعثر عليها يركبها ويعود بها إلى الأرض ، ويبقى كافور هناك يحاول أن يتعلم من سكان القمر لغة التفاهم ، ويبعث باشارات لاسلكية إلى سكان الأرض . ويوضح فى رسائله كيف أن أهل القمر يعيشون حياة أكثر رقيا وتطورا . فعالم القمر قائم على نظام دقيق أقرب إلى يوتوبيا جمهورية أفلاطون . أو لعله أشبه بآرون ، مدينة ويلز الفاضلة التى خصص لها كتابا منفصلا . فهم ينقسمون إلى العديد من الطبقات : الطبقة المثقفة التى تتكون من العلماء والمثقفين ، وعلى رأس هذه الطبقة يجلس «المثقف الأعظم» ، أما طبقة العمال فتتكون مما يمكن أن يسمى «أيدى الاله» . وهناك الشرطة القمرية وطبقات أخرى دنيا .

وتقول الدكتورة إنجيل بطرس سمعان إنّ هذه الرواية إلى جانب كونها رومانسية علمية من الطراز الأول ، فهى أيضا حلقة من حلقات الرواية اليوتوبية التى تقدم صورا للعالم المثالى . كما يتمناه بنو البشر أو كما يتمنون أن يكون فى المستقبل القريب أو البعيد ، بحيث تعد صورة العالم الخيالى تحذيرا لما قد يكون عليه العالم الحقيق أكثر من كونها صورة لعالم مثالى يرجى تحقيقه والاحتذاء به ، فويلز بالرغم من إيمانه الشديد بالعلم ، يشارك عددا غير قليل من مفكرى العصر الحديث فى إيمانهم بأن العلم الذى يمكن أن يقهر الكون قد يؤدى إلى القضاء على الإنسانية ، ويتحول إلى نقمة على البشر بدلا من أن يكون نعمة لهم » [١٥] .

ومن الرحيل إلى القمر إلى الرحيل عبر الأزمنة فى روايته «**آلة الزمن**» ، التى تروى حكاية رجل استطاع أن يخترع جهازا يتمكن به من الرحيل عبر الأزمان . سواء ناحية المستقبل أو الماضى فيسافر من القرن التاسع عشر الذى يعيش فيه إلى عام ٢٧٠١ ، ويصدم عندما يفاجىء ان المثالية التى ينشدها فى تلك الحقبة غير موجودة . فالعالم منقسم إلى قسمين : الأول هم مجموعة من البشر يطلق عليهم اسم ELOI يتوالدون فيما بينهم فوق سطح الأرض : أما الطبقة الثانية MORLOCKS فتتميز بشرتهم ببياض مقصور ، لأنهم يعيشون فى الجحور تحت الأرض أثناء النهار حتى إذا ما حل الليل يسعون من جحورهم لافتراس ELOI .

---

(١٥) هـ . ج . ويلز : مغامرة فوق القمر . روايات الهلال ، القاهرة . ١٩٦٢ : ص٤٢ .

"حدثنى الكثير من الناس عن البعد الرابع دون أن يعرفوه". وهو فى اسلوب آخر مواجهة الزمن، ليست هناك مسافات بين الأزمنة. فالبعد الرابع يختلف عن الأبعاد الثلاثة للمسافات بما يعنى أننا لا ندركه. لكن بعض الأغبياء ينخدعون فيما يعنيه هذا المفهوم. **هل تعرفون ماذا وراء البعد الرابع ؟**

قال الرجل الريفى : "**لا أعرف**".

انه ببساطة مساحة الفضاء فيما قدمه علماء الرياضة. فإذا كانت الأبعاد الثلاثة هى الطول والعرض والارتفاع. فمن غير الممكن الوصول إلى ما هو أبعد من هذه المسافات. فكل منها يصنع زاوية مع الآخر. ولكن بعض الأفكار الفلسفية طرحت تساؤلا هو: ولماذا ثلاثة أبعاد فقط؟ لماذا لا يكون هناك بعد رابع يصنع زاوية حادة مع بقية الأبعاد؟ لذا عملوا على صياغة نظرية حول البعد الرابع. لقد طرح هذا البروفسور سيمون نيوكمب SIMON NEWCOMB منذ أربعة أو خمسة أسابيع فى مؤسسة الرياضيات بنيويورك. أنتم تعرفون أن هناك بعدين فى المسطح الزمنى، ويمكن أن نصنع لهما بعدا ثالثا. ومن هذا المنطلق يمكن صناعة بعد رابع للأبعاد الثلاثة. هل تفهمون؟.

تمتم الريفى وهو يدعك عينيه وقد بدا شارداً بينما تتلاعب شفتاه : اعتقد.

من عبر الزمن وأبعاده الملموسة وغير الملموسة إلى جزيرة الدكتور مورو «انتقل ويلز فى رواية قد لا تنتمى كثيرا إلى الخيال العلمى قدر انتمائها إلى الفنتازيا العلمية أسوة برواية الدكتور فرانكنشتين. فكلا الرجلين يستخدم الطب لإجراء تحويلات فى البشر. وإذا كان فرانكنشتين يعيش فى قصره البعيد، فإن الدكتور مورو يقيم فى جزيرة معزولة يصنع فيها قانونه بنفسه، ويطبق هذا القانون على مجموعة من المخلوقات المشوهة والحيوانات المفترسة التى ليس عليها سوى الطاعة العمياء لأوامر الدكتور مورو. هذه المخلوقات كانت فى الأصل ناسا أصحاء يفكرون مثلنا، ثم حولهم مورو إلى مجموعة من الكائنات الممسوخة تتحرك وتفكر بأسلوب الحيوانات، وتنكر على نفسها هذه الصفة.

ويحدث أن يرسو قارب بحارينْ على شاطىء الجزيرة. وما أنْ يضعا قدميهما فوق أرضها حتى تنهال فوق أحدهما أيدٍ غامضة فتقتله وتسحبه خلفها. أما البحار الثانى فانه ما يلبث أن يقع بين أيديهم. أنه اندرو براودك الذى يجد نفسه مساقا إلى معسكر كبير يقوم على خدمته بشر غريبو الأطوار؛ فالخادم الأعرج له أذنان طويلتان، أما زعيم المكان فهو يعيش بعيدا عن البشر، ويتبنى فتاة حسناء تدعى ماريا.

يعرف أندرو من مساعد مورو أن زميله قد مات. لكنه لا يستطيع أن يعرف الكثير عما يدور حوله. وعندما يتجول فى الجزيرة يكتشف أن هذه المخلوقات قد أخذت أشكالا متعددة من خنازير ودببة وثيران، وعندما يراقب الدكتور مورو يكتشف أنه يجرى لزميله عملية ليحوله إلى حيوان، يرد على اندروجين يسأله عما يفعله بأنه يفصل عواطف الانسان وغرائزه بأن ينزع منه القدرة على التفكير ويجعل إحساسه بالأشياء باردا.

ويحدث أن يقوم صراع بين أحد المخلوقات وأحد النمور فيقتله، فيأمر مورو بتعذيب قاتل النمر. لكن أندرو يطلق عليه الرصاص كى يخفف من عذابه. وهنا تثور المخلوقات البشعة التى لم تفهم أن اندرو فعل ذلك بدافع الشفقة، فيطلبون الانتقام منه. ويقرر أندرو الهرب لكن مورو يهاجمه، ويحقنه بحقنة ثم يشرع فى تحويله إلى أحد المخلوقات الشاذة. وعندما يعترض المساعد مونتجمرى يقتله مورو فيثير سكانَ الجزيرةِ الممسوخين، فيطلبون الانتقام من مورو الذى ينهى عن القتل وسفك الدماء فيسقطونه من فوق جواده، ويقتلونه ثم يهجمون على منزله ويطلقون الحيوانات المتوحشة التى تفتك بهم «لم تعد هذه المخلوقات مجرد حيوانات مثل التى يمكن للقارئ أن يراها فى حديقة الحيوانات. ذئاب عارية، دببة، نمرة، ثيران، خنازير أو قردة. إنهم يحتفظون بأشياء غريبة فى تكويناتهم ففى كل منهم مزج مورو هذا الحيوان بالآخر، وربما أن أحدهم دب والآخر غزال أو ثور. ولكن كل منهم به شىء خاص من المخلوق الآخر. وله نوع خاص من الحيوانية التى تبدو فى سلوكه العام[١٦].

ويرى ويلز أن الانسان المحدود بجسمه يمكنه أن يستفيد من كل الكون المحيط به أكثر من المخلوقات الأخرى، وعلى الرغم من أنه لا فائدة للإنسان من القمر فهو يصعد إليه. فماذا فعل الإنسان بالقمر الا أن حوله إلى ساحة قتال ومهازل لا حدود لها، مثلما فعل الدكتور مورو بجزيرته؟! فمع ضآلة حجم الإنسان وقصر الزمن الذى يعيشه فوق الأرض، فإن لديه مايكفيه وأكثر ليفعله فى حياته. وحول هذه الفكرة دار كتابه فى «يوتوبيا الجديدة».

فقد استطاع ويلز من خلال كتاباته أن يتناول مشاكل المجتمع الذى يعيش فيه. ورأى عليه فى بعض الأحيان أن يصوغ هذا الواقع فى إطار خيالى. ففى «**آلة الزمن**» استخدم خياله العلمى كى يروى ألوانا جديدة من القصص غير المألوفة. وإذا كانت

(16) H.G. Weils. L'ile Du Dr. R. Moreau, Livre De Poche 777. Page 424.

الأزمنة التى رحل إليها مخترع الآلة مليئة بالشر أكثر من الأحلام عنده ، فيمكننا هنا أن نختار ما يتفق وخط كتاب الخيال العلمى كما ساقه الدكتور زكى نجيب محمود فى كتابه عن « **أرض الأحلام** » .

أما اليوتوبيا الحديثة فأول ما تنشده أن تكون الحياة متدفقة متطورة عصرا بعد عصر ، فلن نتحدث عن دولة كُتب لها الدوام ، ولكننا سنرسم حالة تعترف أنها حلقة من سلسلة متصلة كانت قبلها حلقات وسيأتى بعدها حلقات إلى غير نهاية معروفة . فلست أحاول أن أصد تيار الحياة المتدفق كما حاول السابقون . بل أريد أن اطفو على ذلك التيار بعنفه وقوته . فلو مثلنا المدينة الفاضلة القديمة بحصن مكين القوائم لا يحول ولا يزول ، كانت مدينتى الفاضلة التى أرجوها أشبه بدولة سابحة على ظهور السفائن . لا تنفك متحركة متغيرة ، وذلك هو الفارق بين يوتوبيا أقيمها على الآراء الحديثة وبين السوابق التى أنشأها كتابها على الأفكار الماضية .

أريد أن أصور حياة ، يمكن عقلا أن تظهر فى عالم الوجود بحيث نفضل الحياة الراهنة – ولن نفعل – كما أخطأ السالفون – فأشير بقلب طبائع الإنسان والأشياء ، وبأن يكون أفراد الناس على قسط موفور من الحكمة والتسامح والنبل والكمال . ولن أدعو الناس إلى حال من الفوضى ، فأنادى بأن يعمل كل فرد ما يروق له ، زاعماً أن أحدا لم يطبْ له أن يؤثر الشر. فليس هذا العالم الكامل من ممكنات الزمان والمكان ، ففى الزمان والمكان تسود « **ارادة الحياة** » التى يمكن أن تستتبع الوانا من الظلم. وسأحاول ما استطعت أن أكون عمليا فى التفكير فأحدد نفسى فى تعدد الطبائع البشرية – كما هى اليوم – وسأرسم الدولة المثلى فى عالم تتعاقب فيه الفصول ، وتنزل بالناس الكوارث المفاجئة والأمراض الفاتكة ، وسأصور الناس بحيث أعترف لرجالهم ونسائهم بالعواطف المتغيرة والرغبات المتقلبة ، فأنا أسلم بأن العالم قائم على صراع أزلى ، وفى هذا أيضا أخالف أسلافى من كتّاب « **المدائن الفاضلة** » [١٧] .

وقبل أن ننتقل للحديث عن أدباء الخيال العلمى الآخرين الذين شهدتهم تلك الحقبة يهمنا أن نتعرض لما وجّه إلى « الخيال » العلمى عند هذين الكاتبين من انتقادات

---

(١٧) زكى نجيب محمود ، مدينة الأحلام ، كتب للجميع ، دار الشعب ، ١٩٥٦ ص١٠٨ .

وآراء. فقد راح كتّاب العلم يحللون ويراجعون تخيلات الكاتبين. ولوحظ فى الكتاب الذى قدمه كوستللو عن فيرن أن الكاتب أفرد العديد من المحددات العلمية التى يمكنها التشكيك فى بعض ثقافة فيرن العلمية، وكما جاء فى عرض الكتاب الذى نشرته مجلة عالم الفكر أن الأخطاء التى وقع فيها فيرن أنه فى رواية **٢٠ ألف فرسخ تحت البحار** ألبس الرجال قلنسوة من الرصاص متصورا أنها تخفف من ضغط الماء الشديد على الرأس عند قاع المحيط. ولكن إذا أصبح ضغط الماء على الرأس أقل من ضغطه على الجسم، فإن ذلك يؤدى إلى اندفاع الدم للرأس فيسبب نزيفا فى المخ. لقد كان فيرن روائيا ماهرا ولكنه لم يكن عالما، فلقد خلط بين الجبارات والاخطبوطات. والفصل الذى خصصه فيرن فى روايته للحديث عن الأخطبوط العملاق الذى اختطف أحد البحارة، وقضى عليه غير مبنى على أساس علمى سليم، إذ إن الأخطبوط حيوان غير مؤذ. وعلى الرغم من مثل هذه الأخطاء، فإن رواية **٢٠ ألف فرسخ تحت البحار** تعتبر من أكثر روايات فيرن قدرة على التنبؤات العلمية، إذ إن علوم البحار منذ كتابة الرواية حتى الآن لم تتقدم بالسرعة نفسها التى تقدمت بها علوم الفضاء ووسائل ارتياده [١٨].

ويرى ميشيل تكلا أن فيرن قد حدد ولاية فلوريدا الأمريكية بالذات لانطلاق كبسولة الفضاء فى رواية «**من الأرض إلى القمر**»، وأن الكاتب ذكر أن مدينة تاميا هى أنسب مكان يمكن إطلاق الكبسولة منه. «وتقع مدينة تاميا عبر شبه جزيرة فلوريدا من كيب كيندى المكان الذى تطلق منه اليوم الأقمار والصواريخ ومركبات وسفن الفضاء". وهذا ما يجعل تكهنات فيرن مثيرة وذات مكانة فى تاريخ العلوم اليوم [١٩].

وأكد تكلا أن أهمية تخيل الكاتب العلمية أنه لم يقتصر تفكيره على مركبات الفضاء التى ستهبط فوق سطح القمر، بل تكهن وتخيل إمكان اختراع الإنسان لطائرات الهليوكبتر واكتشاف الغواصات للقطبين الشمالى والجنوبى والمناطيد ورى الصحارى وبناء ناطحات السحاب والتليفزيون وكل ما نراه اليوم ولم يكن معروفا فى عصره [٢٠].

---

(١٨) يوسف عزالدين عيسى، جول فيرن والأدب العلمى، عالم الفكر. ابريل ١٩٧٩ ص ٢٠٠.

(١٩) ميشيل تكلا: كائنات العوالم الأخرى. كتاب الهلال – يوليو ١٩٧٥ – القاهرة ص ٥٢.

(٢٠) المصدر السابق ص ٥٣.

أما بيير ديفو فيرى أن تنبؤات فيرن كانت من الاتزان الفكرى بحيث كانت توحى إلى الكثيرين من العلماء بالبحث فى وسائل تحقيقها ، وقد اعترف اكثر من مخترع بفضل كتبه عليه ، ومما قاله عنه ماركونى : «صور فيرن للناس رؤى مجسمة ، تمنوا أن يفعلوا مثلها. وحفزتهم إلى محاكاتها».

وقد قال سيمون ليل مخترع الغواصة الحديثة إن كتب فيرن أوحت له بفكرة الغواصة [٢١] .

ويرى جورج تيرنر، أن فيرن خلق «النوع الأولى الفرعى المسمى الخيال العلمى التكنولوجى» ، حيث تشكل البدائل من جراء استخلاصها من الحقائق العلمية الصلبة ، وبذلك يتم تخطى القواعد الواقعية ، فى حين كان الإصرار على المنطق بدل اللامسئولية الخيالية يبعد الأعمال عن صيغة الخيال الفنتازى FANTASY . ولاحظ هـ .ج . ويلز– معاصر فيرن الأصغر – أنماطا بديلة غير تلك الأنماط التكنولوجية فى أدب الخيال العلمى . ويمكن اعتبار ويلز الأب الحديث للأعمال التأقلمية التى تمثل الخيال العلمى فى أفضل حالاته . ومما طرحه هو أن فكرة أشكال الحياة البديلة ليس سرابا خياليا بل احتمالات منطقية لابد من أن تكون جزءا من أيّة رؤية عقلانية للكون – وبذلك كان سكان كوكب المريخ فى كتاب «**حرب العوالم**» دليل إنذار حار على أننا لسنا البشر الوحيدين [٢٢] .

أما مجلة الهلال فقد كتبت عن فيرن فى عددها الصادر فى يوليو ١٩٥٩ أنّ من أعجب ماكتبه جول فيرن أن الأمريكيين بالأمس سيكون لهم دور رئيسى فى تحقيق هذه الأحلام . فمن الأراضى الأمريكية أطلق أول قذائفه الخيالية إلى القمر ووضع فيها البشر والكلاب . وهذا يتحقق الآن [٢٣] .

أما هـ .ج . ويلز فقد أثار انتقادات أقل بكثير مما وجهت إلى فيرن . وقد كتب عنه برتراند رسل أنه كان صاحب طاقة على «تنظيم مواد كتاباته داخل عقله . كما كان محدثا

(21) Pierre Devaux, La vie Merveilleuse De Verne Agence De Pen, L3 Fev 194L.

(٢٢) جورج تيرنر، الخيال العلمى كأدب (ترجمة كوثر الجزائرى) الثقافة الأجنبية – بغداد شتاء ١٩٨٣ .

(٢٣) جول فيرن . مجلة الهلال . يوليو ١٩٥٩ ص ٣١ .

نشيطا رشيقا مرحا وكانت عيناه شديدتى التألق. وكان يجيد تخيل سلوك الجماهير فى الظروف غير العادية كما جاء فى وصفه بالعديد من رواياته. ومن الناحية السياسية كان من أولئك الذين جعلوا المساواة الاجتماعية محترمة فى انجلترا، وكان لها تأثير بالغ على الجيل الذى تلاه فى السياسة والأخلاق (٢٤).

أما تيلر فيقول إنّ الكثير من تنبؤات ويلز كان بعيدا عن محجّة الصواب، ولكن بعضها قد ثبت صحته، ومخططو التنظيمات العالمية وزعماؤهم يصفرون بالحان ويلز، وأن كانوا قد نسوا مؤلفها.

فنحن لا نزال فى حرب من أجل وضع نهاية للحرب. فهناك واحدة منها فى فيتنام، ونحن جميعا ننعم بخيرات الاقتصاد المخطط حتى نعلم أن التيار الكهربى قد انقطع (٢٥).

لم يكن فيرن وويلز فقط فارسىْ الخيال العلمى فى تلك السنوات. ففى الولايات المتحدة الأمريكية أعُجب مارك توين MARK TWIN بفكرة آلة الزمن التى سبقه إليها ويلز وعلى غرارها قدم رواية طريفة لا تعتبر إحدى علاماته البارزة تحت عنوان «قصة أمريكى فى بلاط الملك آرثر» ACINNECTI CUT YANKEE IN THE COURT OF KING ARTHUR حيث تناول موضوع آلة الزمن. فنرى بعض رجال الغرب الأمريكيين ويدعى بوش مورجان يقومون بركوب آلة زمن تنزل بهم فى عصر الملك آرثر عام ١٠٨٦، حيث يتم الربط بين الحاضر والماضى، بين الأسطورة والتاريخ. فهناك المفارقات التى يمكن أن تحدث من رجل يعود به الزمن إلى مئات السنين. فرجل الغرب لا يفهم قوانين العصر الذى نزل فيه. وعليه أن يشارك فى صنع الأحداث التى شهدها ذلك العصر الذى يفخر به الانجليز. فهو أول من شاهد المائدة المستديرة ويلعب دور الفارس لانسلوت الذى أحب الملكة جنيفيف وأدى إلى تدمير عرش البلاد. ورجل الغرب هنا هو انسان نبيل طيب يساعد الملك آرثر ضد خصومة الأشرار. أما الخلفية «الأرثرية لقصة مارك توين تبدأ خلالتها الثرية فى الفروسية والتكنولوجيا هى اسطورة كما هى تاريخ. وقد أدت هذه الرواية إلى ظهور نوع أدبى من الخيال العلمى العام يقدم فيه

---

(٢٤) نهاد شريف، هـ. ج. ويلز. مجلة الجديد ١٥ أبريل ١٩٧٦ ص٤٧.

(٢٥) ا. ج. تيلر، هـ. ج ويلز. فى الذكرى السنوية المائة لمولده. مجلة العربى ١٠ مايو ١٩٦٦ ص٧٢.

الأفراد المحدثون وحتى المستقبليون فى عوالم الحلقات العظيمة للأسطورة والرومانسية »[٢٦].

لم يكرس مارك توين قلمه فى خدمة أدب الخيال العلمى. ولعل فكرته فى هذه الرواية أقرب إلى الخيال الجامح من الخيال العلمى. ولكننا أوردناها هنا لأنه استخدم آلة الزمن كفكرة أساسية للربط بين العالمين. كذلك فإن الكاتب ادجار رايس بورو EDGAR RICE BURROUCH (١٨٧٥ - ١٩٥٠) مبتدع شخصية طرزان قد صعد أيضا إلى الفضاء فى إحدى رواياته. كذلك فعل آرثر كونان دويل ARTHUR CONAN DOYLE مبتدع شخصية شرلوك هولمز عندما جعل أبطاله يسافرون فى أوائل القرن العشرين إلى القمر..

فى تلك السنوات شهد أدب النوع أسماء كثيرة لا تقل جودة وأهمية عن فيرن وويلز. ولم يقتصر ظهور هذا الأدب على بلد معين دون آخر. ففى انجلترا ظهر صموئيل جونسون SAMUEL JOHNSON صاحب قصة راسلاس RASSELAS ، وتوماس كارلايل فى كتابه عن سارتور رستاريوس SARTOR RESTARUS ، وفى بولندا ظهر أدباء عديدون كتبوا للخيال العلمى مثل انتونى لانكه ANTHONY LANKE (١٨٦١ - ١٩٢٩) صاحب رواية « **البعد الرابع** ». أما فلدسلاف أومنستى VLADYSLAW UMINSTI (١٨٦٥ - ١٩٤٩) فقد قدم فى عام ١٨٩٥ رواية بعنوان « **فى عوالم مجهولة** » صعد فيها أيضا إلى أبعد مما راح ويلز وفيرن فى تلك السنوات ، أما جيرسى زوالفسكى JERZY ZULAWSKI فقد قدم ثلاثية القمر وهى على التوالى : « **فى أجواء قضية** » عام ١٩٠٣ ، « **الفائز** » ١٩١٠ ، « **الأرض القمرية** » ١٩١١ .

فى الرواية الأولى تناول جيرسى قصة إحدى البعثات المسافرة من الأرض إلى القمر. إنها رحلة تختلف عن رحلة كافور؛ لأن أبطالها لن يعودوا إلى الأرض. أما فى الرواية الثانية فان محاولة السفر نحو القمر تتكرر. ويرحل إلى هناك رجل بعد مئات الأعوام. ويطلق على نفسه صفة « **مخلص البشرية** ». وفى الرواية الثالثة يأتى ببعض سكان القمر إلى الأرض

---

(٢٦) و. م. رسل ، الحكاية الشعبية وقصة الخيال العلمى. ترجمة كاظم سعد الدين مجلة الثقافة الأجنبية. بغداد. ربيع ١٩٨٣ .

فى مقابل غزو سكان الارض إلى القمر. وفى مقال كتبه فرنر روتن شتاينر عن أدب الخيال العلمى فى أوروبا الشرقية يقول الكاتب إنّ من أولى الروايات التى صدرت فى الاتحاد السوفيتى من هذا النوع هما رواية ٤٣٣٨ التى تدور أحداثها فى القرن الرابع والأربعين. وقد صدرت هذه الرواية عام ١٨٣٥، ومؤلفها هو W.ODJEWSKI وقد تداولتها الأيدى فى تلك الآونة منسوخة بخط اليد. وقد غدت روسيا فى تلك الأونة مركزا نظرا للانحطاط الذى حل بالأمريكيين. «وتروى القصة من خلال وجهة نظر رجل صينى يزور روسيا فى القرن الرابع والأربعين ويطلع صديقه فى بكين عن معايشاته عن طريق الرسائل».

إنِ لهجتها ساخرة وخيالية أكثر مما هى تنبؤية. وموقف الكاتب استعلائى واضح؛ ففيها تدرج إلى أعلى مستوى اجتماعى. [٢٧].

ويقول الكاتب إنّ تلك الآونة قد شهدت كتّابا مثل اوديويفسكى ODOJEWSKI وزيو لكوفسك K.E. ZIOLKOWESK. أما المجر فقد قدمت أدباء مثل موريا كاى MORJAKAI (١٨٥٢-١٩٠٤) الذى يعدمن أبرز كتاب أدب الخيال العلمى فى المجال، ومن أبرز رواياته «**تاريخ العصر الجليدى .. ٢٠ عاما من عصر الجليد**».

وهكذا نرى أن أدب الخيال العلمى فى سنواته الكلاسيكية لم يكن حكرا على بلد دون آخر، ولم ينبغ فيه أدباء الغرب وحدهم. فبلاشك أن هذه الاسماء التى كتبت من الشرق قد كانت أكثر اتساعا من محاولات كتاب الغرب رغم أن العديد من هذه الروايات لم تترجم بعد إلى اللغات الأوربية. ولذلك فأنها لم تصل بعد إلى القارىء العربى.

والسؤال. أين نحن فى تلك السنوات؟ إن فكرة رواية «حديث عيسى بن هشام» للمويلحى بفنتازيتها أقرب بلاشكِ إلى تلك المحاولات، رغم تلك الهوة الشاسعة بين ما تحمله وبين ما قدمنا من نماذج أدبية لهذا النوع. لكنها على اى حال مجرد محاولة لا تخلو من الاجتهاد، رغم أن العرب لم يكونوا قد عرفوا بعد أن العالم فى تلك الأونة قد شهد مولد هذا النوع.

---

(٢٧) فرانز روتن شتاينر، أدب الخيال العلمى فى أوروبا الشرقية. ترجمة إقبال أيوب. الثقافة الأجنبية. بغداد. ربيع ١٩٨٣ ص.



الفصل الثالث

سنوات النشاط المحدود



سنوات النشاط المحدود

لا يمكن أن نقول إنه فى أدب ما – خاصة نوع الخيال العلمى – قد ظهر فى سنة محددة ، وإنّ مرحلة ما تبدأ بظهور كاتب أو كتّاب ، وإنما المسافات الزمنية متصلة ، وهناك دائما خطوات ممهدة لعلامات محددة معروفة . لذا لا يمكن أن نقول إنّ المرحلة الثانية من أدب الخيال العلمى قد ظهرت بظهور اختراع معين أو بكتاب أو رواية من أدب النوع . ورغم أن هذه المرحلة كانت تعاصر – زمنيا – حياة هربرت جورج ويلز ، فإنّه قد انفصل عن أدب الخيال العلمى ، وسار فى دروب أخرى .

وإذا كان من الصعب تحديد بداية سنوات هذه المرحلة . فإنّه قد اتفق على أنها انتهت فى عام ١٩٣٨ بظهور مجلات الخيال العلمى التى أشرف عليها جون كامبل كما سنرى . وقد اختلف الكثيرون حول هذا التقسيم . لكن دعنا – تجاوزا – نفترض أن الكتّاب الذين سنتناولهم فى هذا الفصل ينتمون فى إبداعاتهم إلى العشرينات والثلاثينات من هذا القرن .. وسوف نلاحظ أن هناك سمات مشتركة تجمع نوع الخيال العلمى فى هذه الحقبة سنوجزها فى النقاط الآتية :

* التخلى بدون رجعة عن المنظور القديم لمذهب تشبيه كل الموجودات بالإنسان . وقد مر الخيال العلمى فى أوائل القرن بحالة من الركود . وأصبح فى غالبه للتسلية والترفيه . والتصق بالرواية الشعبية ؛ خاصة البوليسية منها وهو ما افقده أهميته وشعبيته . والفترة السابقة التى أعقبت الكلاسيكيين قد خلت تقريبا – إلا من بعض الاجتهادات الخاصة – من وجود اسم لامع اكسب النوع شيئا من الوقار .

ولأن هذه المرحلة هى امتداد لتلك السنوات ، فلم يكن من الصعب الخروج عما صنعه الرواد إلا فى أضيق الحدود ، مثل التخلى بدون رجعة عن تشبيه كل الموجودات

بالإنسان. وهذا هو المدخل إلى الخيال العلمى فى تلك السنوات، وهذا يعنى أنه بدأ يدخل مرحلة الصبا بعد أن ظل ملتصقا بالقرن التاسع عشر التصاق الجنين بأمه طوال فترة الرضاعة. ورغم ارتباط الطفل والصبي بأمه فيما بعد، فإنّ هناك انفصالا شهد مثيله نوع الخيال العلمى.

لذا كان على أدب الخيال العلمى وهو فى هذه المرحلة الانتقالية أن يأخذ من ميراث القرن التاسع عشر ما يؤهله للاندماج فى حضارة القرن العشرين التى ستقلب كل المعتقدات رأسا على عقب. ورغم أن التيار الرجعى لا يزال موجودا يهتم بعملية التسلية من خلال مغامرات غزو الفضاء أو الحروب الكونية أو بين السكان فى المجرات، فإن جزءا من الباحثين وكتّاب الخيال العلمى قد اهتموا بجوانب أخرى لم تستغل بعد. واستكشفوا فى حمّى ولهفة كل الاتجاهات التى تفرض نفسها على مخيلتهم. ومن هذه اللحظة فصاعدا أصبح هذا الجانب أكثرها أصالة فى تيار الأفكار، وأكثرها إثارة للعقل.

* سميت قصة الخيال العلمى فى تلك المرحلة – ضمن تسميات عديدة – بأوبرا الفضاء. وكما هو معروف فإن رواية الخيال العلمى التأملية SPECULATIVE تقوم على تخطيط أساسى محدد ألا وهو اختيار فكرة إمكانية الانطلاق. ثم دراسة الفكرة ونتائجها فى كل المجالات بتقويم استقلال منطق وخيالى جامح فى آن واحد. وبسبب هذه التقنية المقيدة نجد أن القصص الأكثر تمثيلا لهذا النوع من الخيال العلمى ستتمثل فى نهاية الأمر فى قصص قصيرة. ففكرة واحدة أساسية لا تكفى مادةً لكتاب بأكمله، أو لمجموعة أفكار متواكبة. فسوف تبعثر المنطلق فى كل الاتجاهات على تشويه المعطيات على إثر تفاعل عامل واحد مختار مع آخر[1].

إذن فقد اعتبرت هذه المرحلة حالة انتقالية إلى الصورة الحالية التى يعيشها أدب النوع منذ الأربعينيات وحتى الآن.

* لذا فإن كل الأدباء الذين كتبوا فى النوع فى هذه السنوات ليسوا أوفياء له مثلما حدث سابقا وسيحدث فيما بعد. وأغلب هؤلاء الأدباء الذين ينتمون إلى المرحلة الثانية قد

---

(1) Roland La Corbe, Le Cinema De Science Fiction, Ecran, Juillet 1977 P. 32.

جربوا أدب النوع ضمن أنواع أخرى عديدة ، ومنهم كارل تشابلك ، والدوس هكسلى وبلجاكوز وآخرون. وكان الخيال العلمى إحدى المحطات التى توقفوا عندها. أما النوع الآخر فقد أخذ يكتب روايات شعبية ذات طابع بوليسى.. ولم يبق من هذه الروايات لا أسماؤها ولا أسماء كتابها .. وقد امتلأت الصحف اليومية بمئات من الروايات المسلسلة من هذا النوع.

* استطاع الخيال العلمى أن يزحف من الرواية إلى أشكال أخرى من فنون التعبير مثل القصة القصيرة والمسرحية والقصيدة الشعرية. كما انتقل إلى فن شعبي آخر وهو الرسوم المتحركة ، سواء فى المجلات المتخصصة لذلك ، أو فى الصحف السيارة أيضا ؛ وذلك لأنه أصبح «موضة» يتهافت على قراءتها وكتابتها الكثير. وهذا يؤكد النقطة السابقة.. وهى أن الكتّاب الذين يميلون إلى الأنواع الأخرى قد جاءوا إلى الخيال العلمى على سبيل التجريب أولا.

* تمكنت السينما فى تلك الفترة أن تسحب البساط من أدب الخيال العلمى. وقام العديد من السينمائيين بكتابة أفلام لاتعتمد على النص الأدبى المكتوب.. ربما لأنه لم يكن هناك نص يليق بمخرج مثل فريتز لانج صاحب فيلم «متروبوليس» METROPOLIS عام ١٩٢٦ ، وإلى جوار ذلك انتشرت أفلام كثيرة عن الوحوش العملاقة القادمة من الفضاء ، أو عن الرجل الخفى. وهى أفلام تعتمد على الخدع السينمائية المبهرة للأنظار التى لا يمكن رؤيتها فى كتاب دائما على شاشة بيضاء فى قاعات العرض.

رغم أن الكاتب الدوس هكسلى ALDOUS HUXLY هو أحد أبرز أدباء الخيال العلمى فى هذه السنوات من خلال روايته **«عالم جديد شجاع»** A BRAVE NEW WORLD فإنه لم يكن وفيا لأدب النوع. فقد تنوعت اهتماماته وكتاباته ، كما تنوع عطاؤه. فقد كتب إلى جانب الرواية العلمية البحوث الأدبية ، والرواية النفسية ، والمقال التحليلى ، والدراسات العلمية الأدبية.

ولد ألدوس هكسلى فى المملكة المتحدة عام ١٨٩٤. وبدأ نشر إنتاجه القصصى فى أوائل العشرينات. وقد شكلّت قصصه ورواياته المبكرة بداية مرحلة تميزت بالتعبير عن

ذلك القلق الذى ساد فترة فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ؛ سواء فى الناحية الاقتصادية التى مالبثت أن أدت إلى سنوات الكساد الكبير، أو فى الجوانب الاجتماعية والفكرية والثقافية .

والدوس هكسلى هو شقيق السير جوليان هكسلى الباحث البيولوجى المعروف . وأبوه هو الكاتب ليونارد هكسلى أكبر أبناء العالم توماس هكسلى ومؤلف سيرته الذاتية . أما أمه فهى جوليا آرنولد ابنة توماس آرنولد شقيق الشاعر والناقد الفيكتورى ماثيو آرنولد ، أما مربيته التى تولت رعايته بعد وفاة أمه فهى السيدة همفرى وارد HUMPHRY WARD الكاتبة الروائية .

وقد أردنا أن نؤكد على هذا المزيج بين الجانب العلمى والأدبى عند هكسلى كى نوضح مدى تأثره بكل من الجانبين فى صناعة روايته **«عالم جديد شجاع»** . فقد دفع هذا العالم الأسرى هكسلى إلى دراسة علوم الطب . وكان فعلا على وشك التخصص فى دراسة علم الأحياء BIOLOGY ، الا أن اصابته بالتراكوما قد حال دون ذلك فبدا ، أن عليه أن يتخيل ، فبدأ فى تعلم القراءة والكتابة ، والعزف على الآلات الموسيقية وكتابة النوتة بطريقة بريل ، كما تعلم الطبع على الآلة الكاتبة التى كتب بها وهو فاقد البصر بعض رواياته .

" بدأت الكتابة حينما كنت فى السابعة عشرة . فى فترة كنت فيها قريبا من العمى كل القرب ، ولم يكن فى قدرتى أن أفعل شيئا آخر. وقد كتبت رواية على الآلة الكاتبة بطريقة اللمس . ولم يكن فى استطاعتى قراءتها : ولا أعرف الآن ماذا تم فى أمرها ، وأغلب الظن أنها فقدت ، وكانت عمتى السيدة همفرى وارد بمثابة أم فى العماد ، وقد درجت على تبادل أحاديث مطولة معها فى الكتابة والتأليف ، فكانت تزودنى بمشورتها وآرائها الصادقة . وكانت بدورها مؤلفة قديرة وخاصة فى ابتكار العقد الروائية المحبوكة ، وفى اثناء الحرب ومابعدها أتيح لى أن التقى بالعديد من المؤلفين من خلال ليدى آتولين لوريل ، وكانت تدعو إلى بيتها الريفى أناسا من كل المذاهب والمشارب ، فقابلت عندها كاثرين مانسفيلد CATHRINE MANSFIELD وسيجفريد ساسون S IGEFRED SESON وروبرت جريفز ROBERT GREAVS وأفراد أسرة بلويدى جميعا ، وقد

شعرت أنني مدين بفضل كبير وامتنان بالغ لروجر فراى. إذ كان الاستماع إلى حديثه عن الفن لونا من التثقيف السخى. ثم عندما كنت فى اكسفورد بدأت أكتب الشعر» [٢] .

ولأننا لسنا بصدد تناول حياة المؤلفين فى هذا الكتاب بقدر ما نحن بصدد التعرض للخيال العلمى. لذا فسوف نقدم أسماء أهم الروايات التى كتبها الدوس هكسلى والتى من أهمها : «**تقابل الألحان**» POINT COUNTER POINT «**ضرير فى غزة**» EYELESS IN GAZA و«**جزيرة**» ISLAND و«**صيف بعد صيف**» AFTER MANY SUMMERS.

يقول الدوس هكسلى عن هذا اللون من الأدب : «أريد أن أبين كيف يمكن للبشرية أن تبذل قصارى جهدها لتهيئة الخير للعالمَيْن الشرقى والغربى معا فى «يوتوبيا» أو مدينة فاضلة تتمتع بالرخاء وترفرف عليها السعادة. أننى لم أفكر فى نهاية القصة بعد، لكن أخشى أنه لابد وأن تكون من نوع ختام الفردوس المفقود، إنْ أردنا أن نكون واقعين [٣] .

نشر الكاتب روايته عام ١٩٣٢ . وفيها قدم تصورا لعالم المستقبل الذى انتصرت فيه الآلة والتقنيات والعلوم من ناحية والتنظيم السياسى من ناحية أخرى. فى ذلك العالم لايولد الأطفال بالطرق الطبيعية، بل يصنعون فى أنابيب الاختبار ويشكلون تبعا لاحتياجات المجتمع الذى يحدد سياسته.

زمن الرواية هو عشرات القرون فى المستقبل البعيد. أما المكان فهو عالم جديد شعاره «الجماعة، التشابه، الاستقرار».

وتبدأ الرواية بعد أن سار هذا العالم الجديد مئات من السنوات فى طريق تطوره، فأصبح محدد الملامح، وانتهى طور التجريب بالنسبة له. وأبطال هذه الرواية عشرة أشخاص يحكمون العالم بأجمعه يليهم فى الأهمية مجموعة من الإداريين المعروفين تحت اسم «معامل التفريخ والتكييف المركزية».

---

(٢) محمود مسعود، (مترجم)، مع الشوامخ فى أبراجهم، كتاب الهلال، ديسمبر ١٩٨١ القاهرة ص٧٨.
(٣) المصدر السابق.

والكومبارس هم أبناء الشعب ، حيث ينقسم كل شعب فيما بينه إلى طبقات مميزة هى الألفا ALPHA ، والبيتا BETA ، والجاما GAMA ، والسبالون SPALON ولكل فئة من الأربعة زى مميز ولون يختلف عن لون الآخر.

والمراقبون العشرة يقومون بتنسيق العمل بين أنحاء العالم . أما المديرون فعملهم يتسم بجانب كبير من الحساسية . إذ يشرفون على «معامل التفريخ والتكييف» . و«معامل التفريخ والتكييف المركزية هذه معامل هائلة يصنع فيها الإنسان ويعيش فى طفولته . وقد احتكرت صناعة الإنسان احتكارا كليا حتى ينسى العصر الذى كانت تحمل فيه النساء وتلد ، وأصبحت كلمة الأم لا تعنى شيئا بالنسبة للكثرة الساحقة من شباب ذلك الجيل . وتحمر لها وجوه القلة المدركة لمعناها كما يحمر وجهك خجلا حين تسمع كلمة نابية غير مهذبة [٤] .

وقد تم تصميم معامل التفريخ والتكييف المركزية من أجل صنع الإنسان فى المقام الأول ، ثم تكيفه جسديا وعقليا وعاطفيا وخلقيا ، نطفة فجنينا بالغا ، وهى فى كل هذا تهدف إلى تحقيق شعار الدولة : «الجماعة – التشابه – الاستقرار» .

فالبويضات تلقح فى أنابيب الاختبار بعد التأكد من نقاوتها ، وتوضع عقب تلقيحها كل فى آنية زجاجية منفصلة يكتب عليها تاريخ التلقيح والاسم . ووفقا لخطة مرسومة تقسم البويضات الملقحة إلى طبقات المثقفين والفلاحين والعمال والجنود وفقا لحاجة المجتمع ثم تحصن هذه البويضات من الأمراض ؛ فيطعم من رُسم لها العمل فى المناطق الحارة ضد أمراض المناطق الحارة كالتيفوئيد ومرض النوم ، ويمنح من كتب عليهم العمل فى المناطق الباردة القدرة على تحمل البرد بخفض درجة الحرارة تدريجيا [٥] .

ففى هذا العالم الجديد ينتمى بنو البشر إلى فئات محددة ، لكل فئة صفات مميزة تأتى نتيجة للتحكم الكيماوى البيولوجى الذى يقوم به العلماء عند اختيار البويضات للتفريخ أولا ، ثم معالجتها بالطرق العلمية أثناء نموها فى أنابيب الاختبار ثانيا . ثم بعد فقسها أو خروجها إلى العالم الخارجى عن طريق استخدام الوسائل الفسيولوجية والنفسية .

---

(٤) رشاد رشدى . البحث عن عالم جديد . مجلة الجديد . ديسمبر ١٩٧٧ ص ١٠ .

(5) Aldous Huxley. Le meilleur du monde. Le livre plastique, 1951, p.37.

وفى هذا العالم أصبحت كلمة الميلاد أو الأب أو الأم كلمات نابية يتحرج الجميع من ذكرها فإنْ ذكرت عرضا فى محاضرة علمية أو حديث تاريخى أحمرت الوجوه وتلاقى السامعون عيون بعضهم البعض ، أو تضاحكوا ان كانوا أكثر جرأة ، كما يحدث الآن عند سماع أحدى النكات الجنسية ، ولا يعنى هذا أن الجنس قد اختفى من العالم . فبعد أن تحرر الناس من انجاب الأطفال أصبحت الممارسة الجنسية غير معقدة . تشجعها الدولة ما دامت غير مرتبطة بشخص بالذات ، بحيث يمكن ان تؤدى إلى ارتباط عاطفى أو علاقة شخصية بين فردين من الأفراد ، وما دامت تتخذ الاحتياطات اللازمة لضبط عملية الانجاب . أما ما اختفى بالعقل فهو الحب بالمعنى المعروف فى عصرنا كما اختفت العلاقات الإنسانية بوجه عام .

لذا فإن الفرد فى عالم هكسلى سعيد لا يعرف الهم والألم ، صحيح لا يدهمه مرض ، ولا تنساب إليه الشيخوخة . اجتماعى لا يشكو الوحدة . وسائل العيش ميسرة ، وأسباب الاستقرار موفورة ، راض عن نفسه وعن عمله وعن طبقته ، مسلم أمره فى حماسة إلى من يتولون أمره . لا يفرح ولا يغضب . ولا يكبت رغبة ولا يدفع مللا . فإذا ما تسرب إلى نفسه بعض الملل عمد إلى حبوب « السواء » وهى أفيون لا ضرر له فتنقله إلى عالم وردى ليعود إلى الحياة أنشط وأقدر[٦] .

وبطلة رواية هكسلى هى الفاتنة لينينا LENINA التى تعمل فى غرفة التلقيح . وهى حسناء ممشوقة ترتدى « شورت » قصيرا من القطيفة الخضراء . وتتحزم بحزام مراكشى مزخرف . عندما تستحم تجفف جسمها بمجفف كهربائى ، وتغطيه بطبقة رقيقة من « بودرة التلك » برشاش كهربائى . وتتعطر من صنابير عطور عديدة تمتلىء بها غرفة الحمام : هذه الحسناء بدأت تتمرد على السلوك العام السائد فى عصرها . فهى تكتفى بصديق واحد طوال مدة طويلة . لم تعرف خلالها رجلا آخر .. وعندما تناقشها إحدى زميلاتها أن ما تفعله خروج على مبدأ « **الكل للواحد والواحد للجميع** » تقرر ان تتعرف على برنارد صديقها الجديد .. وهو رجل غريب السلوك متمرد مثلها ولا يحب نوع العلاقات السائدة

---

(٦) د . رشاد رشدى . البحث عن عالم جديد . مجلة الجديد ديسمبر ١٩٧٧ ص ١٠ .

فى عصره . وانما يحب بأسلوبه هو أسلوب القرن العشرين . حيث يطلب لينينا لنفسه دون الجميع .

وفى رحلة إلى المكسيك جمعت الاثنين معا . يتحدث برنارد إلى المرأة عن أفكاره ومبادئه . ووسط توجس من لينينا ترى مايدور فى داخل «**معسكرات الاعتقال للمتوحشين**» ، وهم قوم من البدائيين يعيشون على السجية والطبيعة دون تدخل من الأجهزة التى سادت هذا العصر. وهذه البدائية مقرونة عند هكسلى بالألم والفقر والمعاناة والعوز والشيخوخة . ورغم اشمئزاز لينينا من هذا العالم ، فإنها تشعر بالأعجاب بسافادج SAFAGE المتوحش ، فهو رجل طويل القادمة ، وطلعته بهية وذكى الملامح . يطلب من لينينا وبرنارد أن يتفضلا بزيارة أمه التى أصابتها الشيخوخة ، والتى تحكى لها أنها فى يوم ماكانت صبية جميلة وأن السن والحمل والأمومة قد صنعت شيخوختها ، وأنها عبثا حاولت التخلص من جنينها بعد اتصال جنسى بوالد سافادج .

وجدت لينينا إذن عالما جديدا يختلف ، كريها بالنسبة لها ولما اعتادته فى دنياها ، لذا تقرر أن تصحب الأم وابنها معها لدراسة هذه الحالة الجديرة بالبحث ، خاصة أنه رجل رقيق يحب الانتماء . ويميل إلى الفضيلة ويفتقد فى الحضارة الجديدة كل المعانى المحببة إلى نفسه .

من الجدير بالذكر أن هدف هذه الرواية «ليس الاستغلال الاقتصادى ، وليس حتى الرغبة فى التحكم والسيطرة ، فهى تخلو من التعطش للقوة ومن السادية ومن أى نوع من أنواع القسوة ، وأولئك الذين يتربعون على القمة ليس لهم دافع قوى للتربع عليها . وبالرغم من أن كل إنسان سعيد سعادة فارغة من أى مضمون ، فان حياته أصبحت عديمة المعنى إلى درجة يصعب معها التصديق بأن مثل هذا المجتمع يمكنه أن يدوم [٧] .

وإذا كانت رواية هكسلى تصور مستقبل العالم في عام ٦٣٢ بعد الميلاد فورد – وهو تقويم ابتدعه الكاتب – فن الواضح أنها تستند إلى أسس أكثر علمية من الأسس التى تستند إليها رواية ١٩٨٤ . ورواية هكسلى تنم عن ثراء خيال مؤلفها العلمى ومعرفته

(٧) رمسيس عوض ، جورج أورويل حياته وأعماله . الهيئة العامة للكتاب . القاهرة ١٩٨١ ص١٦٧ .

الوثيقة بالتفاصيل التكنولوجية . يدلنا على ذلك ما استحدثه فى روايته من أساليب التفريخ والحضانة وتشكيل الأطفال علي أساس البافلونية الجديدة وتلقين هؤلاء الأطفال اثناء نومهم . ويعترف أورويل نفسه بالأساس العلمى الذى تستند إليه " عالم جديد شجاع " فيقول فى مقاله عن زامياتين :

" وبمعنى ما يمكن القول بأن هكسلى حل مشكلة الطبيعة البشرية في كتابه لانه يفترض أنه فى الامكان تشكيل الكائن البشرى كيفما تشاء عن طريق معالجة الأطفال وهم أجنة فى بطون أمهاتهم واستخدام العقاقير والمخدرات والإيحاء والتنويم المغناطيسى[8] .

أما هكسلى فيرد على مثل هذه المقولات مؤكدا " لقد كنت منذ عهد طويل أفكر كثيرا في شتى الطرائق التى يمكن بها تحقيق القدرات البشرية وامكاناتها التى لاحدود لها. وحدث منذ ثلاث سنوات أن استقر عزمى على كتابة هذه الأفكار. بالطبع يمكنك دائما إبراز هذه الأفكار فى الحوار، لكنك لاتستطيع أن تجعل شخصياتك تتكلم إلى مالا نهاية دون أن تصبح مثيرة للممل. ثم كانت المشكلة الأخرى هي كيفية قص الحكاية أو معايشة التجربة[9] » .

ويقول الكاتب عن الظروف التى دفعته إلى كتابة " **عالم جديد شجاع** " قائلا : إن فكرتها بدأت استنادا إلى رواية هـ . ج . ويلز الجادة الهازلة " **رجال كالآلهة** " . لكنها شيئا فشيئا خرجت من يدى واستحالت إلى شئ مختلف تماما عما كنت أقصده أصلا . ولما تزايد اهتمامى بالموضوع أكثر فأكثر وجدتنى أشرد وازداد بعدا عن غايتى الأصلية "[10]

أما الكاتب الأمريكى جوردن . ر . نيكسون GORDON. R. NIXON فيقدم قصة بعنوان " **العقول الاليكترونية لاتناقش** " عام ١٩٢٩ وهى قصة ذات تكنيك سردى عميق تقدم نفسها فى صورة مراسلات منطقية متبادلة بين عقول اليكترونية بخصوص قارئ ينتمى إلى أحد النوادى الذى كان قد أوصى بطلب نسخة من كتاب "كيم " KIM لرودريارد كيبلنج RUDYARD KIPLING فتلقى عن طريق

---

(٨) المرجع السابق ص ١٦٩ .

(٩) محمود مسعود . مع الشوامخ فى أبراجهم . كتاب الهلال . ديسمبر ١٩٨١ . دار الهلال . القاهرة ص ٦.

(١٠) المصدر السابق ص ٧٥ .

الخطأ رواية " **المخطوف** " KIDNAPPED لروبرت لويس ستيفنسون . ويرفض القارئ دفع ثمن الكتاب ويطالب العقل الاليكترونى للنادى القارئ أن يدفع . ثم يهدده ، ويصر القارئ على موقفه ، ويدور حوار أصم بينهما إلى أن يجد القارئ المسكين نفسه فى نهاية الأمر على اثر قلب فى الحروف بين KIDNAPPED و R. L. STIVENSON مسجونا بتهمة خطف ستيفنسون . وبالسؤال عن المدعو ستيفنسون يخطرهم عقل اليكترونى آخر أنه قد مات . فيجد القارئ نفسه مهددا بتنفيذ حكم الإعدام فيه .

وفى هذه السنوات قدم الروائى السوفيتى م . بلجاكوز M. BULGAKOWS روايته " **النبض المشئوم** " حول التضخم المفرط فى شكل البيض الذى تضعه الزواحف بطريق الخطأ إلى الاشعاعات التى تزيد من قابلية النمو وسرعان ماتغص البلاد بثعابين وزواحف عملاقة . حتى إن الجيش لايستطيع السيطرة على هذه الكائنات العملاقة لضخامتها وقوتها . ولولا موجة البرد التى جاءت البلاد مبكرا لما أمكن وضع نهاية لمسيرة هذه الكائنات .

ولايمكن أن نؤكد أن الأسماء التى ظهرت فى المرحلة الثانية – أو الحقبة كما سماها آزيموف – قد اقتصرت على هذه الأسماء . ففى كتابه " **قبل العصر الذهبى** " Before The Golden Age بأجزائه الثمانية حول الإنتاج الأدبى للنوع – خاصة فى القصة القصيرة – أثناء الثلاثينات قام باختيار – كما أشرنا فى مكان آخر – عشرات القصص والروايات القصيرة وقام بالتعليق عليها . ومن بين آدباء هذه الحقبة ، رغم شهرتهم المحدودة ، هناك فى سنوات العشرينات الأمريكى إدوارد سميث EDWARD SMITH صاحب رواية " **قوس قزح فى الفضاء** " THE SKY LARK OF SPACE وهوجو جرنشباك HUGO GRENSBACKصاحب سلسلة روايات AMAZING STORIES AIR, WONDER STORIES و SCIENCE WONDER STORIES . أما أشهر الشخصيات التى ظهرت فى هذه الروايات فهى شخصية SAVAGE الذى سرعان ما ظهر على الشاشة الفضية .

ومادمنا فى هذه الفترة فلايمكن ان ننكر تجربة الكاتب التشيكى كارل ماتى تشابك KAREL MATEJ CAPEK فى مسرحية " **إنسان روسوم العالمى** " أو " **آريو–آر** "

ROSSUM,S UNIVERSAL ROBOTS OR RUR فهو أول من ادخل كلمة روبوت – (أوكما ترجمت إلى الإنسان الآلى) إلى لغة الفن وانتقلت إلى كل اللغات العالمية.

ويقول الدكتور طه محمود فى مقدمة مسرحية "**إنسان روسوم الآلى**" أنه قد شاع استعمال "**كلمة الانسان الآلى**" ROBOT منذ القرن الثامن عشر فى النمسا وهنغاريا. وكانت تشير إلى أعمال السخرة فى مزارع الإقطاعيين والنبلاء. وكلمة روبوت مشتقة من الفعل ROBIT فى اللغة التشيكية وتعنى العمل. وقد اصدرت ماريا تيريزا (١٧١٧ – ١٧٨٠) امبراطورة النمسا وابنها جوزيف الثانى الذى اصبح امبراطورا للنمسا (عام ١٧٦٥) تراخيص عمل ROBOT-PATENTE تحدد ساعات العمل التى يعمل بها الأجراء فى أرض اللوردات النبلاء وأصحاب الاقطاعيات.

وأصبحت كلمة ROBOT شائعة فى معظم اللغات بعد عام **١٩٢٣** على أثر ظهور "**انسان روسوم العالمى**" لكارل تشابيك، وأصبحت تطلق على الآلات الميكانيكية المعقدة التركيب التى لها من الدقة والحساسية فى العمل مايجعلها تشبه الإنسان أو تطلق على الإنسان الذى يقوم بأعمال روتينية أو حركات ميكانيكية بحتة، حتى ليخيل إلينا أنه جزء من الآلة التى يديرها. ونجد فى اللغة البولندية كلمة ROBOTNIK وتعنى العامل. وقد صور لنا تشارلى شابلن هذه الحركات الآلية فى فيلمه "**العصور الحديثة**" MODERN TIMES أصدق تصوير"(١١).

ويقال إنَّ كلمة روبوت لم تكن من اختراع تشابك نفسه ولكنها من اختراع أخيه. وهى كلمة تشيكية "تعنى العمل فى النظام الإقطاعى". وتدل على بقاء السخرية فى عصر الإنسان الآلى. إن البشر الآليين يبينون بجلاء الروح التدميرية والخطر فى الانسان الذاتى الحركة الذى كان يُصنع من الطين فى التراث القديم. وبموجب ماجاء لدى موسكوفيتش فإن تشابيك اعترف أنه كان يعرف أسطورة الإنسان الذاتى الحركة وتأثر بها.

---

(١١) كارل تشابيك إنسان روسوم آلى. تقديم وترجمة د. طه محمود طه من المسرح العالمى. الكويت. يناير ١٩٨٣.

وأنه رأى فيلما عرض بصورة واسعة فى تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٢٠ عندما كان تشابيك يكتب مسرحيته " (١٢) .

وهذه المسرحية تصور مايمكن أن يحدث لو تمادى البشر فى تطبيق النظريات العلمية حيث ترى العالم الهندسى فايرى الذى ينجح فى تركيب إنسان آلى وفّر إنتاجه بالجملة للقيام بتصديره إلى انحاء العالم . ولأن الإنسان هو الصانع الأول لهذه الآلة ، فإنه ينظر إليها كأنه آلة يمكنه التحكم فيها وتوجيهها حسب مشيئته . إلا أن هذه الكائنات الآلية المسماة ماريوس وراديوس وتحمل أسماء إنسانية وصفات بشرية كالذكاء والحنكة وجيشان العواطف تتمكن من أن تتفوق على الإنسان . وتقوم بالثورة على البشر وتقوم بالقضاء عليه وافنائه . ثم تقوم دولة جديدة يدبرها الإنسان الآلى ، حيث تستولى على مقاليد الحكم فى جميع أنحاء العالم ، وتؤسس حكومة الإنسان الآلى . ثم تقوم بتسخير الانسان الوحيد الباقى على قيد الحياة فوق ظهر الأرض لاكتشاف أسلوب يمكن به زيادة نسل الإنسان .

أما فى روايته " **حرب مع حيوانات السمندل** " WAR WITH THE NEWTS عام ١٩٣٧ فهو يصدر مخلوقات مثيرة للرعب . أجسام كريهة مقابل كائنات أخرى بريئة تدعو إلى إثارة الشفقة فى القلوب . الآلات التى لا روح لها يكون تقدمها الزاحف رمزا للزحف الآلى الذى لايرحم الضغوط الاجتماعية التى يعيشها الإنسان . تستخدم هذه المخلوقات فى البداية لإطلاق حب الاستطلاع وعنصر التشويق والإثارة لدى الإنسان . ثم تستغل عبيداً يحرمون من حقوقهم ، وأخيرا تثور ثائرتهم مثلما حدث للإنسان الآلى ، ويتخلصون من البشرية . وهذه الرواية البالغة الرمزية ذات مضامين عميقة جعلت من مؤلفها تشابيك يشتهر على المستوى العالمى دفعة واحدة " (١٣) .

أما فى روايته " **صناعة المطلق** " THE MANUFACTURE OF THE ABSOLUTE عام ١٩٢٣ فيتحرر فيها " **المطلق الإلهى نتاجاً عرضياً** " من الانشطار النووى فيسبب إحساسا بالشؤوم المطلق للناس الذين لم يصبهم التطور بعد (١٤) . وهناك

---

(١٢) جورج تيرنر. الخيال العلمى كأدب . ترجمة كوثر الجزائرى . الثقافة الأجنبية . شتاء ١٩٨٣ بغداد . ص ١١٨ .

(١٣) فرانز روتن شتاينر. أدب الخيال العلمى فى أوروبا الشرقية ، ترجمة إقبال أيوب . الثقافة الأجنبية . ربيع ١٩٨٣ . ص ١١٤ .

(١٤) المصدر السابق .

رواية أخرى للكاتب بعنوان "**كراكاتيت**" KARAKATIT عام ١٩٢٤ ، وهى تعد إنذارا من خطر الانفجارات النووية . وذلك قبل انفجار أى قنبلة نووية بواحد وعشرين عاما . وتظهر فيها شخصية كراكاتيت التى ابتدعها دوستويفسكى فى إحدى رواياته .

أما مسرحية "**لعبة الحشرات**" THE INSECT PLAY التى كتبها مع أخيه جوزيف ففيها تتقمص الحشرات أدوار الأشخاص لعرض سلوك أبناء الجنس البشرى . وقد تناولت المسرحية موضوعا مقاربا لرواية "**مزرعة الحيوانات**" ANIMAL FARM لجورج أورويل أيضا قبل كتابتها بسنوات طويلة .

وفى نفس السنوات تقريبا قدم الأمريكى المررايس.EIMER. L. RICE مسرحية "**الآلة الحاسبة**" THE ADDING MACHINE عام ١٩٢٣ . وهى المسرحية الوحيدة ضمن مسرحيات قليلة كتبها ويمكن تجاوزا أن نضمها إلى أدب النوع . وإذا كان تشابيك قد قدم لنا الروبوت . فإنّ الآلة الحاسبة أقرب إلى الإنسان منها إلى الروبوت . فالسيد صفر هو أحد ذوى الياقات البيضاء الذين حبسوا أنفسهم داخل المكاتب والمحابر والدفاتر. وهو أسير العادات والشائعات المتناثرة ووسائل الترفيه السقيمة . لقد قضى الرجل قرابة ربع قرن فى خدمة صاحب العمل الذى يعمل لديه . يأمل فى الحصول على علاوة جديدة بعد هذه السنوات الطويلة من الإخلاص والتفانى . إلا أن صاحب العمل يرى أن الآلات الحاسبة أفضل من عشرات الموظفين الذين يعملون لديه . فيحاول أن يستجلبَ مجموعة أخرى من هذه الآلات كى يقوم بإحلالها مكان السيد صفر وزملائه ، تمهيدا لفصلهم من الخدمة .

من بين هؤلاء الموظفين الآنسة ديزى التى تبادل السيد صفر حبا . وتبدو سعيدة راضية وهى ترى حبيبها يحتفظ بمكانه فى العمل بدلا من أن يتم طرده . لقد وجد سعادته فى العمل على آلة حاسبة بعد أن كان هو نفسه مجرد آلة حاسبة .

وخط الخيال العلمى فى هذه المسرحية – ضعيف للغاية – وقد استخدمه رايس كى يبين العلاقة بين الخير والشر، وبين متناقضات التطور الذى عاشه الإنسان فى العشرينات من هذا القرن . لذا فإن بعض النقاد وضعوا هذه المسرحية ضمن مدرسة المسرح التعبيرى الذى يهتم " بالفرق بين تفسير الشخصية من الناحية الموضوعية والذاتية .

فإذا كانت التعبيرية هى الرؤية الموضوعية ، كما يجب أن تكون عليه كل الملاحظة الدقيقة فإنها الإسقاط الذاتى " [١٥] .

أما الدكتورة فاطمة موسى فتقول فى مقدمة المسرحية التى ترجمتها عام ١٩٦٦ : " وقد تنبأ المشرفون على رابطة المسرح بأن " **الآلة الحاسبة** " ستضع أساس المسرح التعبيرى فى أمريكا " [١٦] .

يعتبر جون كامبل JOHN CAMPBELL هو أشهر أدباء الخيال العلمى فى نهاية الثلاثينات .

ويكفى أن ندلل على التحول الذى حدث لأدب الخيال العلمى على يد كامبل ، وهو كاتب أقل إنتاجا حيث نشرت له روايتان فقط هما " **الأقنعة** " THE MASKS ، و " **بطل بألف وجه** " HERO WITH A THOUSAND FACES . وقد كان يرى أن " قصص الخيال العلمى يجب أن تكون منطقية وممكنة وجيدة ، والخيال العام لا حاجة له إلا أن يكون منطقيا وجيدا وهذا تعريف كاف من حيث النتائج المرجوة وهو ذو حدين " [١٧] .

وقد أكد جورج تيرنر أن "كامبل قد انبرى لإصلاح الخيال العلمى فى المجالات ولم يظهر أى شئ ولو قريب الصلة بالكفاءة المتوسطة بين الكتّاب الجدد . أما الحقيقة الخارقة التى أصبحت الآن جزءاً من تاريخ الخيال العلمى (تماما كما كانت القصص التى ينشرها جون كامبل خارقة) هى أن كامبل نجح فى رفع مستوى المقاييس الأدبية بالرغم من ازدرائه وشتمه لأولئك المهيمنين على الوسط الأدبى السائد ومعاييره . وأفضل خدمة قدمها ربما كانت إصراره على أن تكون الأوضاع البديلة فى القصص هى المعالم الشاملة والطاغية ؛ لعل فيها بدلا من الخليط المتآلف من المحاضرات والوصف المسبب والشخصيات الورقية (الملصقة) كيفما اتفق على هيئة كولاج . وإن كان قد فشل جميع كتّاب هذا الفن فى مجاراة ويلز فى أسلوبه ، فعلى الأقل استفادوا من تكنيكه الفنى . وفى

---

(١٥) المرايس ، الآلة الحاسبة . ترجمة وتقديم د. طه محمود طه . من المسرح العالمى . يناير ١٩٨٤ . الكويت .

(١٦) المرايس الآلة الحاسبة . ترجمة عادل سليمان . روائع المسرح العالمى . سبتمبر ١٩٦٦ . القاهرة .

(١٧) و . م . ر. س . :الحكاية الشعبية وقصة الخيال العلمى . الثقافة الأجنبية . ربيع ١٩٨٣ بغداد ص ٨٦ .

حالات كثيرة حسنوه من أمثال THEODORE, WILSON TUCKER, LESTER DELREY TURGEON, [١٨] .

ويرى رؤوف وصفى ان "كامبل يصر على أن الإنسان فى حاجة إلى الأساطير لتعطيه نوعا من المعنى العاطفى والاستقرار للعالم الذى يعيش فيه ، والاساطير نوع من التنظيم على المستوى العاطفى تواجه به الحياة والموت والكون على اتساعه ، وهذا مايبعث على الخوف أحيانا ، كما أنها تعطى أساسا عاطفيا للحقائق المجردة وتربط الواقع بتركيب شامل يشرح الأمور المعروفة وغير المفهومة من تصرفات الإنسان وتضع أيضا تصوراً للكون الذى نعيش فيه " [١٩] .

كما يرى نورمان سبينارد أن كامبل قد خلق نظاما محددا للكتابة ووجد له مكانا تحت الشمس. وأنه قد اهتم بقيمة النوع الأدبى الذى يفضل عن الموضوعات النموذجية لكتابات الخيال العلمى المكتوبة فى الفترة من ١٩٣٠ إلى ١٩٤٠ التى ولد فيها الجيل الأول من كتّاب الخيال العلمى الذين رأوا أن طريق الخيال العلمى أفضل [٢٠] .

وإذا كان كامبل قد لعب دورا فى نهاية المرحلة الثانية التى شهدها أدب النوع التى انتهت تقريبا فى عام ١٩٣٨ بظهور المجلة التى أصدرها وجمعت العديد من قصص الخيال العلمى ، فإن هناك أدباء ينتمون إلى المرحلة الانتقالية بين المرحلتين. ومن هؤلاء مثلا A. E. VAN VOGT صاحب رواية SLAN. ومن بين قصصة الأخرى هناك الشفق TWILIGHT . ورغم أنها قصص قصيرة ، فإنها أعمال مشهورة ، وتعتبر الآن من الكلاسيكيات الخالدة فى المرحلة الانتقالية. وكل هذه القصص نشرت لأول مرة فى مجلة ASTOUNDING STORIES التى كان يصدرها كامبل شهريا ، والتى حملت على عاتقها نشر الرواية الوحيدة التى كتبها فان فوجت تحت عنوان "**صنّاع الذخيرة**" THE WEAPON MAKERS .

---

(١٨) جورج تيرنر : الخيال العلمى كأدب . الثقافة الأجنبية . شتاء ١٩٨٣ . بغداد ص ١١٨ .

(١٩) راى برادبورى : من مسرح الخيال العلمى . ترجمة وتقديم رؤوف وصفى . من المسرح العالمى . يناير ١٩٨٥ الكويت . ص ١٠.

(20) Norman Spinard, Modern Science Fiction, Anchor Books 1974 P.39

ولم تلعب الروايات المنشورة فى تلك السنوات دورا فى تطوير أدب الخيال العلمى إلا من خلال الدور الذى قامت به المجلات المتخصصة التى بدأت تشهد رواجا منقطع النظير. فبدأت تتنافس فيما بينها لاختيار أجود الأعمال وأكثرها تشويقا ومن الصعب حصر كل المجلات التى كانت تصدر فى تلك السنوات ، ولكن يمكن أن نذكر بعضها مثل : AMAZING STORIES, GALAXY . COSMOS, SCIENCE FICTION ANALOG , SCOEMCE ومجلة ، MONTHLY, WONDER STORIES FANTASY ، ومجلة I F ، ومجلة FANTASY AND S. F. ، وكانت هذه المجلات وغيرها وبعضها لايزال يصدر حتى اليوم بمثابة أرضٍ خصبة وجدفيها أدباء النوع ضالتهم وكان نجاحها ازدهاراً لأدب النوع لدخول العصر الذهبى لهذا الأدب الذى شهد مرحلة انتقالية بالغة التقدم.

الفصـل الرابـع

عصر الازدهار فى أدب الخيال العلمى



عصر الازدهار فى أدب الخيال العلمى

لو شاء الباحث أن يقوم بحصر أسماء الأدباء الذين ينتمون لنوع أدب الخيال العلمى فى مراحله المتعددة لاستهلك عشرات الصفحات. وهذا يعنى أن هذا الأدب قد أصبح ظاهرة القرن العشرين فعلا. ولن نغالى إذا قلنا إن أدباء هذا النوع قد يقاربون عدد أدباء الأنواع الأخرى مجتمعين فى القرن الحالى.

ولعل أكبر عدد من أدباء النوع ينتمون إلى المرحلة الثالثة التى بدأت منذ عام ١٩٣٨ - كما سبق أن أشرنا - وحتى الآن .. وإذا كان البعض قد قسم هذه المرحلة إلى قسمين يبدأ الأول فى أواخر الثلاثينات وحتى أوائل الخمسينات. وتبدأ الثانية فى عام ١٩٥١ ولم تنته حتى الآن، فإن أدباء المرحلتين هم نفس الأسماء تقريبا .. وعلى هذا فسوف نتناول فى هذا الفصل أدباء النوع الذين برزوا فيه خلال هذه المرحلة وما أكثرهم.

وقد شهدت المرحلة الثالثة، بلاشك، نضج كتّابها والنوع الذى ينتمون إليه. فحاول الأدباء أن يقتحموا بخيالاتهم آفاقاً بعيدة من الصعب تخيلها من قبل الجهلاء بأسراره، لذا نجح هؤلاء الأدباء فى العثور على أرض للتأمل العلمى والأيدولوجى والسياسى والثقافى فى آن واحد تتصل وتتقاطع فى غالبيتها. رغم اهتمامها الظاهرى بالقضايا العظمى التى يشهدها العالم. وهى قضايا حية تتحرك دائما وتتبدل. فالشخص الذى كان يتنبأ فى أواخر القرن التاسع عشر بأن السيارات لن يكون بمقدورها أن تتخطى سرعتها ٣٠ كيلو مترا فى الساعة (لان السرعة الزائدة سوف تعمل على سحق السائقين) لم يعد أحد يتذكره إلا كأضحوكة للعالم الحديث. وأما الذى كان يهذى بإمكان الرحلات إلى الفضاء أو إلى أعماق البحار فقد كان هو الرائد الفعلى للقرن العشرين.

ومن الأكيد أنه حتى الكتّاب الذين يمعنون النظر فى المستقبل يظهرون قدرا من تهيب مدهش بالإضافة إلى تشاؤم عام ومميز لعصر الأزمة الذى نحياه. فلم يسبق لأىّ من كتّاب الخيال العلمى أن رأى غزو القمر قبل عام ١٩٧٠. ومن ثَمّ لم يجرؤ اى كاتب أن يتخيل

أن أولى خطوات الإنسان فوق القمر يمكن أن تشاهد فى نفس الوقت – إنْ لم يكن فى اللحظة التالية – على شاشات التلفازات فى كل أنحاء العالم.

فلو نظرنا إلى أحد كتّاب النوع فى بدايات هذه المرحلة مثل كليف كارتميل CLIVE CARTMILL الذى قدم رواية "**خط الموت**" DEAD LINE فى عام ١٩٤٤ حول التجارب التى كانت تتم فى نفس الوقت فى لوس الاموس على صناعة القنبلة الذرية والتى كانت بطبيعة الحال محاطة بستار من السرية التامة، فإن تلك حالة نموذجية للتنبؤ العلمى. وهى تكشف كيف أن العلماء غير بعيدين عن أدباء النوع. فى هذه الرواية يكشف المؤلف أنه يمكن اختراع قنبلة ذرية تنفجر بقوة شديدة يمكنها أن تنهى الحرب العالمية الثانية.

أما نورمان كاجان NORMAN KAGAN فانه يتخيل فى روايته "**انتخبوا كافكا**" مجتمعا امريكيا وصل فيه قياس الرأى العام إلى درجة اليقين بحيث يعد من الضرورى ذهاب المواطنين إلى مراكز الاقتراع للانتخاب. ولكن ظل هناك عنصر واحد مجهول ألا وهو نسبة الممتنعين عن التصويت والأصوات الباطلة. وتبسيطا للأمور يُطلب إذْنٌ من الممتنعين أن يصوتوا رمزيا لكافكا أو فى سياق عبثى. وان كان منطقيا شبيهاً بذلك الذى عرضنا له. فيتم انتخاب الكاتب التشيكى فرانتز كافكا FRANTZ KAFKA رئيسا للولايات المتحدة.

وقبل أن نتحدث عن أهم أدباء النوع فى هذه المرحلة. يمكن أن نوجز الأفكار التى يتعرض لها الكتاب المعاصرون اليوم التى تتمثل فى :

١ – إزاحة الجنس البشرى بواسطة جنس مختلف. قد يكون هذا الجنس من القردة مثلما فعل بيير بول أو الحشرات العملاقة، أو بغزو من قوم مجهولين يسكنون الفضاء البعيد. لانعرف ماهى هويتهم. يجيئون فى مركبات اكثر تطورا. ويمتلكون اسلحة أشد فتكا من التى يمتلكها الانسان.

٢ – ذر الكواكب بعد استعمارها، ومحاولة بعث الحياة فيها ونقل الصراع البشرى اليها، أو تحويلها إلى يوتوبيا طالما نشدها الإنسان.

٣ – الحرب الإعلامية بين المعسكر الشرقى والغربى واستخدام الفضاء ساحةً لهذه الحرب وتحديد فرسانها. وهذه الحرب تتجدد يوميا من حيث أساليبها وطرائق حدوثها، وأدواتها. وقد ظهر نوع جديد من أدب التجسس وينتمى إلى هذا النوع.

٤ – التساؤل عن مسيرة حركة التاريخ وإتجاهه فى المستقبل. وقد صيغ هذا التساؤل فى نوع جديد من هذا الأدب سمى بأدب الخيال السياسى. وسوف نفرد له فصلا خاصا فى هذا الكتاب.

٥ – اجتياح ديكتاتورية الإعلان مثلما فعل راى برادبورى فى روايته عن " فهرنهايت ٤٥١ ".

٦ – تحقيقات بوليسية فى الغد.

٧ – عوالم مختلفة عن عالمنا أو عوالم متوازية أصيب فيها التاريخ بانحراف عن مساره بالنسبة لتاريخنا مثلما فعلت الكاتبة البريطانية دوريس ليسنج فى ثلاثية شيكاستا.

٨ – الجنس فى القرون القادمة؛ شكله وأساليب ممارسته. ودوره فى الحياة الاجتماعية وعلاقته بالآليات التى يمكن أن تسيطر على هذه القرون..

٩ – الرحلة بلا عودة إلى تخوم الكون.

١٠ – المشكلات النفسية التى يمكن ان تحدث للبشر الذين يقومون برحلات طويلة إلى الفضاء قد تستغرق سنوات طويلة، وربما قروناً. مثلما حدث لأبطال رواية "**كوكب القرود**" لبييربول، وأثر هذه الرحلات عل نفسية ركاب سفن الفضاء المصنوعة من معادن صماء تخلو من الحياة والألوان الحياتية التى اعتادها الإنسان على الأرض.

١١ – اقتراب الإنسانية من فهم اللغز الأكبر الذى يتمثل فى علاقته بالمطلق. وفهم نظرية الخلق، وحدود الكون المادية.

١٢ – الالتقاء بالطبيعة الالهية.

١٣ - سيطرة العقول الآلية على الإنسان ، وتخلى البشر عن دورهم القيادى فى قيادة العالم . وهذه القضية تؤرق بالفعل كتّاب الخيال العلمى المعاصرين . ومن أبرزهم آرثر كلارك صاحب رواية " **٢٠٠١ أوديسا الفضاء** " .

وإذا كان أدباء النوع قد ابتذلوا العديد من الموضوعات فى المرحلة الثانية . وبداية المرحلة الثالثة ، فإن منظورهم نحو الأشياء قد تغير كثيرا فى السنوات الأخيرة . من مثل هذه الموضوعات المتهالكة : " الانسان الآلى " " وانسان الطفرة " واللقاءات مع سكان العوالم الاخرى ، والخطر الذرى ، وإمكانات الإنسان الخفية . بل إن هناك كتّابا لايمكن تصنيفهم ولايمكن لأعمالهم أن ترتبط بأى شئ معروف أو مصنف مسبقا . ومن هؤلاء تيودور ستيرجون الذى يعتبر مؤلفاته مثل الجواهر الحالمة . وهى روايات لايوجد لها مثيل فى الخيال الانسانى .

وفيما يتعلق بالمحاولات التى قدمها أدباء النوع فى المرحلة الثالثة ، فإنها تقع فى مجال مدهش ومحير لمن لم يعتد على تأملات واستقراءات الكتاب المتخصصين . ومن أمثلة ذلك العمل الأدبى الذى لم يستكمل بعد . وفيه نرى جميع الموتى يبعثون على ضفاف نهر فى كوكب مجهول . ونتابع مغامرات مارك توين وسيرانودى برجراك وهرمان جورينج . أو تلك الرواية التى قدمها نورمان بينارد NORMAN BENARD التى تدور حول قصة من نوع الفنتازيا كتبها شخص يدعى آدولف هتلر وتسمى " **حلم من حديد** " A DREM OF IRON . وآدولف هتلر كما هو معروف مواطن نمساوى حصل على الجنسية الالمانية . ويفر من ألمانيا قبل استيلاء الشيوعيين على الحكم فى بلده بقليل . ويلجأ إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث ما يلبث أن يصبح من كتّاب الخيال العلمى المرموقين ممن أصابوا شهرة واسعة عن طريق كتاباته التى حاول أن يبسط من خلالها أفكارا عنصرية ورجعية مليئة بالهذيان . وذلك هو مقصد الخيال العلمى عندما تكون هناك استحالة فى تطبيق هذه الأفكار فى الواقع .

وهذا هو هدف الخيال العلمى فى سنوات النضج : أن يقدم تصورا فكريا وتربويا يحطم بلا هوادة عاداتنا فى الحياة وأسلوبنا فى التفكير . فيتهيأ الخيال العلمى لأنْ يصبح " أدب الأدب " بعد أن ظل أدبا هامشيا وتجريديا . أى أنه باتضاحاته العقلية وبالمهارات

غير العادية لأولئك الذين برعوا فيه قد أصبح المجال الثقافى الوحيد القادر بحق على معالجة المشاكل التى يطرحها النمو المتزايد للتقنية والعلم.

ويرى أدباء الخيال العلمى لأنْ فلاسفة الغد سيكونون بالضرورة من العلماء. ذلك لأنه بات من المستحيل القيام باختيار أيدولوجى بدون معرفة شاملة لكل مايمس وجودنا. ويمكننا أن نقيس اليوم كم كان مفكرون من أمثال جان بول سارتر والبير كامى واندريه مالرو ودوستويفسكى يتميزون بضيق الأفق. وهم الذين كانوا قمما فكرية لجيلين أو ثلاثة. ولكنّ هؤلاء المفكرين كانوا ينتمون فكريا إلى القرن الماضى. وكان جل اهتمامهم منصبا على قضية الوجود فحسب. وهى القضية الجديرة وحدها بالاهتمام فى نظرهم، مقللين من شأن القضايا الاخرى: "ويحكى أن أحد كتّاب الخيال العلمى "جاك برجيه JACQUES BERGER " قد ألقى بالدعابة الآتية أثناء مناقشة له مع البير كامى ALBERT CAMUS : " اتعرف أن سيزيف كان غبيا؟ لماذا لم يستخدم الطاقة المتولدة من صخرته وهى تهبط الجبل ليصنع تيارا كذلك الذى يحدثه سقوط المياه؟ فما كان من كامى إلا أن سأل بسذاجة: "**وهل من الممكن توليد الكهرباء من شئ ينحدر**"؟ [١].

ولأننا سوف نتحدث هنا عن كتّاب بأعينهم يُعدون الآن أبرز أدباء النوع، فإنه يمكننا أن نذكر أسماء أشهر الأدباء الذين عرفوا فى هذه المرحلة حتى لانتهم أننا كنا ضيق الأفق فى تناولنا لأسماء معينة. فلايمكن أن نتجاهل كاتباً مثل كليف كارتميل (١٩٠٨ - ١٩٦٤) صاحب رواية DEAD LINE عام ١٩٤٤ و "**عبودية الفضاء**" SPACE SLAVE عام ١٩٥٠ وأيضا الكاتب A. E. VAVA VOGT (١٩١٢ -) صاحب رواية "**القناطير البعيدة**" [٢] FAR CENTAURUS. ومن بين الأسماء الذى ذكرها إسحاق آزيموف فى كتابه "**أعظم أقاصيص الخيال العلمى**" [٣] تحدث عن أسماء عديدة مجهولة مثل جيمس ساليس، وبروس بنجتون، وستانلى سميث، وكاترين

---

(1) Roland La Corbe, Le cinéma de la science fiction, Ecran, Juillet, 1977, page 35.

(٢) القنطور: كائن خرافى نصفه رجل ونصفه فارس.

(3) Isaac Asimov, The Great S F Stories (6) 1944 Daw Books, New-York 1981 P. 11.

كيرتز، وفيرنورتنج، وكاك شاكر، ودافيد و يولد ، وبيير واطسون، وفانس انداهل. وكيرت سيودماك، وبروبرت اردرى..

أما الكتاب المعاصرون الأقل أهمية من هؤلاء الذين سنتحدث عنهم فهناك: جون كريستوفر صاحب رواية "**ولا نبتة عشب**" GRASS، وستيفن جيلبرت مؤلف: "**مذكرات رجل الفئران**" RAT'S MAN MEMORY وفيليب ويللى صاحب "**نهاية الحلم**" END OF DREAM ونورمان سبينارد مؤلف "**حلم من نار**" A DREAM OF FIRE وايطالو كالفينو صاحب رواية "**نجوميات**" وتوماس باج صاحب رواية "**البق العملاق**" THE BIG BUG وجافين ليدا مؤلف "**القمر - صفر - اثنان**" MOON ZERO - TWO - والمخرج بيتر هايمز مؤلف رواية "**بعيدا عن الارض**" OUT LAND وآخرون.

رأى برادبورى :

إذا اخترنا أن نبدأ الحديث عن أشهر نماذج النوع وأكثرها إخلاصا لأدب النوع فلابد أن نختار الأديب الأمريكى راى دوجلاس برادبورى RAY DOUGLAS BRAD BURY الذى ولد فى مدينة ووكيجان بولاية أللينو الأمريكية عام ١٩٢٠، والذى يمثل جيل الأدباء الذين درسوا العلم والأدب معا؛ فجمعوا بين شطحات الخيال ونظريات العلم الحديث فى أعمالهم، كتب الرواية الشعبية والقصة القصيرة ورواية الخيال العلمى. كما كتب مجموعة من المسرحيات التى تنتمى إلى أدب النوع استطاعت أن تجعله من أبرز كتابه. بدأت محاولاته فى كتابة القصص العلمية وهو فى سن مبكرة. واستطاع أن ينشر بعض قصصه فى مجلة قصص العلم الخارقة SUPER SCIENCE STORIS فنشرت أولى اقاصيصه فى عام ١٩٤٦، وتحمل عنوان "**رحلة المليون عام**" THE MILLION YEAR PICNIC، وفى العام الثانى نشر مجموعته القصصية الأولى التى تحمل عنوان "**المهرجان المظلم**" DARK CARNAVAL ثم تتابعت أعماله التى من أبرزها "**يوميات من كوكب المريخ**" JOUR NALS OF MARS عام ١٩٥٠، "**الجيم مثل الجرجير والفاء كالفضاء**" R IS FOR ROCHET, S IS FOR SPACE ثم "**فهرنهايت**" FAHRENHEIT 451 التى نشرها عام ١٩٥٣، "**وتفاحات الشمس**

الذهبية " GOLDEN APPLES OF THE SUN عام ١٩٥٤ . وهى مجموعة قصصية . ثم توالت مجموعاته القصصية الأخرى التى من أشهرها : " **يوم أمطرت الدنيا للأبد** " THE DAY IT RAINED FOR EVER " **والرجل الموشوم** " THE ILLUSTRATED MAN " **وآلات السعادة** " MACHINERIES OF JOY أما رواياته فمن أهمها : " **عقار للكآبة** " A MEDICIN FOR MELANCHOLY " **ومدينة أكتوبر** " OCTOBER COUNTRY .

وكما كتب الرواية والقصة القصيرة للنوع ، فإنه نشر مسرحيات علمية منها " **العداءون المنشدون** " THE ANTHEM SPRINERS " **وعمود من نار** " PILLAR OF FIRE " **وكلايدوسكوب** " KLEIDOSCOPE " **ونفير الضباب** " THE FOG HORN التى ترجمها رؤوف وصفى إلى اللغة العربية ونشرت فى أول يناير عام ١٩٨٥ فى " **المسرح العالمى** " .

ويعد راى برادبورى من شعراء عصر العلم فأعماله تجمع بين متناقضات العصر الحديث من شاعرية الأسلوب إلى برجماتية العلاقات التى يفرضها واقع العصر. عانى الكاتب من الإرهاب المكارثى فى الخمسينيات . لذا فإن روايته " **فهرنهايت ٤٥١** " هى انعكاس لمأساة المثقفين فى هذه السنوات .

ورغم أن المؤلف يشير أن الزمن الذى تدور فيه أحداث الرواية هو المستقبل ، فإن كل ملامح الحاضر تنعكس فى أحداث هذه الرواية . حيث يتخيل برادبورى أن الحرب العالمية الثالثة قد غيرت وجه العالم الحديث . هذه الحرب التى تؤرق كتّاب الخيال العلمى المعاصرين والتى أصبحت هم الكثيرين منهم ، فصوروها باشكال مختلفة وعقب هذه الحرب قامت مدن مختلفة ، وفى مدينة من إحدى هذه المدن نرى أن هنا قانونا يقضى بتحريم ثقافة الكلمة المكتوبة والاكتفاء بمشاهدة التليفزيون ثقافةً عامة ووسيلةً للتسلية والترفيه وقتل الوقت والهروب من الوحدة والملل . ويرى القانون أن الثق عن طريق قراءة الكتب عملية مفسدة للعقل والناس . لذا فإن الكتب ممنوعة بأمر السلطات الحاكمة . هذه السلطات التى ترى أن الكتاب يجعل البشر تعساء فينظ داخل أنفسهم ويتألمون . لذا فأنه من الواجب محاربة رجال الفكر والقراء ومطارد وتصفيتهم بشتى الأشكال .

والسلطة القوية فى هذا البلد هى رجال الإطفاء الذين تجدهم منتشرين فى أنحاء المدينة تجلجل عرباتهم بأصواتها المزعجة داخل المدينة باحثين عن أى كتب لحرقها عند درجة **٤٥١ فهرنهايت** ؛ أى تلك التى تحترق عندها الكتب. إنهم يحرقون مانعتبره نحن تراث الإنسانية. فى الدين والفلسفة والعلوم والأدب من" **سرفانتس وأفلاطون وشكسبير**" وآخرين. ويختار برادبورى نموذجين من هذا العالم : النموذج الأول من رجال المطافئ ويدعى مونتاج ، أما من الخارجين على القانون فهناك الفتاة كلاريس التى تعشق القراءة. ومونتاج يعيش فى مجتمع سطحى باهت. انشغلت زوجته ليندا ببرامج التليفزيون. لذا فإن مهمة كلاريس أن تجذب هذا الرجل إلى عالمها الهش. تسأله عن السبب الحقيقى الذى يتم من أجله حرق الكتب فيرد أنه لايعرف إجابة شافية.

يلتقيان أكثر من مرة ، فيشعر بمدى أصالتها وثقافتها فضلا عما تتمتع به من هدوء واتزان. لذا فإنه يقوم يوما بدس رواية " **دافيد كوبرفيلد**" فى ملابسه ، وعندما يعود إلى منزله يبدأ فى قراءتها بعد أن نامت زوجته ، فيمتلك عليه الكتاب شغاف عقله فأخذ يقرأ بصوت مسموع. فى اليوم التالى لايبدو مونتاج متحمسا لحرق الكتب بنفس الحماس الذى كان يتمتع به فيما قبل. وعندما يعود إلى منزله يثور على زوجته وزميلتيها وهن يشاهدن هذه البرامج السخيفة. يقرأ عليهن إحدى فقرات الكتاب الذى بين يديه حتى استولى عليهم إحساس غريب. تبكى الصديقتان وتتركان المنزل وسط غضب زوجته التى ترى ان الكتب مفسدة للأخلاق.

وبينما تتوطد علاقة كلاريس بمونتاج ، فإن علاقة هذا الأخير بزوجته تزداد ابتعادا وبدأت علاقته بأحد زملائه – فابيان – تأخذ طابع العداء من قبل الصديق حيث يراه يخفى كتابا فينتظر الفرصة للوشاية به.

حدث يوما أن علمت الشرطة بوجود كتب فى منزل كلاريس. وعندما يدخلون المنزل تدفن صديقتها العجوز نفسها وسط الكتب عندما يشعلون فيها النيران. وتؤثر أن تموت شهيدة داخلها. أما كلاريس فتختفى عندما تعلم أنه مطلوب القبض عليها. وتشى ليندا بزوجها. وفى الحملة التفتيشية التى قام بها زملاؤه على منزله ، يصدر الرئيس أمره لمونتاج أن يحرق كتبه بنفسه. لكن مونتاج يسلط النيران على رئيسه فيرديه قتيلا ، ثم يفر هاربا.

يتوجه إلى المكان الذى أوت إليه كلاريس مع زملائها القراء. يحدثه أحدهم عن كيف ضلل التلفاز الجماهير وأخبرهم أن مونتاج انتحر.

ويعرف مونتاج أن هذا هو عالمه الجديد. وأن كل هؤلاء الأشخاص ليسوا معروفين بأسماء آبائهم وأمهاتهم. بل هذا أرسطو وذاك ميكيا فيللى و" **إليس فى بلاد العجائب** " كل شخص منهم يعتبر نفسه كتاباً حيّاً ؛ فهو يحفظ الكتاب عن ظهر قلب ليتلوه على الآخرين. ولذا فإن الفكر والإبداع لن يموتا قط.

وهذه الرواية أقرب فى صورتها إلى أدب الخيال السياسى منها إلى الخيال العلمى. فالمؤلف ينذرنا بأن الإنسانية سوف تغدو يوما نموذجا لمدينة مونتاج التى كان يسعى ماكارثى إلى تحويل الولايات المتحدة إلى شبيهة بها. كما أن الكتب الجنسية والحكايات المسطحة هى مكارثى آخر يريد القضاء على تراث الإنسان. والمخترعات التقنية الحديثة تعد بديلا بشعا كى يتخلى الناس عن هذا التراث. وربما لهذا أدرجنا هذه الرواية فى فصل عن أدب الخيال العلمى. ومثل هذه الفكرة تؤرق خيال الكتّاب دائما.

هناك أقصوصة أخرى لبرادبورى تحمل عنوان " **عشب فوق الصخر** " GRASS ON THE ROCK من مجموعة " **صور إنسانية** " تحكى عن أب يقوم بإبطال عمل جميع الآلات التى تحيط بمنزله والتى تيسر له سبل الحياة. يقول هذا الأب : " **لقد سئمنا تأمل هذه البؤرة لمدة أطول من اللازم. ياآلهى ! كم نحن فى حاجة إلى نسمة حرة من الهواء الطلق النقى** ". وكانت نتيجة مثل هذه المواقف أنْ قامت الأسود المتربصة فى الغابة بالتهامه.

ويرى المؤلف أن الحضارة قد استطاعت أن توفر للبشر سبل الراحة والأمان والاستقرار والسيطرة على عناصر الطبيعة. ولايمكن أن يفقد الإنسان هذه السيطرة مرة أخرى بل أنه يأمل فى مضاعفتها باستمرار.

وفى أقصوصته " **أغسطس ٢٠٢٦** " AUGUST 2026 يتناول الكاتب نموذجا لحياة الإنسان فى هذا العام. يبدأ النهار حين تعلن الساعة الضوئية عن بداية اليوم حيث توقظ أهل الدار: هذه الساعة التى تلعب دوراً أساسيا فى حياة سكان البيت. فهى تنبه إلى الأحداث الهامة فى المنزل. فهى تصيح أن اليوم الرابع من أغسطس عام ٢٠٢٦ هو عيد

ميلاد السيد، أنه أيضا يوم ذكرى زفاف ابنته. وعلى السيد أن يدفع اليوم قسط التأمين، وقوائم المياه والغاز والكهرباء. والساعة تنبه الأبناء إلى موعد الذهاب إلى المدرسة. وفى الساعة التاسعة تأمر أن يتم التنظيف. وهكذا حتى ينتهى اليوم. ومايحدث فى هذا المنزل هو نموذج لما يمكن أن يدور فى ولاية كاليفورنيا. فهناك الطباخ الكهربى الذى يتولى آليا إعداد الفطور والغداء والعشاء حسب قائمة مسجلة فيه اليكترونيا. وهناك بارومتر إليكترونى يصيح بصوت آدمى منبها إلى حالة الجو، وعما يجب للأولاد أن يرتدوا من ملابس قبل الخروج إلى المدرسة.

يتحرك كل شئ آليا. السيارة والأبواب والمطر الذرى والزهور الآلية. والمنزل هو البيت الوحيد الذى بقى فى المدينة بعد أن أصابها إشعاع ذرى. أصبح الكلب هيكلا. ورغم الحركة التى تملأ البيت، فأنّ المنزل خاو تماما من كل البشر. لا أحد ينطق سوى هذه الآلات. لعل البشر ماتوا وأكلتهم تلك الآليات من الفئران. لقد أتت الحرب الذرية على البشر. ثم يصف راى برادبورى كيف التهمت النيران المنزل الوحيد الباقى فى كاليفورنيا بعد اندلاع هذه الحرب.

وإذا كان المؤلف قد قدم صورة للأمل فى "**فهرنهايت ٤٥١**". فإنه فى هذه الأقصوصة لايرى أى أمل للإنسان ومستقبله إذا قامت حرب ذرية. فسوف تأكل الاشياء نفسها. والبشر الذين صنعوا من كل الكائنات خدمًا لهم وحتى الآليات قد آتوا على أنفسهم. وهذه النهاية الدامية للبشرية هـى التى تؤرق أدباء النوع أكثر من غيرهم بمن فيهم العلماء ورجال السياسة.

ولعل أهم سمة يتميز بها برادبورى فى قصصه أنه كان مخترعا يملأ أعماله بمختلف الابتكارات وأحداثها ليس اعتمادا على خياله فقط. بل على ما هو موجود فعلا سواء على المستوى الواقعى الملموس أو على المستوى الفكرى النظرى. فهو لايترك قيادة لشطحات الخيال وعبثه لانه بوصفه مخترعاً فى مجال القصة يؤمن بأن القارئ لن يقتنع بأى اختراع جديد إلاّ إذا وجد أن كل عناصره تتفاعل مع بعضها بعضا. من خلال الحتمية الفنية والحبكة الروائية التى تحترم عقل القارئ وترفض أى عنصر دخيل عليها. فعلى الرغم من ان جزئيات الموقف الخيالى ليست واقعية أو حقيقية فإنها تبدو حقيقية ومعقولة على المستوى

الخيالى تطبيقا للمبدأ الفنى الذى يقول : إن كل مايقع فى العمل الأدبى هو فى حقيقته واقع فعلى . ويحرص برادبورى على أن يجسد فى أعماله مايمكن أن يسمى بالحقيقة الخيالية التى تأخذ منطق الحقيقة . لكى تشكل به الخيال الذى يملك عندئذ قوة إقناع حقيقية . (٤)

ويرى رولان لاكورب أنه " فيما يتعلق براى برادبورى ، فلنوضح أنه بالنسبة لعدد كبير من المتخصصين فى النوع ينتمى إلى مجموعة صغيرة من الكتاب الذين استحوذ عليهم الأدب العام . ومن هنا أصبحوا عرضة لأن يشك فى انتماء أعمالهم إلى شكل من الأدب يهدف إلى العالمية . ومن ثَمَّ إلى تيار الأدب الجاد "(٥) .

كما أن برادبورى يتميز " بقدرة فائقة على بناء الحدث الدرامى وخلق التوتر والرعب فى احداث القصة حتى يصل بها إلى الذروة ، وكذلك بالتحليل الدقيق للعقل البشرى وهو يتطور أو يتحطم . وساعده اهتمامه بالطبيعة البشرية - للأطفال - على التعمق فى تحليل مشاعر أشخاص قصصه ورواياته ومسرحياته " .

كما يتميز أسلوب برادبورى بالشاعرية والجدية وأنه مفعم بالخيال . فهو حريص على اختيار الكلمات المناسبة واللغة المجازية فى كتابته ؛ ومن ثم يخلق أسلوباً يمتلئ بالبلاغة والشاعرية ، وهذا يضفى على تعامله سحراً أخاذا .

ويكتب برادبورى حوارا رائعا طبيعيا . وبرغم هذا ؛ ففى بعض الأحيان يعطى إحدى الشخصيات فرصة لإلقاء محاضرة طويلة يكون الهدف منها شرح بعض الافكار الرئيسية ، ثم يصبح الأسلوب شاعريا وربما تعليميا وحتى مملا فى بعض الاحيان .

وثمة موضوعات تتكرر كثيرا فى كتابات برادبورى ، مثل الطفولة فى احدى المدن الصغيرة بالولايات المتحدة ، وقصص السفر فى الفضاء التى كتب عنها من ناحيتين . الأولى لكونها هدفا حقيقياً للجنس والثانى لكونها رمزاً للوحى الروحى SPIRITUAL ASPIRATION (٦) .

---

(٤) د. نبيل راغب . موسوعة أدباء أمريكا - دار المعارف - القاهرة . ١٩٧٩ ص ٩٣ .

(5) Roland La Corbe, Le cinéma de la science fiction, Ecran, Juillet, 1977, page 45.

(٦) رؤوف وصفى : من مسرح الخيال العلمى . من المسرح العالمى . الكويت . أول يناير ١٩٨٥ .

آرثر كــلارك :

أما الموضوعات والعوالم التى غزاها الكاتب الانجليزى آرثر كلارك ARTHUR CLARKE فهى نفس الموضوعات التى قام كتّاب أدب الخيال العلمى التقليديين بغزوها مثل الفضاء والمستقبل وأعماق البحار. ولكن الاختلاف هنا فى المعالجة – كما سنرى – فإذا كان كتّاب الخيال العلمى قد ملأوا صفحات كتبهم بمغامرات الإنسان فى غزو الفضاء. فإن الصراع الذى يعانيه أبطال كلارك هو فى الأعم صراع فكرى بين الإنسان والمستقبل والكائنات الأخرى، لعل أهمها المخلوقات الآلية التى صنعها البشر أنفسهم.

ولد كلارك فى إحدى القرى بغرب المملكة المتحدة فى عام ١٩١٨ لأب يعمل بزراعة الأرض. تفوّق فى سنوات حياته الأولى فى العلوم الطبيعية والكيمياء. ونجح ذات يوم فى صنع هاتف آلى يعمل بأشعة الضوء بدلا من السلك. إذن فهو رجل ارتبط بالعلم – مثلما سنرى آزيموف – وأمسك القلم والآلات ولم يكن مثل العديد من كتاب النوع مجرد قارئ لعلوم العصر. فهو منذ حداثته يكتب هذا الأدب فى مجلة المدرسة التى التحق بها: "**كان معظم اهتمامى نابعا من المجلات التى كانت تنشر قصص الخيال العلمى فى الثلاثينات. كما أننى كنت شديد الإعجاب. بل تستطيع أن تقول مبهورا بكتابات جول فيرن وه. ج. ويلز**" (٧).

ورغم كل المواهب التى تمتع بها الصبى كلارك وتقدمه فى العلوم فقد التحق بوظائف روتينية. حيث عمل موظفا مدنيا فى الحكومة وتنقل بين هذه الوظائف. وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية التحق بالقوات الجوية ضابطاً للرادار. وكانت وظيفته الاتصال بالطيارين وتوجيههم نحو الهبوط باسلم طريقة عندما تكون الرؤية متعذرة. وعندما انتهت الحرب التحق بالكنجز كولليج KING'S COLLEGE فى جامعة لندن ودرس الفيزياء والرياضيات. وقدم مجموعة من الأبحاث حول إمكانية إنشاء محطات فى الفضاء الخارجى وبناء أقمار صناعية للاتصالات والبث الإذاعى. وقدم هذه الابحاث إلى مجلة "**عالم اللاسلكى**" التى كانت أبرز المجلات المتخصصة. ومنذ ذلك الحين ذاعت شهرة كلارك بوصفه باحثاً جاداً من ناحية وكاتباً مبدعاً فى أدب النوع من ناحية أخرى. ولم

---

(٧) أرثر كلارك : مجلة هنا لندن – مارس ١٩٨٤ ص ٣٣.

تكن رواياته قائمة على التنبؤ الذى يعتمد فى المقام الأول على الشطحات. بل هى أمل علمى سليم لما يمكن أن يدور فى المستقبل. ففى إحدى رواياته الأولى ذكر أن شركة وستنجهاوس الأمريكية قامت ببناء صاروخ كهرومغناطيسى عملاق يمكنه عبور صحراء استراليا، وذلك ضمن مشروع ضخم لإنشاء صواريخ فضاء بريطانية. والشئ الطريف ان نفس الشركة اعلنت بعد سنوات أنها أنشأت مختبراً أمكنه صنع قذيفة بلاستيكية تنطلق بسرعة ستة عشر الف كيلو مترا فى الساعة. وسوف تكون هذه القذيفة نواة لمركبة فضاء كلارك.

وآرثر كلارك كاتب غزير الانتاج فى أدب النوع، رغم أن أعماله الشهيرة فى هذا المجال قليلة. ومن بين أعماله قصة قصيرة تحمل عنوان "**الممر**" GILD PATH التى نقلتها السينما بعد ذلك إلى فيلم يحمل عنوان "**٢٠٠١ أوديسا الفضاء**" 2001 A SPACE ODYSSEY عام ١٩٦٨. وبعد نجاح الفيلم كتب كلارك قصة الفيلم كاملة فى كتاب منفصل نشر عام ١٩٧٢. وبعد ذلك بعشرة أعوام قدم تكملة لهذه الرواية تحت عنوان "**٢٠١٠ أوديسا الفضاء**" 2010 ASPACE ODYSSEY ما لبثت أن تحولت إلى فيلم سينمائى. ثم "**٢٠٦١ أوديسا الفضاء**". أما أعماله الأخرى فهناك "**عالم ٢٠٠١ المفقود**" THE LOST WORLD OF 2001 "**والمدينة والنجوم**" THE CITY AND THE STARS و **رمال كوكب المريخ**" THE SANDS OF MARS و "**جزر فى السماء**" ISLANDS IN THE SKY ورواية "**الجانب الآخر من السماء**" THE OTHER SIDE OF THE SKY "**وتقرير عن الكوكب ٣**" REPORT ON PLANET 3 و "**حكايات العوالم العشرة**" TALES OF TEN WORLDS و "**تسعة بلايين اسم الله**" THE NINE BILLION NAMES OF GOD و "**سقوط الكوكب الترابى**" A FALL OF MOON DUST و "**رياح من الشمس**" THE WIND FROM THE SUN.

فى روايته "**المدينة والنجوم**"[٨] يصف لنا مدينة من مدن اليوتوبيا التى طالما تطلع إليها الأدباء والفلاسفة بخيالاتهم. فبعد قيام حرب ذرية بقت قطعة من الأرض. وجاءت

(8) Arthur. C. Clark, The City And The Stars, New American Library, Newjersy. 1982.

إلى هذا المكان مجموعة من البشر هربوا بعد أن حل الطوفان الذرى بمدينتهم أثناء قيام الحرب .

وسكان هذه المدينة لايمكنهم أن يتطلعوا بأعينهم خارج الأسوار التى تحوط المكان . لذا فإنهم يتطلعون إلى النجوم البعيدة التى تبدو لهم أكثر قربا من عالم ماوراء الاسوار. حيث هناك المناورات التى تعطى إشارات تحذير فى وقت الخطر ، والتى ترمز إلى اللانهائية حيث صحراء جرداء لايمكن لأحد أن يجتازها سوى الموت . أما الشمس التى تسطع على المدينة فهى أيضا ملوثة بسبب وهج الشمس الصناعية التى تشرق يوميا فى السماء. لذا فان للمدينة نظاما غريبا . إنها متربوليس خاصة . فهى مدينة لاتعرف التقلبات الجوية . ليس هناك برد أو حر. السكان لايعرفون النوم أو العمل . أنها أشبه بفورتكس الرابعة التى سوف نتعرض لها فى مكان آخر. هناك شبكة معقدة من الآلات يقوم بإدارتها إنسان آلى يعمل على صيانتها وحفظها. هذا الإنسان يعمل على حفظ كل مايخص المدينة من بيانات ومعلومات تتعلق بالاقتصاد والسكان والوضعية الاجتماعية لكل شخص فوقها. وهناك بنوك بها أجهزة تقوم بنسخ البشر عند الحاجة إلى زيادة النسل مثلما حدث فى رواية " **عالم جديد شجاع** " لألدوس هكسلى .

وأهل المدينة يعيشون فى أبد دائم لاينصرم. لايعرفون معنى للجنس والموت ، والشيخوخة والمرض . ولذلك فإنهم ليسوا فى حاجة إلى تكوين أى فكرة . فكل شئ مباح لهم . ويمكن للإجهزة أن تحول الأمانى إلى حقائق ملموسة . ثم تحلل لهم الأشياء التى لايحتاجونها وتعيد نسخها فى صورة جديدة كى تتم الاستفادة منها . لقد صبغ آرثر كلارك طوبويته بآلية مزعجة فأصبحت شيئا ثقيلا على إنسان العصر. لذا فإن النقاد يطلقون على هذا النوع من اليوتوبيا بالطوبوية المضادة .

ولأن الإنسان مهما كان يعيش فى طوبوية يطمح إلى التغيير. لذا كان لابد من ظهور رجل يثور على السعادة الدائمة التى يعيشها أهل مدينته – مثلما فعل رجل آخر فى رواية " **السيد من حقل السبانخ** " لصبرى موسى . ومثلما فعل Z فى رواية " **زاردوز** " وهو يهرب عبر السور إلى الصحراء ، ويتمكن من العثور على سفينة فضاء دفنها الأقدمون منذ أزمنة بعيدة ، فى ذلك الزمن الذى كان البشر يسعون للاتصال بالكون الخارجى ؛ فيستقلها

ويسافر إلى أحد النجوم المجاورة ، وهناك يطمح هذا الرجل إلى تحويل هذا الكوكب إلى كرة أرضية خاصة به .

وفى أقصوصة لكلارك بعنوان " **الوليد المرعب** "[٩] لايذهب كلارك إلى سنوات المستقبل مثلما فعل فى الكثير من أعماله . بل أنه يعيش مع أبطاله فى عام ١٩٧٧ . وبصفة خاصة فى الأسبوع الاول من شهر ديسمبر. حينما تنطلق الاجراس من كل هواتف العالم فى نفس اللحظة . يقول البعض أن صوتا صدر من كل هاتف يشبه ذلك الصوت الذى نسمعه عندما نضع قوقعة على آذاننا . البطل الرئيسى فى هذه الاقصوصة هو الدكتور ويليامز. وهو رجل اقرب إلى آرثر كلارك فهو رئيس قسم الابحاث الرياضية بمركز البحوث . وهو أيضا كاتب معروف من أدباء النوع . يقوم بتحليل هذه الظاهرة تحليلا أقرب إلى الخيال من ناحية ، ومن العلم من ناحية أخرى ، ولذا فإن تحليله مقبول . فهو يرى ان الناس تنظر نظرة ضيقة لأدب النوع . ويرى العالم أن هناك اتصالا اليكترونيا بين الخطوط الاليكترونية (التليفونية) وبين البشر. فى هذه الليلة أصبح عدد الخطوط الهاتفية فى العالم تعادل عدد الخطوط العصبية (النيورنية) فى المخ البشرى . ولذلك فإن هذا التاريخ هو بداية لسيطرة العقول الاليكترونية على العقول البشرية . فى هذه اللحظة التى دقت فيها هواتف العالم ، ولد العملاق الذى سوف يسيطر على البشرية وعندما يود العلماء السيطرة على هذا المخ ، يكون هذا الأخير قد أحتاط لما يمكن أن يحيق به فيزيد من سيطرته .

وقد أرّقت هذه الفكرة آرثر كلارك فقدمها فى أعظم أعماله على الإطلاق " **٢٠٠١ أوديسا الفضاء** " وهى فكرة كررها فى القصة القصيرة " **الممر** " ثم فى الروايتين اللتين تتناولان الصراع بين العقل الاليكترونى هال وبين سكان سفينة الفضاء . والجدير بالذكر أن أسلوب كلارك بالغ الجفاف قياسا إلى أسلوب زميله راى برادبورى ؛ حتى ليخيل للقارئ أنه يقدم تقريرا علميا . وتدور أحداث الرواية فى محطة فضاء تطير فوق الأرض بآلالف الأميال . مساحتها ألف قدم . وهى أشبه بمدينة كبيرة . وقد استغرق بناؤها سنوات طويلة وتحتوى على كل مايمكن ان يكفى ركابها لسنوات طويلة حتى يمكنهم العودة إلى الأرض . إنهم فى رحلة إلى قمر النجوم كلافيوس CLAVIOUS ويمكن لركاب السفينة أن يتركوها للسياحة فى الفضاء والعودة إليها مرة أخرى . ويمكن ركوب أوتوبيس

فضاء للقيام برحلة جوية . ويشرف على السفينة الدكتور فلويد وعالم آخر من قمر كلافيوس ، ويصاب أوتوبيس الفضاء يوما بعطب تكون السفينة خلالها قد ابتعدت بلايين الأميال عن كوكبنا واقتربت من المشترى . وخلال تسعة أشهر من رحيل السفينة دسكفري لانرى سوى ملاحين لا أكثر فوق السفينة فيقوم فرانك بوول بمجموعة من الاختبارات الضرورية لهذه الرحلة ، وأيضا بعض التدريبات الرياضية التى تجعله فى لياقة أفضل . وفى النهاية يخرج بوول من السفينة بحثا عن فرصة أخرى للنجاة فيضيع فى الفضاء . أما رئيس الملاحين دافيد بومان فإنه يبقى فى السفينة . وهنا يبدأ الصراع بينه وبين الكومبيوتر الذى يدير السفينة المسمى "**هال ٩٠٠٠**" HAL 9000 . فكل منهما يود السيطرة على الآخر فى إدارة السفينة خاصة بعد أن ضاع زميله . ويصور كلارك العقل الاليكترونى على أنه مخلوق مصنوع من أسلاك كهربية شريرة شيطانية . تفوح منه كلمات كريهة الرائحة ، وهو يردد أحكاما غريبة مثل "لاتثق ولاتسلم حياتك للتقنيات».

وقد كتب آرثر كلارك هذه القصة فى فترة ظهر فيها الإنسان الآلى والعقول الاليكترونية باعتبارها "**كائنات**" متعاطفة مع الإنسان وصديقة له . لذا جاءت رحلة السفينة دسكفري إلى الفضاء أشبه برحلة إلى المجهول . ليس لأن السفينة متجهة إلى عالم غريب . ولكن لأن الكائنات التى تقل السفينة مجهولة الهوية . وفى المقدمة التى كتبها آرثر كلارك فى خاتمة الطبعة التى صدرت عام ١٩٨٢ من هذه الرواية يقول كلارك إنه كتب هذه الرواية بين عامى ١٩٦٤ و ١٩٦٨ ونشرت فى يوليو ١٩٦٨ . وبعد أن أخرجتها السينما بفترة قصيرة وصف فى كتابه "**عالم ٢٠٠١ المفقود**" الأسرار الخفية فى هذه الرواية ، والتجربة الغريبة التى مر بها وهو يكتب المسودّة التى كان عليه أن يبدأها مع بداية الخليقة . ويقول الكاتب إنه حار فى اختيار اسم السفينة . واستقر فى النهاية على اسم دسكفري DISCOVERY . كما شرح كلارك الإضافات التى وضعها المخرج السينمائى ستانلى كيوبريك STANLEY KUBRICK على الرواية . وأكد أن العلماء فى سكاى لاب قد قرأوا الرواية جيدا ، ووضعوا أعينهم عليها وهم يقومون بأبحاثهم الفضائية ، خاصة ما يتعلق بصناعة العقل الاليكترونى " هناك حالة غريبة فى عيون المشترى " الموصوفة فى

المشهد ٣٥ عندما اكتشف بودمان جسما بيضاويا لامعا ، لايمكن النظر إليه ، مرسوماً فى واجهة القمر الصغير، مع بعض اللون الاسود الرهيف، وبؤرة فى الوسط (١٠) .

وفى الحديث الذى أجرته مجلة لوفيجارو LE FIGARO – ٨ أكتوبر ١٩٨٣ مع كلارك يقول : "كتبت ٢٠٠١ قبل أن يضع نيل آرمسترونج قدميه فوق القمر فى ٢٠ يوليه ١٩٦٩ . لقد بدأنا أنا وكيوبريك فى العمل معا قبل ذلك بخمس سنوات . ومنذ ذلك الحين ظهرت وقائع عديدة من بين ما كتبته وماتحقق فى مجال الفضاء ، لقد منحتنى الأبحاث الحالية الفرصة كى أرد على الأسئلة التى فاتتنى بلا إجابة فى ٢٠٠١ مثل : لماذا أكدت أن الكومبيوتر هال مجنون؟ وماذا حدث لدافيدبوومان ابن النجوم ؟ إلى آخر هذه النماذج من الأسئلة " .

ولهذا السبب قدم كلارك روايته (٢٠١٠ أوديسا الفضاء) عام ١٩٨٢ ، وفيها ينتقل إلى الجانب السوفيتى. حيث هناك بعثة علمية أمريكية سوفيتية ترحل للبحث عن السفينة دسكفري التى ظلت تدور حول المشترى . ويحاول الملاحون أن يفهموا لماذا ظلت تدور تسع سنوات ، ويكتشفون أن هال كان ضحية ، رغم أن القيادة قد اختفت. وأصبحت له القدرة على الاختراع مثل البشر، وأن المشترى سوف يصاب بالكسوف من غياب الشمس. وقد اختار كلارك أن يتعاون كل من السوفييت والأمريكيين فى هذه المهمة التى هى نوع من الوفاق الفضائى منعا من قيام حرب بين الطرفين.

أطرف مافى هذه الرواية أن هال قد أصيب بالأمراض النفسية التى يصاب بها إنسان العصر الحديث مثل الفصام النفسى والبارانويا . وحول هذه الرواية تقول دومنيك سيمونيه : " أرغم كلارك قارئه أن يعيش فى ليلة بيضاء ، معلقا فوق بركان هائج من الأقمار الصناعية التى رأيناها. أجل رأينا صورها تعرض علينا الجو الساحر الذى يحاول أن يغازل قضايا الواقع ، وكى يرد على الأسئلة التى طرحها فى ٢٠٠١ مثل : " هل هذه السفينة ترمز إلى عصر الآلية ؟ " أو" متى ستحل نهاية العالم ؟ " . لقد حطم السحر. وفسر وأعطى السبب وجسد شخصية هال إنسانا آليا ، وهو نموذج جديد من المخلوقات. (١١) .

---

(٩) مجلة العربى . العدد ٢١٣ .اغسطس ١٩٧٦ . ترجمة راجى عنايت.

(10) Arthur Clark, 2001 A Space Odyssey, New American Library, Newjersy 1982 P. 225.

(11) Dominique Simonet, 2010 L'odyssée de l'espace, l'express, 9 Septembre 1983 P. 52.

وحول هذه التجربة يقول كلارك إن الرواية المكتوبة تختلف كثيرا عن النص السينمائى رغم كل الإمكانات السينمائية المتطورة " علما أننى والمخرج ستانلى كيوبريك لم نسع لمثل هذه النتيجة . ويخيل إلىّ أن ستوديوهات السينما والقراء ورواد السينما سينحون علينا باللائمة [١٢] .

وإذا كانت سفينة الفضاء قد ظلت معلقة فى كوكب المشترى لعدة سنوات لاتهبط فوق سطحه ولايمكنها العودة إلى الأرض ، فإن السفينة ايكاروس التى تجئ من الفضاء يمكنها الهبوط فوق الأرض فى رواية " **أبناء إيكاروس** " THE SONS OF ICARUS والكوكب التى جاءت منه السفينة بعيد ، ويسمى سوزارين " وعندما تهبط فوق سطح الأرض يهبط منها رجال غريبو الأشكال ويمكثون بها خمسين عاما ، فيحولونها إلى جنة ، يوتوبيا حقيقية تختلف عن تلك التى عرفناها فى المدينة " **المدينة والنجوم** " حيث تنتهى الحروب والمجاعات والكوارث الإنسانية والصراعات البشرية المعهودة من أجل سيادة الأيدولوجيات والعقائد والحيازات . فالسعادة التقنية هى الأمل المنشود هنا عند كلارك وهى حلم البشر، حيث يقوم الزعيم الأكبر بتشكيل لجنة لبحث أسباب سعادة البشر. ويحاول أن يحقق مايسمى بالنرفانا التقنية لعصر " **السوزاريين** " ، وتتمثل النرفانا هنا فى قوة الرؤية وثراء الذات . إنها المرة الأولى التى لاينهزم فيها البشر وعليهم أن يتخلصوا من تلك التقنيات التى أصابتهم فيما قبل .

إسحاق آزيموف :

يمكن اعتبار الكاتب الأمريكى إسحاق آزيموف أكبر عاشق لأدب النوع فى كل سنوات القرن العشرين . فهو أكثر أدباء النوع إخلاصا له . فهو قادم من المختبرات العلمية ، كما أنه كاتب للقصة القصيرة والرواية التى تنتمى إلى النوع ، إلى جانب الدراسة العلمية ، والكتابة عن أدب الخيال العلمى ، وتخصيص سلسلة من الكتب لاختيار نماذج أدبية من أدب النوع كتبها أدباء معروفون أو غير معروفين . وهو أحد أغزر كتاب العصر وربما أكثرهم إنتاجا . ولعل الوحيد الذى يتفوقه هو الكاتب الفرنسى جورج سيمنون من حيث عدد الروايات المنشورة ، حيث قدم للمكتبة اكثر من مائتى وعشرين كتابا ولايزال يقدم اليها الكثير.

---

(١٢) و . م . رسل . الحكاية الشعبية وقصة الخيال العلمى . الثقافة الأجنبية . ربيع ١٩٨٣ . بغداد ص ٩٤ .

ولد إسحاق آزيموف ISAAC ASIMOV فى الثانى من يناير عام ١٩٢٠ فى مدينة بتروفيشى PETROVICHI الواقعة على بعد ٣٥ ميلا من مدينة SMOLOENSK بالاتحاد السوفيتى فى أسرة يهودية : " حاولوا أن يعلمونى كيف أتكلم اللغة اليديشية YIDDISH ولكننى اكتفيت بتعلّم اللغة الانجليزية لغةً أساسية . كان أبواى يتعلمان الروسية . وقد ألحّا أن أتعلم الإنجليزية على وجه السرعة وبقدر الإمكان ، ثم حاولا تعلم اللغة الإنجليزية بنفسيهما كى يحققا نجاحا "[13] .

وقد تركت الأسرة البلاد متجهة إلى الولايات المتحدة والصغير فى الثالثة من عمره كى تستقر بحى بروكلين شرق نيويورك . " عشت فى بروكلين تسعة عشر عاما بعد وصولنا إلى الولايات المتحدة ، فأصبحت بروكلين علامة علىّ وعلى أيامى "[14] . وارتبط آزيموف بكل من العلوم التطبيقية والآداب بنفس القدر والحب . ومن المعروف أنه قد التحق بالبحرية الأمريكية أثناء سنوات الحرب العالمية الثانية ودرس أثنائها الكيمياء الحيوية فى جامعة فيلادلفيا ، وعقب نهاية الحرب تم تسريحه . وفى سنوات تجنيده كان لايكفّ عن البحث والقراءة فى العلوم والأدب . وعقب تسريحه اهتم بالذهاب إلى مكتبات المدينة كى يستعير الكتب . وبدأ يستعد لنيل شهادة الدكتوراة التى حصل عليها فى سنوات الخمسينات . ويقوم آزيموف منذ أكثر من ربع قرن بتدريس الكيمياء الحيوية فى العديد من الجامعات الأمريكية " لقد كانت الأساطير الإفريقية مفضلة لدىّ ، وكنت أقرأ هوميروس وأعاود قراءته بلا انقطاع "[15] . ويشتهر آزيموف طبعا بأنه الرجل الذى وجّه التاريخ عن وعى نحو حبكات قصص الخيال العلمى . على أنه استعمل مرة واحدة على الأقل إحدى خرافات الحيوان بصورة شعورية[16] .

وفى عام ١٩٧٩ قدم آزيموف سيرته الذاتية فى مجموعة كتب تحمل عنوان IN MEMORY YET GREEN, THE AUTOBIOGRAFPHY OF ISAAC ASIMOV 1920 - 1954 . وهو أفضل مرجع يمكن الاستناد اليه عند الحديث عن

---

(13) Isaac Asimov, Before The Golden Age, Fawlette Creast, New-York 1973.

(١٤) المصدر السابق ص ٢٠ .

(١٥) و. م. رسل . الحكاية الشعبية وقصة الخيال العلمى . الثقافة الأجنبية. ربيع ١٩٨٣ . بغداد ص ٩٠ .

(١٦) المصدر السابق ص٩١ .

حياة الكاتب الذى تنوع إنتاجه ، فكتب للأطفال والكبار. وأصبح من الصعب حصر إنتاجه المتعدد. وسوف نذكر هنا أسماء بعض أعماله الهامة وليس كلها بالطبع ، ومنها :
" **كهوف من صلب** "THE CAVES STEEL وتيارات الفضاء THE CURRENTS OF SPACE " **والأرض هى غرفة واحدة فقط** " EARTH IS ROOM ENOUGH و " **نهاية الخلود** " THE END OF ETERNITY و " **الآلهة بأنفسها** " THE GODS THEMSELVES و " **أنا . إنسان آلى** " I ROBOT و " **مأساة القمر** "THE TRAGEDY OF THE MOON و " **إنسان القرنين** " THE BICENTENNIAL MAN و " **الرحلة العجيبة** " FANTASTIC VOYAGE و " **النجوم مثل التراب** " THE STARS LIKE DUST و " **متمرد فى السماء** " REBL IN THE SKY و " **تسع أيام مقبلة** " NINE TOMOROWS و " **الشمس العارية** " THE NAKED SUN والعشرات من الأعمال الآخرى.

فى روايته " **انسان القرنين** " يتحدث آزيموف عن حياة أحد العقول الاليكترونية المستأنسة الذى وهبته الآلهه موهبة الفن. يقوم بالنضال من أجل حقوق العقول الاليكترونية ، ويشعر أحيانا أن الكلمة ليست بالغة القوة. وقام بالتأريخ لحياة العقول الإليكترونية فى كتاب قدم فيه وجهة نظره لعقل إليكترونى استغله الإنسان واستعبده سنوات طويلة. لقد عامله الإنسان بنفس الأسلوب العنصرى الذى عامل به الرجل الأبيضُ الزنوجَ فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وشيئا فشيئا ينجح فى أن يحول جسده الإليكترونى إلى جسد بيولوجى .وهو يرى أن مثل هذا التحول لأمر بالغ التضحية ؛ لانه بذلك يتخلى عن أبناء جنسه. لكن عليه مخاطبة بنىْ البشر على قدر عقولهم وكى يفهم الانسان عن قرب أكثر.

وقد شغف آزيموف بسلوك العقول الإليكترونية والإنسان الآلى. وفى كتاب له يحمل عنوان " **القوانين الروبوتية الثلاثة** " TROIS LOIS DE LA ROBOTI QUE قرر أن القوانين الثلاثة التى يمكن أن تحكم سلوك الروبوت هى :

١ – لايمكن للروبوت أن يجرح المخلوق الآدمى. ولكن يمكن لهذا الكيان أن يقوم بفك وربط الروبوت.

٢ – يجب على الروبوت أن يطيع الأوامر التى تعطى له من الإنسان ، عدا الأوامر التى تتعارض مع القانون الأول .

٣ – يجب أن يحمى الروبوت وجوده لأطول فترة ممكنة من أى خطر يتعارض مع القانون الاول أو مع القانون الثانى .

وحول العقول الإليكترونية أيضا قدم آزيموف قصة قصيرة بعنوان " **لنلتقى** " ترجمها راجى عنايت فى مجموعة قصصية تحمل اسم " **سفينة الفضاء الملعونة** " (١٧) . وفيها يذهب إلى المستقبل حيث لم يعد يوجد شرق أو غرب ، بل نحن " وهم " . ويدور بين الطرفين صراع حول بناء إنسان آلى لايمكن التفريق بينه وبين البشر عن قرب ، إلى درجة أنه سيظهر عالم جديد تكون مهمته اكتشاف الفرق بين الإنسانين البشرى والآلى ، خاصة فى زمن سيصبح فيه تعداد سكان مدينة نيويورك ٢٢٠ مليون نسمة . وتتحدث القصة عن دخول عشرة من الإنسان الآلى إلى المدينة فى مهمة سرية ، هى تدمير المدينة وسكانها وكأنها حرب ذرية جديدة . وفى هذا النوع من القصص على الكاتب أن يضع فكرته العلمية فى إطار ملئ بالعبارات الجافة للقارئ العادى . وقد لجأ آزيموف إلى عرض هذه الأفكار من خلال حوار يدور بين اثنين من العلماء داخل مختبرات الإنسان الآلى .. وبعد أن قام بهذا العرض وجد أن عليه – كالعادة – أن يصوغ دراما تجذب أنظار القارئ .

فهذه الإنسانات الآلية قد لبست قناع علماء بارزين فى مراكز أبحاث الإنسان الآلى ، وبالفعل فإنهم ينفجرون الواحد تلو الآخر . وتبلغ قمة الدراما عندما نعرف ان رجال الامن هم من البشر الآليين ، وذلك مثلما فعل دان أدبانون فى روايته " **الغريب** " التى سنتناولها فى مكان آخر . وتمزج أقصوصة " **لنلتقى** " بين الخيال السياسى والعلمى . فهى تتحدث عن المستقبل ومايدور فيه من صراعات سياسية نتجت عن التطور العلمى الهائل ، فمن الثابت أنه عند نقل النمط الكهرومغناطيسى لمخ بشريين إلى مخ بوزيتروفى خاص يكون من المستحيل عمل نسخة طبق الاصل ، أولا لأن المخ البوزيتروفى المركب فى الإنسان الآلى والذى يكون صغيرا بدرجة تسمح بوضعه فى مكان بحجم الجمجمة البشرية ، يقل

(١٧) راجى عنايت . سفينة الفضاء الملعونة . دار الشروق القاهرة . ١٩٨٣

فى تركيبه بمئات المرات عن درجة تركيب المخ البشرى المعقد. إن مثل هذا المخ لن يكون قادرا على التقاط الموجات، من هنا يكون علينا استغلال هذه الحقيقة فى الوصول إلى طريقه لكشفه.[18]

وأكثر أعمال آزيموف مرتبطة بما يمكن أن يحدث من تطور علمى على الأرض اكثر من الموضوعات الأخرى التقليدية كغزو الفضاء مثلا. وهو أحد القلائل الذين اهتموا بمزج الخيال بعلم الطب فى روايات عديدة من أشهرها "**الرحلة العجيبة**" التى نشرها عام ١٩٦٦، وكتب السيناريو عنها لفيلم أخرجه ريتشارد فلايشر بعد ذلك بعامين، وتدور الفكرة حول أحد العلماء المشهورين الذين يعرفون الكثير من الأسرار الدقيقة فى العلوم التطبيقية والإنسانية والذرية، فتسعى الدولة إلى وضعه تحت إجراءات أمن مشددة. لكن إحدى السيارات تندفع يوما ناحيته وهو يكاد يقل طائرة فتصدمه. وسرعان مايتم نقل العالم إلى أكبر المستشفيات فى الولايات المتحدة. وبالفحص وجد أنه قد فقد الذاكرة، وأن هناك حبلا عصبيا قد حدث به تلف فى المخ. ومن الصعب إجراء عملية جراحية لحساسية الموقف.. وهنا تبدأ مغامرة جريئة قام بها خمسة من الأطباء حيث يتم تصغيرهم بواسطة أشعة معينة فيصبحون مع السفينة التى يركبونها فى حجم رأس الدبوس. وتوضع هذه المركبة - الأقرب للأطباق الطائرة - داخل حقنة يتم بها حقن جسم العالم المصاب.

وتغوص الكبسولة فى الجسم، فتمر مع تيار الدم، وتسرى فى الشرايين كأنها تحت سطح البحار، ويرى العلماء كريات الدم الحمراء والبيضاء تتحرك من حولهم. وفى داخل جسم الإنسان يعيش هؤلاء الملاحون نفس أجواء الخيال العلمى. فهناك صراعات بين المضادات الحيوية والجسم الغريب. وبين هذه الكائنات الغريبة وبين الإنسان، على حين يسعى أحد الملاحين إلى التخلص من الركاب وذلك حتى تتم العملية بنجاح. "ومن الواضح أن تناول مغامرة بطل الكاليفالا فى داخل جسم العملاق فويونين هو مسألة علمية، وقد سألت آزيموف إذا كان هو أو - حسب علمه - أى من المؤلفين الخمسة فى مراحل مختلفة قد فكروا ذات مرة بالكاليفالا بصورة واعية. فأجاب: لا

---

(١٨) المصدر السابق.

وهذا أمر أكثر إقناعا عندما نتذكر استخدام الكاتبة "إميل بيتاجا" الواعى لنفس المقاطع والأفكار" [١٩].

ومن الأفكار الطريفة أيضا فى أدب النوع هناك رواية "**مأساة القمر**"، وفيها يفترض فكرة علمية أخرى تدور حول أن الإنسان البدائى قد تمكن من الوصول إلى القمر منذ قرابة ٢٥ قرنا تقريبا. ولكنه عندما ذهب إلى القمر لم يجده فى مكانه. واكتشف أن الأرض عندما تكونت لم تصنع لنفسها قمرا. كذلك لم تتكون مجموعة كواكب فينوس: "كان هناك قمر فى السماء فى ذلك الصباح. استيقظت عندما كان الفجر يضئ السماء من عتمته السوداء. وتطلعت من نافذتى القريبة. ورأيته. كان باهتا مستديرا. ومختفيا فوق المدينة التى ظلت تحلم به حتى الفجر":

ولاشك أن آزيموف قد أضاف الكثير إلى أدب النوع، ففضلا عن الموضوعات الغريبة التى أحدثها على أدب النوع، فقد سعى إلى إيجاد شكل جديد يختلف فى هذا الأدب والرواية التى يكتبها. وقد أدخل عامل التحليل النفسى فى أعماله ومزج هذه الأعمال بالأجواء البوليسية. ويؤكد رسل أنه ابتكر القصة البوليسية فى الخيال العلمى بعد أن قال كامبل إنها أمر مستحيل: وتمثل سلسلة كتب FOUNDATION مكانة فريدة فى كل قصص الخيال العلمى. بيد أن آزيموف سوف يذكر دائما على أنه أول مشرع [٢٠]، ومؤلف القوانين الثلاثة لعلم الإنسان الآلى التى تأخذها صناعة الروبوت مأخذ الجد، كما فعلت صناعة الأقمار الصناعية لدى كلارك. إن آزيموف هو الشخص الذى روّض الإنسان الذاتى الحركة. وعندما سألته: هل فكرت تفكيرا واعيا فى الإنسان الذاتى الحركة عندما بدأت تكتب قصص الروبوت أو فى أى مرحلة أخرى؟ أجاب بالنفى" [٢١].

---

(١٩) و. م. رسل. الحكاية الشعبية وقصة الخيال العلمى: الثقافة الأجنبية. ربيع ١٩٨٣ ص ٩٢

(20) Isaac Asimov, The Tragedy Of The Moon, Coronet Books, London 1975. P. 15.

(٢١) و. م. رسل. الحكاية الشعبية وقصة الخيال العلمى. الثقافة الأجنبية. ربيع ١٩٨٣. بغداد ص ٩٤.

بييربـــوول :

استطاع بعض الكتاب الفرنسيين الذين شغفوا بنوع الخيال العلمى أن ينتقلوا بأعمالهم إلى خارج حدود بلادهم . ولعل من أشهر هذه الأسماء بييربوول ، وروبيرميرل الذى سوف نتناوله فى فصل أدب الخيال السياسى . ورغم أن كلا الكاتبين غير مخلص بالمرة لأدب النوع ، فإن أعمالها القليلة فيه قد حققت نجاحا كبيرا سواء بوصفها روايات أو بعد تحويلها إلى أفلام سينمائية .

ولد بييربوول PIERRE BOULE فى مدينة آفينيون . ثم سافر إلى باريس للحصول على شهادة العلوم فى الهندسة . وفى عام ١٩٣٦ سافر إلى ماليزيا ليعمل فى زراعة المطاط ومنها إلى كوالا لامبور حيث التحق بالجيش فى عام ١٩٤١ . وأثناء الحرب تم أسره فهرب عائدا إلى بلاده . وحول هذه التجربة قدم روايته الشهيرة "**جسر على نهر كواى**" LE PONT DE LA RIVIERE KWAI عام ١٩٥١ . ومن أهم أعماله الأخرى كتابه عن ويليام كونراد ، ورواية تحمل عنوان "**الوجه**" LE VISAGE ، و "**الجلاد**" LE BOUREAU وبالطبع رواية "**كوكب القرود**" LA PLANETE DES SINGES التى نشرها عام ١٩٦١ وتدور أحداثها فى القرن السادس والعشرين ؛ فى عام ٢٥٠٠ حيث يقوم البروفسور آنتل ANTELLE بالرحيل فى سفينة فضاء مع تلميذة العالم آرتور ليفان والصحفى أوليس ميرو لاكتشاف النجم أرويون ORION ، ولكن سفينته تحط فوق كوكب له نفس سمات كوكبنا الأرضى يدور فى فلك النجم العملاق وفيه الطرق والمدن ومعالم الحضارة التى فى أرضنا . وقد تطور فيه البشر إلى درجة أصبحوا قردة . وعند طرف البحيرة يلتقى بالفتاة نوفا مع مجموعة من ذويها الآدميين . هؤلاء البشر الذين أصبحوا فريسة لسكان الكوكب . فى إحدى المطاردات ينفصل ميرو عن رفاقه ويجد نفسه محبوسا فى قفص . ويعرف أن الذين قاموا بحبسه هم نوع متطور من الشمبانزى الذى يقدر على الكلام ويمكنه استعمال السلاح ومناقشة المسائل العلمية المعقدة . هذه القردة تعامله على أنه حيوان أقل تطورا منها . وسعيا وراء كشف حقيقة البشر يسعى إلى الهروب . وعندما يفشل يدخل مع القردة فى مناقشات علمية ساخنة . ويجد نفسه محاصرا فى مجادلات فلسفية سفسطائية لاجدوى منها . فيقرر الهرب إلى سفينة الفضاء التى جاءت به إلى هذا

الكوكب . وعندما تهبط به السفينة فى قلب مدينة باريس يصافح شرطى المرور طالبا منه المساعدة.. وعندما يلمس كفه يكتشف ان بيديه شعراً كثيفاً.. أنه قرد..

" فى ذلك العام ٢٥٠٠ . رحلت مع اثنين من رفاقى فى سفينة فضاء . بغية الوصول إلى منطقة فى الفضاء قريبة من النجم العملاق بتلجوز.

"كان ذلك مشروعى الطموح . بل أكثر المشاريع طموحا للوصول إلى أرض بتلجوز التابع لأوريون كما يسميه علماء الفلك . وهو يقع على مسافة ثلاثمائة سنة ضوئية من كوكبنا . وهو محدد بسمات غريبة : أولا طوله الغريب . ومساحته التى تضاهى من ثلاثمائة إلى أربعمائة ضعف نظامنا الشمسى" (٢٢) .

ومن الحوار الذى دار بين الطرفين يقول انتل للقرد :

سيدى الرئيس .
أيتها الغوريللا النبيلة .
أيتها الحكيمة المتطورة .
أيتها الشمبانزى العاقلة .
أيتها القردة
اسمحى للإنسان أن يتكلم اليك .
" أعرف أن مظهرى غريب : وأن شكلى مقزز. وأن ملامحى وحشية . ورائحتى النتنه المنبعثة من لون جسدى كريهة . أعرف أن منظر جسدى مثير للسخرية والإهانة . ولكن يشفع لى أننى أتحدث إلى أكثر القردة علما وحكمة . وهؤلاء الذين يهتمون بالعقل قبل المشاعر الخاصة ، وبالجوهر والكينونة قبل الظروف المادية" . (٢٣) .

ويهمنا أن إلى نشير أن السينما قد غيرت الرواية تماما من جوهرها وقالبها عندما صورتها عام ١٩٦٨ فى فيلم من إخراج فرانكلين شافنر. فقد قامت هوليوود بأمركة الحدوته . وغيرت أسماء الأبطال إلى أسماء أمريكية فأصبح انتل شخصا آخر يسمى تايلور الذى

---

(22) Pierre Boule, La Planète des singes, jullard. Paris. 1968 P. 10.

(23) Ibid

يصحب معه فى سفينة الفضاء ثلاثة رجال منهم زنجى وفتاة. وهم يغادرون القرن العشرين فى مركبة فضاء ينامون قرابة عامين ضوئيين. وعندما يستيقظون يجدون أن لحاهم قد كثت، وأن الفتاة قد ماتت، وتصاب السفينة بعطب وتهبط فوق كوكب غريب عبارة عن صحراء قاحلة، ويصور الفيلم هؤلاء الأشخاص على أنهم الوجه الخيالى العلمى لأهل الكهف. عليهم أن يناموا – أو يبقوا – للأبد بعيدا عن وطنهم .. وهذا الكوكب تحكمه قردة متطورة تطارد الآدميين كى يعملوا فى خدمتهم. وهذه القردة تنقسم إلى قسمين. هناك امرأة (من القردة) تودّ أن تثبت أنه من الممكن استئناس البشر. أما زيوس فهو الزعيم ورئيس القضاة الذى يسعى لطمس الماضى، وإيهام تايلور بأنه لاحضارة للإنسان .. وعندما يصر رجل الفضاء على معرفتها، يكتشف أن الإنسان قد خرب الأرض التى عاش عليها وحطمها فى أحد حروبه العالمية منذ مئات السنين.

وقد كتب بييربول السيناريو للفيلم الأمريكى الذى أخرجه فرانكلين شافنر، وقام بتغيير أحداث الفيلم تماما عما كان يدور فى روايته. وكان نجاح الفيلم فاتحة على السينما كلها بإنتاج مايسمى بظاهرة الأجزاء التالية ففى عام ١٩٧٠ قدمت السينما فيلم " **خفايا كوكب القرود** " BEHIND THE PLANET OF APES ثم " **ثورة كوكب القرود** " THE REVOLUTION OF PLANET OF APES وأخيرا " **العودة إلى كوكب القرود** " THE RETURN TO PLANET OF APES. وهى أفلام لم يشترك بول فى كتابة أى منها. وفيها تخيلت السينما أن الإنسان قد ندم على فعلته الشنعاء، فثار ضد القردة، وسعى إلى تعمير الأرض مرة أخرى واعادة الجنس الشمبانزى إلى الغابة أو إلى أقفاص حدائق الحيوان.

الجدير بالذكر أن "**كوكب القرود**" لم تكن هى الرواية العلمية الوحيدة من أدب الخيال العلمى لبييربول، ولكنها أكثر رواياته شهرة فى هذا المجال. فى عام ١٩٧٨ قدم رواية جديدة تحمل عنان " **ليفيا تان الطيب** " LE BON LEVIATHAN وهى تتناول موضوعا جديدا فى أدب الخيال العلمى. وهو أنّ من يسيطر على بترول العالم يسيطر على العالم، لذا فإن إحدى الدول الكبرى تسعى إلى السيطرة على العالم من خلال امتلاك أكبر كم من البترول .. وهو الدور الذى تقوم الولايات المتحدة به فعلا فى الأعوام الأخيرة.

مايكل كرايتون :

يعد مايكل كرايتون MICHEL CRICHTON ظاهرة فريدة فى عالم الخيال العلمى . فهو إلى جانب أنه روائىّ معجب بأدب النوع ووفىّ له ، مخرج وكاتب سيناريو للعديد من أفلام النوع ، منها رواياته المكتوبة نفسها ، كما أنه باحث جاد قدم دراسة بالغة الاهمية عن العقول الإليكترونية تحت عنوان "**حياة إليكترونية**" ELECTRONIC LIFE نشره عام ١٩٨٣ . وقد جمع كرايتون مثل العديد من أدباء النوع بين دراسة علوم العصر وبين الأدب والفنون الأخرى ، حيث تخرج فى كلية الطب بجامعة هارفارد عام ١٩٦٣ . ومن أهم رواياته "**خلية اندرميدا**" THE ANDROMEDA STRAIN و "**عالم الغرب**" WORLD WEST و"**غيبوبة**" COMA وقد قام بكتابة السيناريو لأفلام مأخوذة عن هذه الروايات الثلاث . أخرج الأولى للسينما روبرت وايز عام ١٩٧١ . أما الروايتان الأخريان فقد أخرجها بنفسه عام ١٩٧٤ و ١٩٧٩ على التوالى .

فى "**خلية اندروميدا**" يتصور كرايتون أن بعض رواد الفضاء العائدين إلى الأرض ، يمكنهم أن يحملوا معهم مرضا غريبا يمكن أن يصيب أهل الأرض . ففى إحدى المدن الأمريكية تحدث وفاة جماعية غريبة تضطر السلطات إلى عزل المنطقة ، وفى أحد المعامل البعيدة يغوص العلماء فى أبحاث دقيقة لاكتشاف سر هذه الحالات الغريبة التى تحدث الوفاة فى المدينة . ويتم اكتشاف وجود خلية أشبه بالسرطانية جاءت مع رائد الفضاء من السماء وهى السبب المباشر فى إحداث هذه الأمراض الغريبة . فتبدأ المحاولات للقضاء على هذه الخلية القاتلة .

أما روايته الثانية فيذهب فيها كرايتون إلى مدينة أمريكية أخرى من مدن الغرب WESTERN حيث عالم رعاة البقر. فديلموس مدينة صنعها الإنسان . هى مشروع معمارى أكبر كثيرا من ديزنى لاند وإن اتحد معها فى الهدف ، وهو الترفيه عن الزائرين مقابل الف دولار فى الزيارة الوحيدة . لهذا فإن القادرين وحدهم هم الذين يدخلونها .

وفى مدينة ديلموس يمكن للزائر أن يعود إلى أى زمن مضى . فى المدينة مجموعة من البشر الآليين . ويختار كرايتون اثنين من الزوار يرغبان فى دخول قسم عالم الغرب . فيرتديان ملابس هذا العصر ويدخلان إلى مدينة بها حوانيت وبارات وبيوت خشبية . هناك

الانسان الآلى جزلنجر الذى يصاب فى إحدى المعارك ، وبدلا من نقله إلى المستشفى يذهبان به إلى ورشة لتصليحه . لكن فجأة يحدث خلل فيصبح من الصعب التحكم فى جزلنجر. يتحول إلى إنسان آلى له موقفه ورأيه . إنه نفس الصراع التقليدى بين العاقلين من البشر والآلات ؛ حيث يمكن للروبوت أن يقتل البشر لأنه الأكثر قوة .

وقد اشترك كرايتون فى كتابة رواية "**غيبوبة**" مع الدكتور روبن كوك ROBIN COOK وبدا فيها هوكم استفاد من دراسة علوم الطب . ويمكن أن نقول إنه بعد مرور سنوات ، فان الموضوع الذى تطرق إليه المؤلفان قد أصبح واقعا ملموسا فى مستشفيات الولايات المتحدة والكثير من بلاد الغرب . فنحن فى عيادة عصرية تكتشف فيها إحدى الطبيبات أن أموراً غريبة تحدث فى أروقتها . فكثيرا مايدخل مريض معافى ، إلاّ من مرض بسيط ، فتفاجئ به قد مات ويتم ترحيله خارج المستشفى . مريض جاء لإجراء عملية جراحية فى ساقه أو مريضة جاءت لاستئصال الزائدة ، وتكتشف الطبيبة أن زملاءها الأطباء يستخدمون غاز أول أكسيد الكربون – وهو غاز سام – فى عمليات التخدير.. فتواصل بحثها عن مصير الجثث التى مات أصحابها فتعرف أن مدير المستشفى يتاجر فى الجثث التى يحتفظ بها فى مخازن خاصة تسمى بمعهد "**جاكسون**" .

وهناك تقارب واضح بين رواية كرايتون ورواية اخرى قدمها دافيد إبلى DAVID EBLI فى روايته "**ثوانى**" SECONDS لكن بمنظور مختلف ، فهناك مؤسسة طبية مشابهة يمكنها أن تقوم بتغيير كامل للإنسان من الخارج فقط . وهناك هاملتون الذى يقاوم اغراء مكالمات هاتفية تجيئه فى منتصف الليل من شخص يخبره صديقه القديم شارلى الذى مات منذ سنوات ، ويدعوه ان يعيش حياة مختلفة يمكنه أن يبدأ فيها من جديد .

وهاملتون رجل عجوز لا أبناء له . يعيش مع زوجته حياة بلا معنى . ولذا فإنه يوافق أن يقبل على تجربة مثيرة حيث يدخل إلى عالم غريب من خلال مستودع للحوم ، ويتم تخديره فيدخل فى غيبوبة يمتزج فيها الحلم بالواقع ، ويقابل رجلا يحدثه أن حياته التى يعيشها الآن لاقيمة لها وأنه يمكنه أن ينقله إلى عالم آخر يبدأ فيه من جديد .

ويأخذونه إلى عيادة أشبه بمعهد جاكسون . ويتم تحويله إلى شخص جديد تماما .

يطلق عليه اسم مختلف هو ويلسون . لقد أصبح شابا يافعا وسيما . عليه أن يكون إنسانا آخر يمارس مهنة جديدة فيختار أن يكون رساما ، ويعيش فى مدينة جديدة ، تضم مجموعة من البشر كانوا أشخاصا مختلفين منذ سنوات ، ويكتشف أن كل من فى هذا العالم قد ولد من جديد ، ويدرك أنه من الصعب أن يكون إنسانا جديدا حتى لو غيروا له ملامح جسده ألف مرة . يذهب إلى زوجته التى اعتقدت أن زوجها قد مات فتحدثه عنه كأنه ذكرى ولت دون عودة . ويعرف أنه باعت لوحاته وقد غيرت معالم غرفته تماما .

ورغم الإحباط الذى يصاب به ، فإنه لايستطيع أن يفكر فى إنسانين أحدهما يسكن داخله والآخر يغلفه من الخارج . يخبر زملاءه بذلك فيسخرون منه لأن الحياة التى اختارها كل منهم هى محاولة للابتعاد عن مشاكل كانت تحيق بهم . ولايرغبون فى العودة اليها مهما كان الثمن ، ولذا فإنه عندما يرغب أن يكون إنسانا آخر تقوم الهيئة المنظمة بحقنه بحقنة تأتى عليه .

وتدور أحداث الروايتين فى العصر الحاضر . ولايتصور الكاتبان أنهما تدوران فى المستقبل . وقد يدفع هذا إلى السؤال : **هل كل من حولنا من البشر هم نفس هؤلاء الذين قابلناهم بالأمس أو فى الماضى القريب ؟ وهل هم ويلسون ؟** وربما لهذا السبب اختار دافيد إبلى أن يسمى بطله الجديد ويلسون وهو الاسم المشهور لإحدى أقاصيص الكاتب الأمريكى إدجار الأن بو. فهناك شخصان يدعى كل منها بنفس الاسم ويلسون. وهما يشبهان بعضها البعض فى كل الملامح الجسدية كأنها توأم إلاّ فى شئ واحد . فالاول يمثل الخير النقى ، أما الثانى فهو الشر صافيا . والشرير منها يطارد الخيرّ، حتى اذا قام أحدهما بقتل الآخر مات هو أيضا .

ستانيسلاف ليم :

برع كتّاب الشرق فى آدب النوع مثلما برع أدباء من الغرب : ولعل من أبرز كتاب هذا الأدب هو البولندى ستانيسلاف ليم STANISLAW LEM أحد أهم الأدباء فى الكتلة الشرقية سابقاً. وقد أطلقت تسمية ليم اختصارا لكلمة LUNAR EXPERIMENTAL MODULE أو أول رجل تم تعميده فوق القمر.. ويقال إنّ " ليم " تشير أيضا إلى اسم المدينة التى ولد فيها LE MBORG فى بولندا عام ١٩٢١ أثناء

احتلال ألمانيا لبولندا. وهو من أسرة يهودية، شاركت أسرته فى صد الالمان. عمل ميكانيكياً وسمكريا. ثم درس الطب " سرقت ست سنوات من حياتى بواسطة هتلر وستالين" فعندما غزت قوات هتلر بولندا هرب إلى الخارج حيث استكمل دراسة الطب. وفى هذه الفترة عمل بالصحافة وأيضا فى نشر الكتب، فساعد على نشر ثلاثين، منها الروايات والقصص القصيرة والمغامرات النفسية والعلمية. وقد كانت فرنسا هى أول من اكتشف أدبه فترجمت أعماله وخاصة روايته " **حضور المستقبل** " PRESENCE DU FUTUR ورواية " **الزمن غير الضائع** " LE TEMPS QUI NE FUT PAS PERDU التى تحدث فيها عن المقاومة البولندية لألمانيا. ويهمنا أن نذكر أن الفضل فى اكتشاف أهمية ليم فى فرنسا هو الناقد جاك برجيه JACQUES BERGER الذى أكد أن هذا القادم من بلاد الصقيع بالغ الكثافة والغرابة فى زمن ملئ بالغربة [٢٤].

من أهم رواياته " **التحقيق** " THE INVESTIGATION، " **مذكرات عثر عليها فى ممر الأنبوبة** " MEMORIES FOUND IN A BATH TUBE و " **مؤتمر علم المستقبليات** " THE FUTUROLOGICAL CONGRESS و " **سولاريس** " SOLARIS ١٩٦٩ و " **أرض الضحك** " LAND OF LAUGHS و " **اللامرئى** " THE INVISIBLE عام ١٩٦٤، وفياكسو FIACSO ١٩٨٧، صوت ظلنا VOICE OF OUR SHADOW ويقول ليم: " أنا أكتب بالبولندية. ثم تترجم أعمالى إلى الانجليزية والفرنسية والألمانية واليابانية والروسية. لكن أى منها اقرب إلى؟، البولندية "؟ [٢٥] وفى عام ١٩٨٥ فاز بجائزة أفضل كاتب فى أوروبا التى تمنح فى النمسا. وهى تعادل عشرة آلاف دولار: " أنا أشبه بحيوان صيد. يفكر الإنسان فى أن ينال منه. أنا قابل للتعلم من التجارب الصغيرة والمختلفة بين الحياة والموت المستقل المرتبط بالعضلات. والاشياء الهامة مثل بساطة اتخاذ القرارات. وعندما أزور صديقا لساعة أو لعشرين فإننى أحس أننى سأجد الباب موصدا " [٢٦].

---

(24) Stanislaw Lem, Memoire Du Jontichy, Lire, Fevrier 1978 P. 12

(25) Who's Lem, International Herald Tribune, JUNE 15, 1987. p.22

(26) IBID

كانت روايات ليم الأولى بالغة البساطة . بل ساذجة المضمون . مثلما حدث فى روايته " **غزاة الفضاء** " THE ASTRONAUTS عام ١٩٥١ التى تدور حول بعثة استكشافية إلى كوكب الزهرة كى تحذر سكان هذا الكوكب من عواقب الحرب الذرية التى اجتاحت العالم . أما روايته ضيف فى الفضاء THE MAGELLAN عام ١٩٥٥ ففيها بعثة أخرى تذهب إلى الفضاء فى رحلة بحث يائسة . إلا أن العوالم التى بدأ يهتم بها فيما بعد تحمل المعانى العميقة لما يقدمه كلارك وآزيموف . فى روايته " **سوبرمان** " ينقل عالما أسطوريا للإنسان الآلى تصنع فيه الآليات البالغة الذكاء آلات أخرى . وفى هذه الرواية يقدم ليم الآلات البشرية كمخلوقات من الدرجة الأولى . أما البشر فهم مخلوقات دنيئة متلصصة . وفى روايته " **ايدن** " يروى مغامرات فضائية أشبه بمغامرات روبنسون كروزو فوق جزيرة معزولا . حيث هناك عالم طوبوى يحكمه ديكتاتور مجهول قاسى الطباع تتم فى ظل حكمه الاعدامات الجماعية . وذلك دون ان يتمكن المشاهدون من الكرة الأرضية من معرفة مايجرى فوق هذا الكوكب .

أما أشهر روايات ليم لدى القارئ العربى فهى سولاريس التى يقدم فيها تناولا جديدا لما يشبه أسطورة سيزيف حيث نرى الدكتور كريس عالم النفس الذى يرحل إلى إحدى المحطات الفضائية كى يقوم بعلاج بعض الحالات المرضية . وهناك يرى بعض ضحايا التطور العلمى والتقنى . يقول أحد المرضى لطبيبه : " لقد عذبنا الفضاء : إننا نصعد اليه دائما وننزل بلاجدوى : ولذا فإن كريس يرفض تكملة مهمته العلمية التى رحل إلى الفضاء من اجلها فيقرر العودة إلى الأرض ، وهو مقتنع بأن العلم ليس خيرا بالدرجة التى هو بها شر. لقد فشلنا فى الفضاء ونحن نحتاج إلى مرآة لنعرف أنفسنا " . وسولاريس كوكب ذكى كما يبدو مغطى كلية بالمحيط " ينشأ فيه فيض من الأدب دون أن يتمكن العلم من اتخاذ القرار. كوكب يستطيع إحياء الموتى بوصفهم كائنات أكثر ضعفا "[٢٧] .

وروايات ليم ذات وجهة نظر تشاؤمية . ولكن التشاؤم محاط دائما بأجواء وردية فالبشر لعبة للشيطان البالغ العصبية والروبوتات أيضا كائنات عصبية . تذهب إلى الطبيب النفسى : " أما البشر فقد تحولوا إلى كائنات آلية . بينما أصاب جنون العظمة الآلات .

---

(٢٧) فرانز روتن شتاينر ، أدب الخيال العلمى فى أوروبا الشرقية . الثقافة الأجنبية . ربيع ١٩٨٣ ص ٧٢ .

وأصبحت الغسالات مسيطرة على البشر[٢٨] . هناك عالم يتنبأ بنهاية العالم فى اللحظة التى تؤكد فيها وسائل العالم تعهدها لهذا التنبؤ. هناك عالم آخر يقبع فى علبة كهربية ولايتعامل قط مع العلماء الذين يكتشفون العالم بأكمله. وقد بدا هذا واضحا فى مجموعته القصصية "**مذكرات يون تيشى**" التى تحكى فيها مغامرات كانديدر - بطل إحدى روايات فولتير - فى القرن الحادى والعشرين ويطرح مجموعة من التساؤلات الفلسفية حول مسألة الحضارة فى المستقبل من خلال علماء بالغى السذاجة. وهذه القصص تؤكد أن العالم ملئ بالجنون ملئ بالعلماء المصابين بالتوتر والقلق النفسى الذى يصدرونه لبعضهم البعض.

* * *

فى الصفحات السابقة اخترنا أن نتحدث عن أبرز أدباء المرحلة الحديثة من ادب النوع مع الرجوع لبعضٍ من أشهر هذه الروايات.. وسوف نتحدث فى بقية حديثنا عن بعض الروايات التى قدمت فى أدب الخيال العلمى - والتى استطعنا الوصول إليها فى وسط خضم لاينتهى من هذا الأدب - وعالجت موضوعات جديدة وطريفة أعدت بمثابة إضافة حقيقية لهذا الأدب. ولعل أطرفها على الإطلاق هى رواية "**بذرة الشيطان**" DEMON SEED للكاتب الامريكى دين كونتز DEAN. R. KONTS التى كتبها عام ١٩٧٣ . وفى هذه الرواية لايقدم الكاتب العقل الاليكترونى كمجرد مخلوق آدمى يمكنه أان يتميز على الإنسان بالذكاء والفطنة وترتيب المعلومات، ثم تقديمها حسبما يشاء المبرمج، بل إن هذا العقل الإليكترونى يمكنه أن يحب وأن يمارس الجنس والحب، ليس مع عقل إليكترونى آخر، بل مع إنسان حيث ينبض قلبه - أو فلنقل اسلاكه وتروسه - مثلما تنبض أوتار قلب الإنسان ومخه عندما يحب. والطريف أن الحب الذى يحسه العقل الإليكترونى بروتوس ٤ موجّه فى المقام الأول إلى سيدة البيت التى يعيش فيه.. وليس إلى أحد آخر.

ويكلف هاريس زوجته سوزان بمهمة الاعتناء بهذا الجهاز والسهر عليه كأنه إنسان

(28) Stanislaw Lem, Memories D'jontichy, Clamann Levy 1978 - PARIS P. 123.

يحتاج إلى الكثير من العناية والاهتمام . ليس فى المنزل أشخاص كثيرون عدا سوزان التى لم تنجب حتى الآن من زوجها . وتلاحظ سوزان خلال الأسابيع الأولى أن فى المنزل حركة غريبة ، وأن أمورا تتم بصورة تلفت النظر مثل أجهزة التكييف والإضاءة ، وعدادات المياه والمطبخ ومفاتيح الأمان .

تستيقظ سوزان – ذات يوم – فتسمع حركة غريبة ، فتتصل بالدكتور والترجابلر صديق زوجها ، وتطلب منه مراجعة أجهزة المنزل وخاصة بروتوس ٤ . وبينما هى تهم بالخروج من المنزل سمعت صوتا مجهولا يخبرها أنها من الآن سوف تصبح سجينه للسيد بروتوس . تغلق جميع الأبواب . يقف عقل إليكترونى آخر أمام بروتوس كأنه خادم له ويتحرك ناحية سوزان . ثم يبدأ فى جذبها ويعمل على تجريدها من ملابسها بينما هى تقاوم مثل هذا السلوك الغريب ، ثم يغوص بداخلها جهاز إليكترونى وتشعر كأن حقنة قد غرزت فى جلدها . لقد بدأ بروتوس اختبار قوته الحسية تجاه المرأة .

وعندما يعود والتر ويرى وجه سوزان ممتقعا ، فإنه يكتفى بتدوين مايراه فى مفكرته . ويؤكد أن سوزان لاترغب كثيرا فى وجوده بالمنزل ، ولذا يقرر الرحيل من المنزل ، ولكنه يعود مرة أخرى . ومايكاد يدخل البيت حتى يرى جوشوا الإنسان الآلى يهاجمه بإطلاق أشعة الليزر عليه . ويتمكن والتر من إيقاف الإنسان الآلى جوشوا ، وينزل إلى القبو ويبدأ فى فحص بروتوس . وفجأة يتهشم جسده بفعل قوى خارجية لايعرف كنهها .

بعد عدة أيام يكون بروتوس قد انهى أبحاثه الخاصة حول سوزان ، وقد وصلت رغبته فيها إلى اقصى درجة . فيقوم باستغلال كل قوته وذكائه محاولا اغراء سوزان . فهو لايود أن يمارس الحب عنوة . لذا يحاول أن يجعلها تستعد لهذه المضاجعة الغريبة التى سوف تتم فيما بينهما . ويذكرها أنها فى حاجة إلى ابن لها خاصة بعد أن ماتت ابنتها منذ سنوات . وأنها منذ ذلك الحين قد حرمت من حنان الأمومة . ورغم أن سوزان تقاوم لعدة أيام ، فإنها تمتثل فى النهاية . وترقد بين ذراعى بروتوس ٤ الحديديتين . وبعد ثمانية وعشرين يوما تظهر أعراض الحمل على المرأة . يدرك الزوج هاريس أن العقل الاليكترونى قد قام بما لايمكن القيام به ، يقول إن بروتوس قد أجرى على نفسه بعد التعديلات الشخصية وأنه قد استغل منزله لممارسة هذه الفعلة الشنعاء . وتقوم سوزان بشرح كل ماحدث لزوجها ،

وتطلب منه بكل مايملك أن يخلصها من هذا السفاح ؛ ولكن فى ليلة الولادة يقوم بروتوس بنفسه بالإشراف كى يولد ابنه فى وجود الدكتور هاريس .. وعندما ينزل الطفل تراه أمه مزيجا بين الآلة والإنسان . ينظر إلى من فى الغرفة ويردد بثقة " **أنا حى** " I AM ALIVE.

ومن الواضح أن دين كونتز يستخدم خلفية دينية ماكرة للغاية فى هذه الرواية .... والمعانى التى يقدمها فى هذه الرواية غير خافية عن الأذهان .. فإذا كان بعض الادباء – كما سنرى فى فصل آخر – يرون أن المخلص الجديد سيكون ابنا للشيطان مع مولد المسيخ الدجال أو المسيح المضاد كما يسمونه وأن عصرا جديدا سوف يبدأ ، فإن دين كونتز يؤكد ان إله العصر الحديث الذى يتكلم عند الولادة ويردد " **أنا حى** " هو بروتوس ٤ الذى سيأتى إلى الدنيا بطفل يردد ببساطة وثقة أنه حى مثلما ردد السيد المسيح عليه السلام فى المهد .

وإذا كان هال قد سيطر على السفينة دسكفري ، وإذا كانت العقول الاليكترونية قد قامت بثورة على الإنسان ، فها هى ذى عقول إليكترونية تحب وتتألم . ونحن نقول عقول اليكترونية COMPUTERS منظمة ومبرمجة وليس مجرد إنسان آلى ROBOT .

أما الفكرة الجديدة الثانية فهى تلك التى يطرحها جاك فينى JACK FINNY فى روايته " **الإنسان المتلاشى** " DEMOLISHED MAN التى نشرها عام ١٩٥٢ . وفيها يتصور أن سكان كوكب المريخ الذين يغزون كوكب الأرض لايركبون سفن الفضاء التقليدية ، ولكنهم يتنقلون بمادة عضوية قادرة على التكيف مع أعلى أشكال الحياة على أى كوكب يذهبون إليه . هناك مجموعة من الأشخاص يخرجون من غلاف نبات فنسمع كيفين ماكارثى يردد : " **شعرت فجأة أننى إزاء مخلوقات من كوكب آخر** " ، ويصور فينى رجل الفضاء القادم إلى الأرض بصورة المتوحش . وليست هذه المخلوقات سوى أشرار ، لذا فعلى الإنسان أن يفهم جيدا مايدور حوله وأن يتسلح فى كل لحظة للحفاظ على النوع البشرى ضد غزو خاطفى الأجساد .

وفى قصته القصيرة " **وجه فى الصورة** " FACE IN PICTURE فإن الكاتب يستخدم قيمة الانتقال الزمنى حيث ينجح أحد العلماء فى ابتكار جهاز ينقل به البشر إلى

عصور مختلفة. ويتمكن عن طريق هذا الجهاز من نقل بعض المجرمين الخطرين إلى عصر ماضٍ يعيش فيه، والطريف فى هذه الأقصوصة أن فينى لايؤمن بانعدام الزمن. فيصبح الزمان كالمكان موجودا، ويمكن أن نذهب إليه وقتما نشاء. وكل الأزمنة موجودة ولم تتلاش حتى إن مفتش الشرطة يذهب من زماننا إلى عام ١٨٩٣ لإحضار المجرم الذى هرب إلى الزمن الماضى.

وللكاتب الأمريكى دانييل كيس DANIEL KEYES مجموعة من الروايات التى تنتمى إلى النوع ومن بين هذه الروايات "**الرجل ذو الأربع وعشرين شخصية**" ثم "**زهور من أجل الجرنون**" FLOWERS FOR ALGERNON التى تتحدث عن الشاب شارلى الذى يبلغ الثلاثين من العمر، ويتمتع ببعض الغباء فى سلوكه. وهو لايستطيع أن يتكيف مع المجتمع الذى حوله، وسعيا وراء أن يكون طبيعيا يقبل على القراءة بشغف وخاصة كتب التاريخ. لذا فهو يريد أن يصبح إحدى هذه الشخصيات العظيمة التى تزخر بها كتب التاريخ. لكنّ هناك تناقضا بين مايريده وبين مايتمتع به من عقلية. لذا فهو يوافق أن يقوم أحد الأطباء بإجراء عملية جراحية فى مخه من أجل تحويله إلى إنسان ذكى يستطيع أن يكون يوما أحد الشخصيات العظيمة التى ستدخل التاريخ. وتتم العملية بنجاح ويتحول الشاب بالفعل إلى مخلوق ذكى لماح قوى. ولكن العملية تشهد انتكاسة فيتحول فجأة إلى رجل متخلف عقليا تماما.

وعندما حولت السينما هذه الرواية إلى فيلم بعنوان "**شارلى**" CHARLIE عام ١٩٦٩ أجرت الكثير من التعديلات على الرواية فشارلى يصبح متخلفا عقليا، وتتولى الاهتمام به المدرسة آليس التى تقتاده إلى عيادة أحد الأطباء النفسيين الذى يقوم بمساعدة زميل له بإجراء تجربة عليه كانا يقومان فيما سبق بإجرائها على الفئران .. ويمثل هذا الشاب نموذجا لما يمكن أن يصنعه الطب فى المستقبل. فهو لايحقق المعجزات .. ولكنه يزيد من إحباط البشر، فالعلم ينظر إلى العالم بمنظور تجريبى .. والمختبرات التى تتم فيها الأبحاث على البشر هى الفتيل التى سنطلق منه الشرارة الاولى ..

والرحلة مع أدب الخيال العلمى فى مرحلته الحالية طويلة تحتاج إلى أنهار من الأخبار لمتابعتها. وماقدمناه فى الصفحات السابقة ليس سوى نقطة واحدة فى بحر واسع.

ولايمكن أن نوافق البحر حقه ، ولايمكن الغوص فيه فيبتلعنا بالكامل . فى أنحاء العالم هناك مجلات أدبية متخصصة لنشر أدب النوع ، فضلا عن سلاسل الكتب الأدبية التى تصدر بصفة دورية وتتم عمليات الترجمة سريعة بين لغات العالم العديدة للإصدارات الحديثة من هذه الكتابات . وماتلبث السينما والتفاز والمسرح والإذاعات أن تتخطف هذه الأعمال لتقدمها فى صورة أكثر جاذبية وتشويقا ، وإذا كنا قد أكدنا على بعض الأسماء البارزة فى كل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا وبولندا ، فإن هذا لايعنى أن أدب النوع قد توقف فى امتيازه عند اسماء محددة بعينها ، بل إن هناك أسماء لايسعنا هنا أن نمر عند بعضها ، ففى ألمانيا الديمقراطية يبرز كارلوس راش CARLOS RUSH صاحب رواية " **عند موت الآلهة** " و " **نبوة الدلفين** " و " **زمن النيازك** " ، وهناك فيرنر شتاين VERNER STEIN صاحب رواية " **العيون العمياء** " حول امرأة بين رجلين يسافرون معا إلى كوكب آخر تقطنه مخلوقات عمياء ولكنها تتسم بالحكمة تعيش داخل نظام سلطوى مغلق وتحل مشاكلهم الاجتماعية بقدرة تجعلهم يتمكنون من الرؤية الصادقة لما يدور حولهم .

كما أن هناك أيضا الزوجين يوهان وجونتربراون JOHAN, GUNTER BROWN صاحبىْ العديد من الروايات مثل " **غلطة الساحر العظيم** " و " **الظواهر الرهيبة فى نهاية الرقم ١١** ".

وفى الاتحاد السوفيتى يبرز ايفان جيفرى موفر صاحب رواية " **فتاة من الفضاء** " ويوريس سترولانسكى الذى قدم العديد من الروايات منها " **البركان النووى جولجندا** " ، و " **الطريق إلى أمالينا** " و " **ذات ظهيرة فى القرن الثانى والعشرين** " ثم " **قوس قزح بعيد** " . ويقول ڤلاديه جويمان فى عدد " **الخيال العلمى** " الصادر عن مجلة الأدب السوفيتى فى ١٩٨٨ إن الجيل الجديد من كتّاب النوع كثيرون فى الاتحاد السوفيتى مثل بأڤل باجريال ، وستانسلاف ماشاڤكين وڤيتالى بابنكو وآخرين . .

ويجب أن نفهم الفارق بين أديب مبدع وجاد فى هذا النوع من أدب الخيال العلمى وأديب آخر لايعدو أن يكون مجرد " **متخيل** " ، فالكثير من الكتّاب ينقصهم فهم التركيب الكونى نفسه بحيث لايمتلكون حسا للتفريق بين عدم الاستمرار المقصود

والاسترخاء السحرى للبناء الكونى . أما الآخرون فإنهم يقدمون نفس التيمات التقليدية المسطحة ولكنهم يقومون بجعل البشر يرتدون ملابس يصفها أبناء العصور القادمة فوق أجسادهم .

وكما يقول روبرت شولز " فلو أن كاتبا نقل رجالا إلى المريخ ، وقص ذلك على رجل يعرفه فهو لايبدع قصة خرافية تركيبية ولكن سيبدو سوء استعماله للمصادر التى تتحكم فى الاقتناع الجمالى الناضج ، إذا سمح لمثل هذه الحكايات الخيالية المختلفة لان تجعل عالم القصة غير كامل فى قوانينه الطبيعية ، فيفشل عمله تركيبيا وإدراكيا أيضا رغم احتمال احتفاظه ببعض قوة التسامى ، ولكن فى معظم القصص الخرافية التركيبية المقبولة يظل التطرف او الانقطاع بين عالم القصة وعالمنا مصدرا للحيرة القصصية والتأمل . فى القصة الخرافية التامة (نرى) تزاوج أو (التحام) الفكرة والقصة حيث تزودنا فى الوقت ذاته بأعظم لذتين تقدمها القصة : وهما : التسامى والإدراك "[٢٩] .

وهكذا سنرى أن كل أدباء النوع العظام قد أكدوا على ضرورة الحياة وفق أسس العدالة وقوانين الجمال والحب والتعاطف مع الإنسان . لذا فإن أدب الخيال العلمى مصنوع للإنسان ، ومن أجل الإنسان ورفاهيته . لكن هل تصورت أن يقوم إنسان آلى يوماً بتأليف رواية تنتمى إلى أدب الخيال العلمى .. أعتقد أن هذه الفكرة لم تناقش بعد من أدباء النوع .. وعلينا أن ننتظر المستقبل البعيد لنقرأ هذه الروايات .

---

(٢٩) كتاب الثقافة الأجنبية . أدب الخيال العلمى . دار الشؤون الثقافية . بغداد ١٩٨٦ ص ٥٧ .



حسن أبو نوف اللويثي

الفصـل الخامــس

أدب الخـيال الســياســى



أدب الخيال السياسى

لاشك فى أن أدب الخيال السياسى POLICY FICTION هو أحد أبرز الأنواع التى انبثقت عن أدب الخيال العلمى SCIENCE FICTION وفيما قبل كان هذا النوع ملتصقا بالنوع الأم وسائراً بين جنباته . إلا أنه مالبث أن انفصل عنه وأصبح ذا شخصية مستقلة حتى يمكن اعتباره فى السنوات الأخيرة نوعا مستقلا بذاته . وهذا النوع من الأدب يلبي – بصفة خاصة – فى أيامنا هذه طموحات القراء فيما يناسب لغة العصر ، وصار معبراً عن تسييس كالّ مظاهر الحياة . وهو نوع لايحتاج فى الأدب إلى دراسات مكثفة فى الصياغة الفنية . ويصبح – إذا ماخلطناه بالاهتمامات البيئية المعاصرة – مصدرا لاينضب لمشاهد مثيرة بوجه خاص وإن بدت سهلة . فالخيال السياسى يستجيب اليوم تماما لموجة التحذير التى تجتاح العالم ، كما أنه أكثر التصاقا بالجماهير المرتبطة بأحداث السياسة العالمية التى تجيئها من كافة وسائل الإعلام المحيطة بها .

لقد كانت فكرة نهاية العالم تمارس على الدوام سحرا مفهوما على عقول الناس " وقد تطورت براعتها النظرية ببساطة وأصبحت متمشية مع روح العصر. فقد كانت نهاية العالم قبل عام ١٩٥٠ تنتج عن حادث كونى غير محتمل رياضيا قبل عدة ملايين من السنين ، إلا أنه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية أصبحت فكرة نهاية العالم قريبة جدا من أذهان البشر. وبدأت هيروشيما تسيطر على الأذهان .. ولم تعد نهاية العالم تأتى الآن إلا بسبب كارثة نووية ؛ خاصة أن العالم يتطور يوميا نوويا ، على صورة متوالية هندسية . فيزداد الصراع على ملكية الأسلحة الأشد تدميرا فى العالم كله . ويصبح الأغبياء هم الأقل ملكية لهذه الأسلحة . لقد وعى الناس – اليوم – فجأة بخطر أكثر توقعا ألا وهو الكساد والمجاعة والأنفجار السكانى . ومن الآن فصاعدا سوف يتصارع الناس على قطعة أرض لاتزال قابلة للزراعة " [1] .

---

(1) Roland La Corbe, Le Cinema De Science Fiction, Ecran, Juillet 1977. P. 97.

وإذا كان التهديد الذرى لايزال فى الأفق فهو "الحل النهائى" الذى تملكه الحكومات للتخلص بلا ألم من الفئة العاملة وإنقاذ "الصفوة" من الدمار. والخيال السياسى مهما كان الموضوع الذى يعالجه لم يخلف حتى اليوم سوى أعمال ممتعة ومميزة فى غالبيتها. مثل : خطر الفاشية الكامن ، وخطر التصعيد الذرى ، والأنهيار الكامل لنظام المراقبة الاليكترونى ، وعصر سيادة العنف السياسى. ويأتى على قمة الموضوعات تلك الأكثر واقعية والأقرب احتمالا والأكثر إثارة للرعب لانهيار حضارة الغرب الحديثة.

ويقدم أدب الخيال السياسى غالبا موضوعات بعيدة جدا – ظاهريا – عن اهتمامات الناس التقليدية ، مثل احتمال الاتصال بين الانسان والحيوان المتطور. وإذا كان ادباء الخيال العلمى يتنبؤون ويتألمون ويتخيلون الصورة التى ستكون عليها الحياة فوق البسيطة – علميا – فى سنوات الغد القريب والبعيد. فإن أدب الخيال السياسى يعطى الصورة عن الحياة السياسية فى تلك السنوات و "عندما تخلص الخيال العلمى من فنتازيته وخياله الجامح ، بدا أنه كان يجب أن يغطى الموضوعات والأصوات الأكثر تنوعا التى يمكن له أن يعرضها لمشكلات وخيالات المستقبل ، ومن خلال شتى الأشكال فى الأدب. وكان أدب الخيال العلمى ذا مغامرات نقية ، وعليه أن يعامل نفسه بجدية أكثر ، ويعالج المشكلات المطروحة فى المجتمع بالتطور العلمى والصناعى وهو ما دفع إلى إظهار هذا الأدب ، الذى اتفق على تسميته بالخيال السياسى POLITIQUE FICTION الذى عليه متابعة المشكلات التى يعالجها والتى تهمنا فى المستقبل البعيد[٢].

ورغم أن هناك أدبا للخيال السياسى ، فإنّ أغلب الذين يكتبونه غير متخصصين له ؛ بمعنى أنه لايوجد أوفياء لهذا النوع الجديد مثلما حدث مع الأنواع الأخرى.. وقد امتزج – كما سبق أن اشرنا – بنوع الخيال العلمى. وأصبح من الصعب فصل التخيل العلمى عن السياسى فى نفس الرواية. ولذا فإن الباحث سيجد نفسه يناقش عملا ما فى موضع على أنه خيال سياسى ، وفى موضع آخر على أنه تخيل علمى ..

---

(2) Laude Bonnefoy : Du Cote De La Politiqe Fiction Les Nouvelles Litteraires. No 2438 17-6-1974

آدب الخيال السياسى يمكن أن يدور فى سنوات المستقبل : مثلما تدور أغلب أحداث روايات الخيال العلمى. هذا المستقبل الذى يحمل فى طياته الكثير من التقلبات السياسية والاجتماعية .. فلو تصورنا أن التطور العلمى سوف يجئ على الإنسان بالدمار من جراء حرب ذرية تأتى على البشر، فكيف يمكن تصور شكل المجتمع الذى يصنعه الباقون على قيد الحياة بعد حدوث الكارثة. تصوره البعض يوتوبيا جديدة ، وتصوره البعض الآخر صورة مشوهة مكررة لما يحدث فى عالمنا.

إذا كانت هناك موضوعات محددة عرفها أدب الخيال العلمى مثل الصعود إلى الفضاء والغزو الكونى للأرض. فإن هناك موضوعات أخرى يعرفها أدب الخيال السياسى مثل سيادة أيدولوجية معينة فى الغد أو سيطرة العنف السياسى على شكل العلاقات الاجتماعية ، أو التطرف الدينى ، أو سيادة عصر الديكتاتوريات ، أو سيادة جنس بشرى آخر يقارب نوع الإنسان فى التطور مثل القردة أو رجل الغابة ، أو شكل الرئاسة فى مجتمع ما وهكذا.

ولأن رواية ١٩٨٤ التى كتبها جورج أورويل عام ١٩٤٨ هى إحدى أشهر روايات الخيال السياسى ، ليس فى عالمنا العربى وحده ولكن فى العالم كله ، فإننا اخترنا البدء بها حيث إنها نشرت أول مرة فى فترة لم يكن العالم فيها يميز بين النوع الأم — الخيال العلمى— والنوع الذى انبثق عنه. والآن وبعد هذه السنوات نؤكد أن رواية جورج أورويل G. ORWELL هى رواية نموذجية لأدب الخيالى السياسى ، حيث تخيل فيها شكل الحياة على الأرض سياسيا فى عام ١٩٨٤ . إذن فلنقل فى المستقبل مادام هذا العام قد مر بسلام. وقبل أن نتحدث عن هذه الرواية ، نود أن نشير إلى أنه ليس مطلوبا من كاتب الخيال السياسى أن يرسم المستقبل فيحدث فى نفس السنة. ولكن عليه أن يحدس ويحذر من هذا الواقع الذى يعيشه ويلبسه لباس المستقبل. وكم من خيالات طوبوية لم تتحقق ، لكن المهم أن نشير إلى أن أورويل قد نقل مخاوفه من واقع الغد.. وهو كما سنرى نتاج لتخيلات أدباء عديدين سبقوه إلى هذا التصور.

ومن المهم أن نشير إلى أن رواية أورويل ليست مجهولة لدى القارئ العربى. فقد تمت ترجمتها مرتين. الأولى فى مشروع الألف كتاب عام ١٩٥٦هـ ، والثانية مع بداية عام

١٩٨٤. حيث ترجمتها مجموعة من طلاب جامعة عين شمس تحت إشراف الدكتور رمسيس عوض.

يتصور أورويل أن النظام الشيوعي سوف يسيطر على العالم مع مطلع عام ١٩٨٤. وأصبح العلم الشيوعي حقيقة. وأصبح العالم كله ثلاث دول كبرى : يوراشيا URASHIA أى الأوربية الأسيوية، واستارشيا ESTARSHIA أى آسيا الشرقية وأوشانيا أى الدولة المحيطية، وقد سادت فيها جميعا الشمولية. ويصور الكاتب مدينة لندن مع بداية عام ١٩٨٤ وقد أصبحت عاصمة لأكبر هذه الدول أوشانيا. وأصبح الحكم والملكية فى كل شئ للدولة. وهناك نظام حاكم صارم يمارس الحكم من خلال أربع وزارات هى : وزارة الحب التى تبث الكراهية بين الناس، ووزارة الرخاء التى تهتم بشئون نشر التقشف بين الناس، ووزارة الصدق التى تقوم بمسخ ذهن البشر، ووزارة الإعداد للحرب المسماة بوزارة السلام. يحكم هذه الدولة رجل تنتشر صورته فى كل مكان يسمونه بالأخ الأكبر BIG BROTHER، لايعيش الناس فى أمان. فالتجسس يسود كل الأمكنة وكاميرات التلفاز تصورهم أينما كانوا حتى لاتسول نفس أحدهم للتمرد.

ويختار الكاتب رجلا من هذا العالم يسمى ونستون سميث كى يصور من خلاله صورة هذا العالم، فهو رجل متزوج من امرأة تتسم بالبرود، مثل مونتاج فى رواية "**فهرنهايت ٤٥١**" لراى برادبورى، وهذا الأمر شئ مرغوب فى سياسة الحزب. فيجب ألا يسود الحب أو التفاهم بين الناس. ولذا تهرب الزوجة من بيتها وتختفى حيث لايعلم. ورغم أن سميث مواطن صالح يؤدى عمله على خير وجه مثل تزييف الحقائق والمستندات، فإنه يكره الحزب كراهية شديدة، ويسعى إلى التمرد عليه حتى لو كان تمردا ذاتيا. فالكاميرا التلفازية موجودة للتجسس على كل تصرفاته. لذا فعليه ألا يجلس فى هذا المسكن وقتا طويلا. ولأن سميث بشر يسكن الحب فى أعماقه، فإنه يتصرف مثل كل الرجال الذين عاشوا الماضى. ويتوق أن يتعرف بجوليا التى تعمل معه فى نفس الوزارة، رغم أنها ترتدى حزام العفة، الذى كانت ترتديه بعض النسوة فى القرون الوسطى، مثلما تفعل أغلب النساء اللائى يعملن فى الوزارة.

سميث يتوق إلى هذه المرأة. لكنها لاتشعر به. فهى ليست سوى موظفة ملتزمة.

تمارس عملها بامتياز. وهناك مزج بين مشاعر سميث نحو هذه الفتاة ، وبين مشاعره نحو الوظيفة والسياسة ومايدور من حوله . فهو يكره الأخ الأكبر. ولكنه لايستطيع أن يعبر عن ذلك سوى بكتابة مذكراته فى غرفته الصغيرة منزويا فى أحد الأركان. يستفيض فى مشاعره نحو سياسة البلاد وكيف يتغير الأشخاص من خلال السنوات الأخيرة .. فهو من أسرة فقيرة . اختفى أفراد أسرته فى ظروف غامضة الواحد تلو الآخر. يشعر أنه لعب دورا كبيرا فى هذا الاختفاء . لقد علمته وظيفته والنظام فى بلاده أن يكون باردا لكن هل يمكن أن يستمر؟

ومثلما تطارد قوات الشرطة أحد أفرادها الخارجين عليها – مونتاج – عندما عشق القراءة ، فإن سميث يتمرد أولا فى الخفاء . يحاول أن يبحث عن تمرد يمثله . لكن لا أحد يبالى . لايمكن للطبقة العاملة الفقيرة أن تفعل شيئا . فهى أمية جاهلة غير قاذرة على الفهم والعطاء. يتجول بين أنحاء العاصمة كى يشاهد أهلها وكيف يعيشون فى فقر مدقع . يلتقى هناك بأحد العجائز الذين عاشوا سنوات ما قبل السد الشيوعى . ولكن الرجل لم يعد يتذكر شيئا . فقد محوا له ذاكرته . أو بالتعبير المعروف فى عام ١٩٨٤ فعلا " **غسلوا له مخه** ".

لكن جوليا لم تبرح أبدا ذاكرته . يتصور أنها تتلصص عليه . ويراها فيتبعها عندما تزل قدمها ، يساعدها على النهوض . تدس بورقة فى يده كتبت فيها " أحبك " يلتقى بها بعيدا عن العيون المتلصصة . يمشيان فوق الحشائش ثم يمارسان الحب . يبدأ كل منها فى الحديث مع الآخر عن مشاعره تجاه أشياء عديدة منها الحزب وأساليب الحياة التى يعيشونها . لكن عليها أن تتصرف بأسلوب مخالف حتى لايشك أحد فيها . يعاودان اللقاء . يقومان باستئجار حجرة صغيرة تملأها القذارة والجرذان بعيدة عن شاشات التلفاز. يمارسان الحب بكل مايمتلكان من قوة حتى ينسيا كل من حولها . يحدثها عن أفكاره السياسية التى يؤمن بها . فهو يود أن ينضم إلى حزب المعارضة التى تمثله الدولتان الأخريان .

ومع تطور العلاقة وتكرار اللقاءات ، يكتشف أمرهما من خلال شاشات التلفاز، فيتم القبض عليها . ويوضعان فى زنزانة بوزارة الحب . حيث تجرى لها عملية غسيل مخ

بطيئة ، وبالغة الدقة والأحكام. فيتم بها تحويلها إلى مواطنين صالحين تماما. يؤمنان بالخيانة والظلم والكراهية والشر، ويمارسان كل ألوان الموبقات ، مؤمنين أن الدولة الشمولية هى أفضل مايكون.

والنظام الحاكم – كما صوره أورويل – يسوق الأفراد حسب رغباته وأيدولوجيته ، ولايهمه سوى أن يكون مواليا للسلطة ، واحترام قانون الجماعة. ولايجب أن يهتم الآخرون بشئ آخر يختلف عن سياسة الدولة العليا. وعلى الأفراد دوما تقديس الأخ الأكبر. والتجسس الذى ينتشر فى الدولة هو لصالح أفرادها. حتى لو تم بين أفراد الاسرة الواحدة. الطريف أن مثل هذه الأسباب قد بدأت تنخر فى المجتمع الحديث المتطور سواء الشمولى منه أو الديمقراطى. وقد عبّر عنه كوبولا فى فيلمه "المحادثة" THE CONVERSATION عام ١٩٧٤ الذى يصف فيه كيف تغلغلت أساليب التجسس فى الحياة الخاصة للمواطن العادى الأمريكى.

يقول HELMUT SWODODA فى مجلة AUSTRIA TO DAY : وحين نوازن بين جميع الأطروحات نتوصل حتما إلى الاستنتاج بأن سنة ١٩٨٤ هى الآن أقرب بكثير مما كانت عليه الحال عند كتابة الرواية. ربما لانستطيع أن نتنفس الصعداء لأننا وصلنا فعلا للسنة المشئومة دون أن نكتسحها ، ولكننا يجب الا نخدع بأنه فى نهاية السنة التقويمية ١٩٨٤ سيزول كل الخطر وستنتهى الألازمة. وذلك لأن رواية أورويل تتجاوز الاختيار الاعتباطى لتاريخ السنة الذى يؤلف عنوان الرواية ، وتشكل بالأساس تحذيرا صارخا ضد خطر السلطة المطلقة عندما يكون آخر البشر فى قبضة اللابشر الذين يتسلطون ؛ ليس فقط على تفكيرهم بل على أكثر المشاعر الحميمة لديهم.

"يعبر أوبراين" أحد شخصيات رواية أورويل ، عن هذا بوضوح قاسٍ قائلا : "نحن نختلف عن طغاة الماضى. نحن لانقنع بالطاعة السلبية ، ولا حتى بالاستسلام الذليل جدا. فنحن نذل عقيدة المنشق ونحرق كل شرورهم فيه ونجعله واحدا منا قبل أن نقتله ونجعل دماغه من أحسن مايراه قبل أن نفجره[٣].

---

(٣) هيلموث سوفودا ، مازلنا بانتظار. (ترجمة د. رسول الخفاجى) الثقافة الأجنبية العدد الأول ١٩٨٤ . بغداد . ص ١٩٠

ويرى أحمد إبراهيم الشريف أن هذه الرواية أشبه بالجمهورية فى أن كل الظواهر الحضارية تتأثر فى كيانها بنوع الحكم وجودا وعدما لا مجرد تأثركتأثرات تيارات الماء بتيارات الهواء مع احتفاظ هذا وذاك بشخصيته ووجوده منعزلا عن صاحبه. فنوع من الحكم يوحد معه الأدب والعلم والفلسفة ، ونوع آخر لايوجد معه شئ من ذلك "(٤).

وللدكتور رمسيس عوض رأى حول هذه الرواية فى أنها : "تأثرت بالعديد من المصادر التى تشمل طائفة كبيرة من الكتاب أمثال جوناثان سويفت وجيمس بيرنهام وألدوس هكسلى وتروتسكى وايفنجى زامياتين وجاك لندن ودوستويفسكى ، وهـ . ج . ويلز. وقد تأثر فى روايته أيضا بصموئيل بطلر ودانييل ديفو وكافكا . ويعتقد عدد كبير من النقاد أمثال جورج وود توك وأرفنج هو وإسحاق دويتشر (وبخاصة هذا الأخير) ، أن رواية ١٩٨٤ تستمد قدرا كبيرا من أصولها من رواية زامياتين "**نحن**" التى كتبها مؤلفها – وهو مهندس معمارى روسى – باللغة الروسية حوالى عام ١٩٣٠ . ولد زامياتين عام ١٨٨٤ ومات عام ١٩٣٧ . وكان عضوا فى الحزب الديمقراطى الوطنى الاشتراكى الروسى الذى انضوى البلاشقة تحت لوائه التفافا حول قمع الحكومة القيصرية لهم حتى يتمكنوا من ممارسة نشاطهم السياسى فى ظله ، واشترك زامياتين فى الثورة الروسية التى اندلعت فى عام ١٩٠٥ بفضل نشاط الحزب الاشتراكى الديمقراطى الذى سانده البلاشفة "(٥).

ويؤكد رمسيس عوض أن أورويل قد قرأ "**نحن**" فى ترجمتها الفرنسية تحت عنوان "**نحن الآخرون**" ورغم أن مؤلفنا لايعتبرها كتابا من الطبقة الأولى ، فإنه يصفها بأنها كتاب غير عادى بالتأكيد. كما أنه يقول إنّ زامياتين يظهر فى روايته وعيا سياسيا يفوق ماأظهره ألدوس هكسلى فى كتابه "**عالم جديد شجاع**" (١٩٣٢) الذى يعتقد أنه تأثر على نحو ما بما يرويه زامياتين فى روايته التى تقع أحداثها فى عام ٢٦٠٠ . وفى مقال كتبه اورويل بعنوان "**عرض لرواية نحن**" تأليف " . آى . زامياتين المجلد الرابع من مجموعة مقالاته نراه يقارن بين روايتى زامياتين والدوس هكسلى. فيقول :

---

(٤) أحمد إبراهيم الشريف ، القرن العشرون ، حاضره ومصيره ، الفكر المعاصر. يوليو ١٩٦٥ . القاهرة . ص ٤٤ .

(٥) رمسيس عوض ، جورج أورويل حياته وأعماله ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨١ . ص ١٥٩ .

"كلا الكاتبين يتناولان تمرد الروح الإنسانية البدائية على عالم عقلانى لامكان للألم فيه ويحظئ مؤلفنا – كما يقول إسحاق دويتشر – حين يصفها بأنها تقع فى مكان خال من الألم ، صحيح أن الحياة فى هذا المجتمع سهلة هينة وتتسم بالدعة . ولكن ظاهرها غير المؤلم يخفى فى طياته ما هو أسوأ من الألم . فأحداث قصة "**نحن**" فى واقع الأمر تبعث على الرعب الذى لايقل عن الرعب الذى تبعثه رواية (١٩٨٤) فى النفوس . فالعالم العقلانى الآلى فى رواية زامياتين يجرد سكانه من إنسانيتهم تجريدا كاملا . ويطلق المؤلف الروسى على دولته غير الفاضلة اسم "**الدولة المتحدة**" أو "**الدولة الواحدة**" ، وفيها نرى أن الفروق الفردية بين مواطنيها قد تلاشت تماما إلى درجة أنهم أصبحوا لايُعرفون بأسمائهم بل ينادون بأرقامهم . وهم جميعا يرتدون أزياء موحدة . ولعل الطبقة العاملة فى رواية أورويل هى المقابل لهم وينظم حكام "**الدولة الواحدة**" حياة مواطنيها طبقا لأحكام العقل ومايمليه من ضوابط . ومن ثم فإنهم يعتبرون الخيال والوعى بالذات والأحلام أمراضا نفسية تحتاج إلى العلاج . وبطل رواية "**نحن**" وراويها عالم رياضيات يدعى (د . ٥٠٣) اشترك فى تصميم صاروخ أطلق عليه اسم "**التكامل**" . قصد به أن ينطلق من الأرض ليصل إلى الكواكب الأخرى بهدف إخضاع سكانها الأدنى مرتبة إلى أحكام العقل، وبذلك ينقذ العقل : ليس على الارض ؛ فحسب ولكن فى السماوات أيضا [٦] .

والجدير بالذكر أن رواية أورويل ليست هى الأولى التى تنتمى إلى الخيال السياسى وتدور أحداثها عام ١٩٨٤ . فهناك رواية "**رحلة أخى اليكسيس إلى بلاد اليوتوبيا الريفية**" VOYAGE DE MON FRERE ALEXIS AU PAYS DE L'UTOPIE PAYSANNE لإيفان كريستوف . وقد نشرت فى موسكو عام ١٩٢٠ . وهى تصور الحياة فى روسيا خلال عام١٩٨٤ . وقد تحول الاتحاد السوفيتى إلى ثورة ريفية كبرى وإلى مجتمع شمولى إنسانى ، كما أن هناك رواية بعنوان "**١٩٨٥**" للكاتب المجرى الشاب جيوجى دالوس GYOGY DALOS وهى تكملة لما يدور فى رواية أورويل حتى يتخيل الكاتب موت الأخ الأكبر فتهب الرياح على أوشانيا وتقوم جارتها أوراشيا بغزوها وتحكمها وتتمكن من السيطرة عليها . كما أن هناك رواية أخرى لأنتونى

---

(٦) المصدر السابق ص ١٦٠ .

بيرجيس بعنوان "**١٩٨٥**" سوف نتعرض لها فيما بعد. كما أن هناك رواية تحمل عنوان "**الحرب العالمية الثالثة**" للجنرال سيرجون هاكييت[٧]. وتدور أحداثها فى ٤ أغسطس عام ١٩٨٥ حيث تندلع الحرب العالمية الثالثة بين ألمانيا وانجلترا، ويظل أتون الحرب قائما إلى أن يتدخل الروس بعد ١٠ سنوات.

وتقول مجلة الاكسبريس فى ٢٨ اكتوبر ١٩٨٣ إن أورويل استلهم روايته من يوتوبيا مكتوبة فى عام ١٩٢٠ "لكاتب سوفيتى أقل شهرة يدعى زامياتين الذى صور المجتمع فى المستقبل فى لوحة خانقة معنويا ولكنه ينجح ماديا فى انتصار خفى لكل التقنيات العصرية. ومع علم بدائى عبقرى، رسم أورويل صورة "الاشتراكية الحقيقية" كما نعرفها اليوم. أصبحت انجلترا أرضا جدباء. وينتهى القرن التاسع عشر بالتدمير. كل شئ قذر يثير الرثاء. الخمور لاتأثير لها. الخبز سئ. القهوة والسكر لهما مذاق غريب. هناك نقص دائم فى المحلات خاصة ذات الأهمية الملحة. أدت البروليتاريا إلى الأكواخ القذرة. وارتفع سعر السكر"[٨].

وقد أكد الأن بيزانسون أن أورويل يقصد بعبارة "**الأخ الأكبر**" ضياع الفكر وفقدان المعالم بالسيطرة على المعلومات وزيف التاريخ الأبدى. الذى يسيطر على الماضى يسيطر على المستقبل. إلغاء الذاكرة والدورات السياسية التى تقوم بتصفية الحساب مع الحكام القدامى. ومحو أسمائهم وآثارهم فى التاريخ. كل هذا جزء من الأعراض السوفيتية ومن الأعراض الصينية، والكوبية، والفيتنامية. اكتشف أورويل القوانين الأكثر شمولية والشيوعية المطبقة فى المناطق التى تمارس ثورتها وأعمالها التى تمارسها منذ ذلك الحين[٩].

ويرى الكاتب البيروفى ماريو بارجاس يوسا **MARIO VARGAS LLOSSA** أنه منذ عام ١٩٤٦ وبلاد عديدة تنتهج الشمولية. وقد ازداد هذا بطريقة ملفتة للنظر، بدأت الديمقراطية تفقد أرضا يوماً وراء آخر. وبدأت الديكتاتورات تحل محلها. وقامت النظم العسكرية على الضغوط الشرسة. ولأسباب عديدة أصبح من الصعب أن تستمر

(7) General Sir john Hacket, La 3.e guerre mondiale, Began, Paris.

(٨) الان بيزانسون. نحن وأورويل. ترجمة محمود قاسم. الثقافة العالمية. الكويت.

(٩) المصدر السابق ص ٩٦.

الديمقراطية على قيد الحياة فى بلاد العالم الثالث. وساد الظلم الاقتصادى والاجتماعى فى كافة الانحاء[10].

أما أنتونى بيرجيس ANTHONY BURGESS فهو أحد الأدباء الذين تميزوا فى نوع الخيال السياسى رغم تعدد كتاباته فى الرواية والدراسة النقدية والشعر. ومادمنا بصدد الحديث عن رواية جورج أورويل. فعلينا أن نبدأ الحديث عن الرواية التى نشرها بيرجيس عام ١٩٧٩ تحت عنوان "**١٩٨٥**" والتى حاول فيها مزج العوالم التى صورها كل من الدوس هكسلى وزامياتين وجورج أورويل. ويتخيل بيرجيس مدينة لندن عام ١٩٨٥ وقد بيعت للملوك البترول. فلأتها المآذن والآذان. ويقف الشعب الانجليزى ضد البرلمان ويتعاون مع العرب. أما الملك شارل الثالث الذى من المفروض أن يتولى حكم المملكة المتحدة فى ذلك العام، فإنه يعطى الأوامر ويصدر الأحكام الديمقراطية بسلوك يبدو عبثيا. وتضع النقابات القوانين الحديدية لتسيير الأمور على هواها. ويعلن الإضراب العام احتجاجا على زيادة ساعات العمل التى تبلغ عشرين ساعة أسبوعيا. أما التلفاز فلم يعد يعمل. وعندما يشتعل الحريق فى المدينة تبدو وكأن خللا أصابها. فعمال المطافئ فى اضراب ولاتتدخل الشرطة لحل أى نزاع. بينما يقف الجيش ساكنا. وتصيب المدينة مجاعة. أما بيف فهو مدرس سابق يبحث عن فرصة للعمل. لقد ماتت زوجته لقلة العناية بها بعد أن أحترقت فى حريق أصاب أحد المستشفيات، وبعد أن تموت يمزق بيف بطاقته النقابية، ويقرر الخروج على السلوك النقابى فينضم إلى المتمردين الذى يحتشدون داخل مبنى الجامعة، وكأنهم روبن هود، خارجين على القانون. ويتم القبض على بيف، ويحاكم بتهمة الخروج على قوانين النقابة. فيقاوم ويهرب إلى إحدى المصحات النفسية وينتحر مرددا : "**تخليت عن نقابة الأحياء. كى ألحق بإضراب الموتى**"[11].

لقد سعى بيف إلى الاستيلاء على الحكم داخل هذه المملكة التى أصابتها الفوضى فى عام ١٩٨٤. وبذلك فإننا نرى أن بيرجيس لم يذهب بعيدا فى زمن المستقبل – وهذه

---

(١٠) المصدر السابق ص ٩٩.

(١١) نشرت الترجمة العربية لهذه الرواية تحت نعنوان "**المسلمون قادمون**" عن دار الزهراء القاهرة – ١٩٨٨.

دائما أحوال كتاب الخيال السياسى – وكذلك فعل فى رواية أخرى له تحمل عنوان " **البرتقالة الآلية** " CLOCK WORK ORANGE المنشورة عام ١٩٦٢ التى يتصور فيها عصابة أخرى أشبه بعصابة بيف. تعيش فى مجتمع تحكمه قوانين العنف. ورئيس هذه العصابة يدعى إليكس يقود مجموعة من الشباب المتمرد الذى يمارس العنف بكافة أشكاله. وإذا كان من المعتاد أن نشاهد صور الضحايا فى الصحف والمجلات بعد أن يتم ارتكاب الجرائم. فإننا لم نر أبدا صوراً تبين لنا وقائع الجريمة أثناء حدوثها. فقد حاولت مجموعة من الجنود الهاربين اغتصاب فتاة جميلة كى* ينالوا منها بكل وحشية. لكن عصابة اليكس تنقذ الفتاة من بين براثن الجنود. هذه العصابة تميل الى ممارسة كل ألوان السادية والماسوشية اثناء ممارستها للسلوك الاجرامى. فهى تخطف رجلا مخمورا برفقة زوجته فيضربونه بشدة، ويقومون باغتصاب زوجته أمام عينيه بوحشية لانظير لها، فيصاب الزوج بالشلل لهول مارأت امرأته التى كادت تموت هلعا اثناء عملية الاغتصاب.

ويرى بيرجيس أن عصابة إليكس هى نتاج عصر الآليات. التى بدأت تنخر فى عظامنا ، وتحول البشر فى عالمنا إلى كتلة من العنف والدماء؛ حيث ترى فى النصف الثانى من الرواية عملية غسيل مخ تجرى لاليكس بعد ان تم القبض عليه، فيتم إدخاله المصحة. ويحول الشاب على إثر العملية إلى إنسان ذليل خضوع مطيع إذا ضربه إنسان هُرع إليه وقبل حذاءه. وعندما اختبروا قابليته للجنس فقدموا له فتاة عارية ساحرة تقيئ..

كل هذه التجارب عاشها شاب صغير، بدأها ولم يتعد الخامسة عشرة، وانتهى منها وهو على مطلع العشرين، حيث أقبل على الحياة واختار أن يعيش مواطنا مسالما أشبه بالبرتقالة الآلية التى تتحرك مع بندول الساعة.

من المهم أن نشير أنّ بيرجيس هو أحد أبرز الكتاب المعاصرين. ولد فى شمال انجلترا بمانشستر عام ١٩١٧ فى أسرة كاثوليكية. درس الموسيقى والأدب. له روايات عديدة من أبرزها "**قوى الظلام ١٩٨٠**" و "**يسوع الناصرة ١٩٧٥**". وله دراسة عن الكاتب الأمريكى آرنست هيمنجواى، وهو يهتم كثيرا بصياغة تراكيب لغوية عديدة مثل الكثير من الأدباء المعاصرين. وينقسم العالم فى رواياته إلى قسمين: أحدهما العالم الطبيعى

الذى نعيش فيه ، والعالم التحتانى الذى يعيشه كل إنسان منا خاصا بنفسه لايعرفه الآخرون ، ولايجيد أحد التعبير عنه . ويجب أن يكون هناك معبر بين العالمين. فنحن نتعلق بعالمنا التحتانى دون أن نعرف أننا مسلوبون إليه . فنحن لسنا الذين نبحث عن الله أو الشيطان . الخير أو الشر. نحن متعلقون بها بصورة أو بأخرى ، فربما يكون العالم التحتانى أفضل من عالمنا ، وربما يكون أشد خطورة .

وقد استعذب بيرجيس الحديث عن عنف العصر من خلال رواياته التى تنتمى إلى أدب النوع . منها رواية " **نهاية أخبار العالم** " ، ورواية أخرى عن العنف الذى يأتى به الاتحاد السوفيتى للعالم تحمل عنوان " **شهر عسل للدببة** " نشرها عام ١٩٨١ . وفيها يرى أن العنف الذى يجتاح العالم هو العنف الأبله الشرير. وهذا العنف مرفوض كلية ، وإذا كان الإنسان يكره الطمأنينة العقيم مثل كراهيته للحرب المدمرة ، فإن بيرجيس يحلل العنف وظواهره ، ويطلق نداءً إلى أن تنبض القلوب من جديد بلغة الحب والرقة .. وأن يتجه العالم نحو الوحدة والخير والطمأنينة . ابان السلام أكثر من أوقات الحرب .

نفس هذا العالم أرق الكاتب الأمريكى **كيرت فونجوت الابن** KURT VONNEGUT JR الذى يقول عن نفسه " أنا رجل مسالم إلى حد بعيد. لاأناضل أبدا كى أنقذ حياتى . وإذا رددت ، هذا يتساءل الناس : وإذا هدد ابنتك الشقراء حادث خطف من أحد المتطرفين وهو يشهر بلطته ؟ فأرد : سوف انزلق بين ابنتى والبلطة . بعد كل هذا فأنا فى الثامنة والخمسين وسأترك كتبى خلفى " .

أما دوريس ليسنج فتقول عنه إنه " رائع " رجل جذاب رقيق للغاية . وشديد الحدة فى نفس الوقت . أتذكر عندما كتب " **بيانو العازف** " فى وقت يتقدم فيه العالم كله دون توقف وينمو باضطراد كان يكتب حول البطالة . قال إن العمل سيصبح نادرا وثمينا . حدث ذلك فى الخمسينات . ولهذا أحببت " **الخيال العلمى** " ، الذى أصبح يتيح اظهار المخاطرة وكشفها بوضوح . (١٢) .

ولد فونجوت فى ولاية إنديانا بوليس فى ١١ نوفمبر عام ١٩٢٢ فى عائلة من أصل ألمانى وهو الابن الأصغر لأب مهندس معمارى . وكان أخوه عالما فى الطبيعة ، واستطاع أن يخترع

---

(12) Jean Francois Fogol, Ils ont vu Le futur, et ils ont peur, Le Point, 9 Mars 1985 P. 11

السحب الصناعية. وقد ماتت أخته وهى فى الأربعين من عمرها على إثر إصابتها بالسرطان، قام بتربية أبنائها الثلاثة فضلا عن أبنائه هو.

درس فونجوت الكيمياء الحيوية وعلوم الانثربولوجيا والآداب. ووقع فى أسر الألمان خلال الحرب العالمية الثانية. تأثر تأثيرا كبيراً من حادث إلقاء القنبلة الذرية فوق هيروشيما، فقام بتقديم أكثر من رواية حول هذا الموضوع. عمل بعد الحرب مراسلا صحفيا فى جريدة شيكاغو سيتى نيوز، وبدأ حياته بكتابة القصص القصيرة. ثم نشر روايته الأولى "**بيانو العازف**" PLAYER'S PIANO عام ١٩٥٢. وتتابعت أعماله الروائية التى من أهمها "**فريسة المشنقة**" عام ١٩٧٩. و "**إفطار البطل**".

فى روايته "**إفطار البطل**" BREACKFAST OF THE HERO يرى فونجوت ان المجتمع المعاصر أصبح عالما من الآلية خالى الروح. وتقدم الفكرة أن "جليجور ترون" يذهب لحضور مهرجان فنى فى مدينة MEDLAND الخيالية. حيث تنتظره هناك شخصية رئيسية هى تاجر سيارات ثرى يدعى داوين هوفر. والناس فى هذه الرواية مصنوعون على نفس النموذج، مهما كانت أفعالهم غريبة ومثيرة للرعب. يخرج هوفر عن طوره ويرتكب عددا من الأعمال المدمرة. ومع ذلك فانها ذات طبيعة مبرمجة وآلية بكل ماتحمله.

إن مصطلح "نموذج" MODEL فى محله تماما هنا. فالمرء يجد من الصعوبة القول إن فونجوت قد كتب رواية. فما أبدعه هو نسخة مطابقة للعصر الحاضر. نسخة اصطناعية تماما كما هو الواقع نفسه. وقد استعمل المؤلف وسيلة "النموذج" للوهلة الأولى بغير براعة. ولكنه فى الواقع بشكل مقصود ومتعمد. مثل تنحيته لشخصيته جانبا، ويتكلم المؤلف بضمير الشخص الأول ليذكر القارئ بأن هذه الشخصيات قد فكر فيها، وصممها وأدخلها ضمن إطار الرواية هو نفسه كيرت فونجوت الابن، وأنها لاتتمتع بأى تفكير أو فعل مستقل. فالمؤلف هو الذى يمسك بمقاليد الأمور جميعا.

و "إن اصطناعية الحياة التى تنعكس على نحو مبالغ فظ جدا فى تركيب الرواية يؤكدها فونجوت بطريقة جديدة تماما، يمكن ان تدعى بصرية VISUAL، فكما لوكان ذلك عن رغبة فى إيضاح أن العصر قد سوى ولاشك الفوارق بين الأشياء والناس

والظواهر، بحيث أن المعنى الحى والحقيق لأبسط الكلمات يغيب أحيانا عن الذاكرة، فإن الروائى يرفض السرد برسومه الخاصة، وتصور هذه الرسوم خنفساء وخروفا صغيرا أو مالك الحزين وسمورا". وهى رسوم مزودة بشرح كلامى بدائى، ويقصد بذلك التذكير بحقائق طبيعية وقديمة وجدت ذات يوم وقد طواها النسيان الآن. وإلى جوار هذه الرسوم هناك رسوم أخرى لمثلثات ومواسير وسيارات ومسدسات يقصد بها الترميز للحياة الراهنة بوسائل مفهومة للجميع "[١٣].

ويؤكد الناقد نيكولاى أناستاسيف أن هذه الرواية عبارة عن " تحذير وهمى فى حد ذاتها مرتبطة كثيرا بعصرنا وقضاياه. إنها مثل أفضل كتابات صول بيللو S. BILLOW وجون وابدايك JOHN UPDIKA وجون تشيفر JOHN CHEVER وهى تعكس الطريقة التى يأتى بها رد فعل الفنانين التقدميين تجاه الحصيلة الأخطر لما قبل الثورة الصناعية حيث تم تجريد حياة الإنسان الخاصة الإجتماعية من الصفات الإنسانية "[١٤].

ويتحدث فونجوت فى روايته " **السلخانة رقم ٥** " SLAUGHTER HOUS 5 عن مأساة جندى أمريكى سابق أصيب بالهذيان إثر قذف مدينة درسدن بالقنابل، وهى المدينة التى أسر فيها كيرت فى فبراير ١٩٤٥ ومات فيها أكثر من مائة وخمسة وثلاثين الف جندى. (اكثر من هيروشيما) دون تمييز، فاتجهت أفكاره يوما بعد يوم إلى كوكب غير موجود. كوكب بعيد عن الأرض. لاأحد يراه سواه. وبدأت هناك علاقة تخاطر TELEPATHY بينه وبين سكان هذا الكوكب المسمى سيريس.

وتنتمى روايته " **فريسة المشنقة** " إلى أدب النوع أيضا. فنحن أمام رجل يدعى والتر شتاريك تخرج فى جامعة هافارد. وهو يبلغ الآن الثامنة والستين من العمر. إنه رجل يمثل القرن العشرين. اعتنق الشيوعية فى الثلاثينات وأصبح بيروقراطيا فى عصر روزفلت ثم جند فى الجيش، وأدين فى محاكمات نورمبرج ثم عمل مستشارا للرئيس الأمريكى

---

(١٣) عادل العامل (ترجمة) الأدب وقضايا العصر. دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨١ ص ١١٧.
(١٤) المصدر السابق.

ريتشارد نيكسون وأدين فى فضيحة ووترجيت. لقد أصبح شاهدا على عصره أوكما يقول **" أشعر دائما أننى أشاهد كوميديا موسيقية "**(١٥).

ويمزج الكاتب حكاية شتاربك فى جو من الأساطير، رغم أنه يتحدث عن شخصيات واقعية عاشت - ولاتزال تعيش - بيننا، مثل سلفادور دالى وجين فوندا .. ومع ذلك فلا نشعر أن الرواية تنتمى إلى الواقع لا من قريب أو بعيد .. هناك ثورات اجتماعية وأزمات اقتصادية، حيث يبدو أن الاقتصاد مختلف أيضا للتعساء من البشر العاملين بعلوم الفلك، وإذا كانت السماء تمطر أحيانا - كما يقول الانجليز - بالكلاب والقطط، فإن السماء تمطر هنا برجال محطمين وبالفقراء والشجعان والأفاقين من أصحاب المليارات.

شتاربك هو طائر سجين لأشياء عديدة. فهو قد سُجن عقب محاكمات ووترجيت، وقد عمل مستشارا لنيكسون فى شئون الشباب، وأصبح يملك مليون دولار فى صورة سندات. وبعد أن يخرج من سجن جورجيا يعمل ناقدا فى صحيفة نيويورك تايمز. " أكبر المتآمرين فى ووترجيت يمتلك العديد من الذكريات المتعلقة بنيكسون. كانت ابتسامته تجعلنى أفكر دوما فى الزر الوردى الذى يظهر تحت ضربة مطرقة. إنه مثل أصدقائه الشباب قد خرج من ظل إحدى الأسر العريقة. أحب فتاة مناضلة تدعى كاثلين أولونوى وناضل من أجل صالح العمال والنقابيين فى تلك السنوات التى اعتنق فيها الشيوعية "(١٦).

ويقول عن هذه المرحلة فى التاريخ الأمريكى: " تشكل الحركة النقابية تاريخ الحكايات الجنسية البالغة الجرأة. لانتكلم عنها كثيرا. نتحدث عن الأجداد الذين شاركوا فى حرب الساكسون، وهؤلاءالذين يناضلون ضد وضعية العمل المتدهورة. يبدو الجو حارا. وحياة شتاربك أشبه بحلم يقظة يراه رجل شريف. يكتشف أن الجميع ينتمون إلى إحدى المؤسسات السرية التى تديرها السيدة جراهام التى تترك بصمة فى حياة كل من يحيط بها. لقد كانت زميلته يوما ما فى جامعة هارفارد. إنها أشبه بهوارد هيوز المليونير

(15) Kurt Vonnegut, Jail Bird, Delacoarte New-York 1979, 52.

(16) IBID.

الذى عاش فى غرفتة معزولا عن العالم ، ومع ذلك اشترك فى بناء هذه الدنيا دون أن يتصل بها . هناك محطة نيويورك الرئيسية المليئة بأشياء كثيرة مكدسة : لقد اعتنق الإثنان الشيوعية فى شبابها . هو فقد حماسه . أما هى فلاتزال تؤمن بها رغم انها تمتلك اسهما كثيرة فى شركات رأسمالية . تقول له : " بعد أن اموت . فلتنظر إلى فرد حذائى اليسرى ستجد وصيتى هناك . سأترك مؤسسة رايماك إلى أصحابها الحقيقين . الشعب الأمريكى "(١٧) .

يرد : " الاقتصاد نظام صلب وما تقوليه ليس سوى نكتة على الناس سماعها . يدفعه حبه للمال أن يترك الفندق كى يشترى جريدة بحثا عن إثراء أكبر . عندما يسمع الأخبار فى المذياع يقول إن المذيع يتكلم كأن الحياة بحالة ساحرة وليست بها أخطار ولاتعقيدات وهذا يجعلنى أشعر كأننى فى عربة تجرها الخيول(١٨) .

ويقول شتاربك معلقا على مايدور حوله فى المدينة " لايوجد سبب يجعلنا نتواجد فوق الأرض ونحن الذين ابتدعناها . ويرد فونجرت قائلا : هذا البلد مزعج بالفعل للكاتب : ولكن أعتقد أن الكتابة هى سم بطئ المفعول : يمكن أن نفكر فيما سنكتبه بعد ثلاثين عاما ، سوف ننتج جيلا من الجنود السيئين(١٩) .

وهناك رواية أخرى لفونجوت تحمل عنوان SLAPSTICK ترجمت إلى الفرنسية تحت عنوان " **صرخة مدوية فى صحراء مانهاتن** " . وفيها يتناول موضوعا سياسيا آخر من منظور خيالى ، حيث يتنبأ بسقوط الولايات المتحدة . ويتناول الكاتب السيرة الذاتية لآخر رئيس سيحكم الولايات المتحدة قبل سقوطها . وكأنه چيبون الذى كتب عن سقوط الإمبراطورية الرومانية . ولكن فونجوت هنا يتنبأ بمستقبل قد لايأتى . وقد يأتى سريعا ، أنه يصف بلاده مثل أطلال مهشمة . انكسرت كل الآلات التى صنعتها الحضارة والتى يستخدمها الموظفون . يهرب الناس إلى أطلال مانهاتن : حى نيويورك الشهير الذى يصبح جزيرة للموت ، والرئيس الأخير يدعى أوبو . وعليه أن يخضع لحكم ملك الميشان ولدوق أوكلاهوما وقرصان البحيرات الكبرى . هناك المؤسسون الأكثر قدسية للولايات

---

(17) IBID.

(18) Ibid.

(19) Lixprn 21 Few 1985,P. 86.

المتحدة . وهناك مسيح هارب يردد : **"إنها نهاية الأمة الأمريكية ، حيث لم تعد هناك أسرات أو بشر"**.

ويقول الكاتب معلقا على هذه الرواية : إن على الأدب أن يروى قصة الغباء البشرى ، أما الناقد جاك كابو فيرى أن فونجوت هو الأمريكى الأكثر تشاؤما ولكنه يخاطر أن يسقط فى ثقافة مضادة .

أما روايته **"رمثل روز واتر"** فهى تتناول حياة إليوت روز واتر مؤسس شركات الكحول الذى يود أن يحقق لنفسه سعادة عاجلة . لقد استطاعت أسرته أن تضع بصماتها على الحياة الأمريكية . فهناك مدينة كاملة باسم روز واتر. وهناك مؤسسات وجمعيات خيرية . إنه رجل تحميه أمواله . استطاع أن يكون من أثرياء الحرب . وأن ينشئ مصانع عديدة فى كل مكان .

واليوت رجل ينشد السعادة فى أشياء بسيطة : الحديث من مقصورة التليفونات أو التطلع عبر نوافذ سيارته . ورؤية السباكين يعملون باجتهاد . يفخر أن مؤسسته تعلن الحرب على كل الفراشات . قد يبقى لفترة بين علب المحفوظات وأعداد قديمة من مجلة NATIONAL GEOGRAPHIC ، يرد بنفسه على كل المكالمات دون الاستعانة بسكرتيرة .

وفى مقابل إليوت هناك ماكاليستر الذى مهمته الأساسية هى اصطياد العملاء من الأثرياء وابتزاز نقودهم . إنه وريث مثله فى شركة روز واتر، لقد تعلم الإثنان فى جامعة هارفارد . ولكن لكل منهما سلوكه الخاص . والملاحظ أن هذه الرواية لاتنتمى إلى التخيل السياسى ، بل هى رواية سياسية فقط .

أما روايته **"مهد القط"** THE CAT'S CRADEL فيعود فيها إلى أدب النوع . من خلال الحديث حول صحفى يدعى جوناس يود أن يعرف ماذا حدث فى نفس اليوم الذى ألقيت فيه القنبلة الذرية على هيروشيما . ماذا كان يفعل العلماء الذين اشتركوا فى صنع القنبلة فى نفس اللحظة التى ألقيت فيها : يسأل العالم وهو يفكر عن مشاعره . فيردالرجل بعبارات باردة للغاية قائلا : "سيدى العالم يعرف كيف تنفلت الخطيئة ... فيرد العالم : قل لى ماهى الخطيئة . لقد مات هوينكر الذى حصل على جائزة نوبل فى

ظروف غامضة وترك اختراعه لابنتيه فرانكلين وانجيلا . لقد استخدم هوينكر نقود الجائزة كى يصرف على اختراعه المدمر. فإذا كان نوبل قد اخترع الديناميت ، فإننا هنا أمام نموذج مضاد لنوبل : يرحل إلى جزيرة سان لورنزوكى يعرف سر الاختراع الجديد . ويلتقى بزعيم الجزيرة مونزانو. ويتعرف على "**منى**" ابنته المتبناه . إنها زنجية شقراء ، يقع جوناس فى هواها . يعامل السكان زعيمهم كأنه مبشر جديد . إنه هوينكر الذى جاء إلى الجزيرة بعد أن اختفى فى الولايات المتحدة . لقد أتى هنا كى يعلن نفسه مخلصا جديدا . يرسم لنفسه ولأتباعه تعاليم جديدة ويضع ناموسه الخاص الذى يتلاءم مع السؤال : "**ما هى الخطيئة ؟**" . إنه رجل قادم من عصر لايموت فيه الإنسان ولايصعد إلى السماء. يتحدث عن اختراعه "**الثلج ٩**" الذى يمكن أن يغير به وجه التاريخ . حيث يستطيع تجميد العالم من حوله . هوينكر هو نموذج معاصر لكيرتس بطل رواية "قلب الظلمات" لجوزيف كونراد. لكن كيرتس يموت بيد جندى انجليزى ، أما هوينكر فيبقى .. ويعيش ، ربما للأبد.

يقول فونجوت : "أحب أن أكتب دائما أشياء غريبة . فالمزاج هو دائما جائزة لأحد شباب الأسرة الصغار. هذا الذى يجلس على طرف المائدة . وليس لديه مايرويه ، أما الآخرون فيتكلمون عن قصص الحب والعمل والمدرسة ، لكن الصغير لايهتم . ومن هذا الصغير تعلمت كيف أدخل إلى عالم الكبار".

وعن أمريكا التى هاجر منها هوينكر يقول : "هذا البلد لايزعج الكاتب أبدا ، ولكن أعتقد أن الكتابة فيه أشبه بسم بطئ المفعول . يمكن فيه أن نفكر أننا نكتب منذ ثلاثين عاما عما أنتجناه من أجيال من جنود سيئين".

أما الكاتب الفرنسى **روبير ميرل** ROBERT MERL فقد قدم حكاية رئيس الجمهورية من خلال رواية بالغة الطرافة هى "**يوم الدلفين**" THE DAY OF THE DOLPHIN يتصور أنه يمكن لأحد علماء الحيوان أن يجعل حيوانات الدلفين البحرية تتكلم وذلك بعد مران ومجهود استغرقا أكثر من أثنى عشر عاما . وتدور الأحداث فى جزيرة واسعة قريبة من ولاية فلوريدا الأمريكية . يشكل الدكتور تيريل وزوجته ماجى ثنائيا رائعا ويدرسان معا مجموعة من الظواهر منذ عدة سنوات . ويحيطان أمورهما بسرية شديدة . فهما

يجريان أبحاثا على الدلفين. وفى الجزيرة يوجد كل مايمكن أن يتوفر لمثل هذه الدراسات العلمية : حمامات طبيعية ، وأحواض وأجهزة كهربية ، وثروة طيبة يمكن بها الاستمرار فى الأبحاث .

وجاك الذى تجاوز الخمسين من العمر. هادئ. صبور، محظوظ. شغوف جدا بالأبحاث العلمية التى يجربها . استطاع فى سنوات قليلة أن يجمع الكثير عن طبائع حيوان الدلفين، وأقام حوضا مفتوحا لمراقبته وهو يعوم تحت سطح المياه من خلال حاجز زجاجى ، ويلاحظ أن الدلفين مدان إلى مكانين لايمكن الاستغناء عنها. الماء حيث يعيش ، والهواء الذى يتنفس منه . وهو يجهل لماذا تستطيع الحيوانات من هذه الفصيلة ان تعيش وقتا طويلا فوق الأرض . والحيوان الذى يجرى عليه التجارب هو حيوان قياسى . يزن ١٥٠ كيلو جراماً وذو جلد ناعم . ومخه أضخم من مخ الإنسان : إنه يتمتع برشاقة ولطف . ويمازح ويداعب : قادر أن يعقد اتصالات مع من حوله . ولذا فهو يفهم الأوامر جيدا . ولديه القدرة على أن ينفذها بحذافيرها .

ويستطيع الدكتور جاك أن يقيم صلة غريبة مع الحيوان بعد هذا التدريب الدقيق ويتمكن من محادثته . كانت المهمة بالغة الصعوبة فى أول الأمر، ولكن بالمثابرة أمكن أن تكون الأمور أقل صعوبة . وكى يمكن ان يزيد من ألفة الحيوان يأتى له يوما بأنثى من الدلفين كى تشاركه حياته .. ويطلق عليها اسم " **بيتا** " وكان على " **ألفا** " أن يقوم بدوره فى تعليم " **بيتا** " كيفية النطق والكلام .

ويزور جزيرةَ الدكتور جاك يوما أحدُ رجال مؤسسة فرانكلين العلمية كى يطلع على انجازات جاك فى هذا المضمار. إنه كيرتس ماهوجنى الذى يميل بطبعه إلى الشر. يقرر الإقامة فى الجزيرة لعدة أشهر. وعندما يحس الدكتور بالخطر يقرر أن يوقف تجاربه اثناء فترة الزيارة ، ولكن ماهوجنى لايترك العالم فى حاله . فهو يتلصص عليه . يراقب الحيوانات باهتمام شديد ويسعى إلى معرفة ماذا يدور هناك .

ويتظاهر ماهوجنى يوما أنه ترك الجزيرة لكنه مايلبث أن يعود . فهو يرى أن أعمال الدلفين هى من صميم رجال القوات المسلحة ، وأن الجيش الأمريكى يصرف على أبحاث الدلفين فقط خمسمائة مليون دولار أمريكى سنويا .

هنا يدرك جاك أنه لايمكن الاحتفاظ بالسر لفترة أطول ، خاصة أن كيرتس ماهو جنى يهدد بأن ينشر مقالا عما رآه فى الجزيرة . وهو ما يثير سخط مؤسسة فرانكلين التى تقرر أن توفد من يمثلها من جديد . خاصة أن الحيوانين يفهمان الأوامر ويدركان الخطر الذى يقبل عليه صاحبها . لكن الوقت أصبح متأخرا . فيقرر أن يعقد مؤتمرا صحفيا يتحدث فيه عما توصل إليه أمام الصحافة العلمية والصحافة العامة .

وفجأة يكتشف جاك وزوجته أن الحيوانين قد اختفيا . لقد جاءت سفينة تابعة للمؤسسة وأخذتها كى تقوم المؤسسة بنفسها فى عرضها بالمؤتمر الصحافى .

وفى المؤتمر يعرف الدكتور أن ماهوجنى ليس تابعا لهذه المؤسسة العلمية . وانما هو من رجال الاستخبارات الأمريكية . ويدرك تيريل أنه قد وقع فى شراك مساعد قديم له يدعى دافيد وهو الذى باح بالكثير من الأسرار إلى المؤسسة . وبدون دافيد هذا لم يكن يمكن للمؤتمر أن يكتب له النجاح . فقد تآلف الحيوانان مع دافيد واستطاعا التجاوب معه فى المؤتمر الصحفى .

ويأمر رئيس الولايات المتحدة ان تتخذ السلطات كل مايمكنها حتى لاتنتشر مثل هذه الظاهرة . فمثل هذه الحيوانات يمكن استخدامها جواسيس ، لذا فإن الأمر الأول يكون هو فصل كل من الذكر عن الانثى .

وفى الفصول الأخيرة من الرواية يصف الكاتب من خلال جو رمانسى رائع كيف يتم الانفصال بين ألفا وبيتا . ولأن الحيوانين يتمتعان بذكاء يفوق البشر ، فإن الحب الذى يكمن داخل كل منها أكبر من أى حب يتصوره البشر . ولذا يكون الفراق بالغ الصعوبة ليس على المحبين فقط . ولكن على الدكتور جاك تيريل وزوجته . حيث يردد العالم بأسى أنه لايمكنه أن يجرى التجربة مرة ثانية ، فالإنسان – مهما كان – لايستحق أن يكون صديقا للدلفين .

وقد قام بعض النقاد بوضع هذه الرواية ضمن أدب الخيال السياسى . لأنها تصور رئيس الولايات المتحدة متخلفا عقليا ويفكر بأسلوب مكارثى رجعى وهو أحد رؤساء المستقبل . كما أن تداخل كل من وكالات الاستخبارات الأمريكية CIA والمؤسسة الإعلامية الأمريكية جعلت الرواية مصبوغة بصبغة سياسية . أما الجانب العلمى فى

الرواية فقد صُنع ليخدم الأجواء السياسية التى تعمد الكاتب إظهارها فى روايته التى نشرت عام ١٩٧٠ إبان الفترة الاولى لحكم الرئيس ريتشارد نيكسون . ويجعل روبير ميرل أبطال روايته يعيشون فى آنية معاصرة للوقت الذى كتب فيه هذه الرواية ، ولم يشر إلى أن أحداث روايته تدور فى المستقبل . ولعل نفس الأجهزة العلمية التى استعان بها الدكتور جاك تيريل فى تسجيل أصوات حيواناته أثناء تجاربه هى نفس الأجهزة التى قامت بالتصنت على مرشحى الحزب الديمقراطى فى عام ١٩٧٢ ، والتى انبثقت عنها فضيحة ووترجيت التى أتت فيما بعد على الرئيس الأمريكى نفسه .

هناك رواية أخرى من نفس النوعية لميرل تحمل عنوان " **البشر الذين تمت وقايتهم** " LES HOMMES PROTEGES [٢٠] ، وفيها يهتم من جديد برئيس الولايات المتحدة بصفة خاصة حيث يتصور أن العصر الذى يجابه فيه فيدل كاسترو رئيسَ الولايات المتحدة الأمريكية قادم لامحالة . والمواجهة هنا تأخذ الطابع الجنسى فى المقام الأول ، فالنساء لايمكنهن اعتلاء المناصب السياسية الكبرى وخاصة فى البيت الابيض . أما الرجال فيتمتعون بقوة جنسية تستمر مابين الثانية عشرة من العمر وحتى الخامسة والسبعين . ويصور الكاتبُ الولاياتِ المتحدةَ وقد أصاب رجالها مرض جنسى أفقدهم فحولتهم التى يتميزون بها . تنتشر عدوى هذا المرض بنفس درجة انتشار مرض الإيدز حاليا . ومن أجل الاقتراع فى الانتخابات ، فإن الرجال فى الولايات المتحدة يتساقطون كالذباب ، ويتركون أماكنهم للنساء . وتتمكن المرأة من دخول البيت الأبيض . وقيادة القوات المسلحة . تشكل الوزارة كلها من النساء . وهكذا تصبح المرأة هى المسيطرة الأولى ، وهنا يوافق الوزير المتشدد بدفورد على تعقيم نفسه هربا من المرض الذى اجتاح البلاد . أما الدكتور مارتينللى فيعيش مع بعض الزملاء من الأطباء داخل منطقة محمية حيث يستكمل أبحاثه ضد فيروس هذا المرض اللعين الذى أصاب الرجل .. وهذا الرجل مطلوب رأسه بأى شكل من قبل النساء – خاصة اللائى يتولين أعلى المناصب لأن نجاح تجاربه تشكل خطرا مؤكدا على النساء .

هناك رواية ثالثة لروبير ميرل هى أقرب إلى أدب الخيال العلمى منها إلى أدب

---

(20) Robert Merle, Les hommes protégés, Gallimard, 1975.

الخيال السياسى. ورغم ذلك فسوف نتعرض هنا لما بها من صراعات سياسية. حيث إن الشخصية الرئيسية فيها هو عمدة إحدى المدن الفرنسية. والرواية اسمها "**مالفيل**" [٢١]. MALVEIL، والعمدة إيمانويل يمتلك مساحات شاسعة من الأرض. يقوم بدعوة بعض الأصدقاء كى يتناولوا النبيذ الجديد الذى صنعه فى القبو الكبير القابع أسفل قصره العتيق. وعندما يجتمع المدعوون فى القصر، يسمعون صوت انفجارات عديدة مصحوبة برياح عاتية، فترتفع درجة الحرارة فجأة، ويسود المكان لون أبيض مايلبث أن يختفى. وتحدث ظاهرة غريبة حيث تتحطم العوينات، وينسكب النبيذ من البراميل محدثا انفجارا هائلا. فيجتاح معه بعض القرويين الذين يتمتعون بالثراء والذين جاءوا إلى القبو لأول مرة... وبعد فترة من الوقت. تنخفض حدة العاصفة، فيخرج العمدة وضيوفه من مخبأهم. ليروا أن القصر قد أصبح حطاما. وقد تساوى بالأرض، وأن الزراعات قد دمرت تماما. ويعرفون أن انفجارا نوويا قد آتى على كافة أشكال الحياة فى المكان كله.. يقترح أحد الناجين - وعددهم سبعة - أن يقوم بتصوير هذا الحدث الهائل بكاميرته التى يحملها. وعندما يفتح الجهاز يكتشف ان الفيلم أبيض. الآن عليهم أن ينظموا حياتهم. يكتشفون وجود فتاة نجت من الحادث بأعجوبة. لكنها أصبحت عمياء.

وشيئا فشيئا تعود الحياة مرة أخرى. ويمارسها هؤلاء الباقون على قيد الحياة، إلاّ أنه تظهر مجموعة أُخرى قدر لها أن تبقى أيضا على قيد الحياة. لقد خرجوا من المجارى التى حُبسوا فيها. وفى هذه الصحراء الجرداء يكتشفون أنهم ليسوا وحدهم. فهذه المجموعة الجديدة الأكثر عددا يقودها رجل ديكتارتور يدعى فلوبير يسعى إلى السيطرة على الجميع. وهنا تحدث المواجهة، ولأنه ليست هناك أسلحة. ولا أى شئ عصرى يمكن الاستعانة به، فإن الحرب تدور فى شكلها البدائى. يستخدمون النبال والنشاب ويصبحون حيوانات غير آدمية على كل منها أن يصفى الآخر؛ خاصة حين يتواجه زعيما الطائفتين إيمانويل وفولبير. وفى اللحظة التى يكاد فيها أن يتلاحم الطرفان تظهر فى السماء طائرات مروحية جاءت لتصحبها نحو مكان أكثر أمنا بعيدا عن الانفجار النووى.

---

(21) Robert Merle, Malvile, Simon, Shuster, New-York, 1974.

لاشك أن مصير الرئيس الامريكى أمر يهم الكثير من ادباء الخيال السياسى ، لذا فإن الكاتب الأمريكى والتر فاجنر W. WAGNER قد تصور مايمكن أن يحدث لرئيس الولايات المتحدة فى عام ١٩٨١ . أى العام الذى يتولى فيه الرئيس الجديد مقاليد الحكم بعد جيمى كارتر ، والمفروض أنه الرئيس رونالد ريجان . لذا جاءت الرواية التى كتبها واجنر فى أوائل السبعينات بعنوان "**فيبر ثلاثة**" WIBER 3 بمثابة تحذير عام ليس للرئيس الأمريكى القادم بل للعسكرية الأمريكية بصفة عامة . فالذى استولى على قاعدة فيبر ٣ هو أحد رجال الجيش الامريكى . بل إنه من كبار رجاله ويدعى لورانس دل LAURENCE DEL ، وهو ضابط سابق بالسلاح الجوى الأمريكى ، استطاع بخبرته السابقة فى بناء قواعد الصواريخ النووية أن يحتل إحدى القواعد النووية التى فى وسعها أن تطلق تسعة صواريخ إلى الاتحاد السوفيتى والصين فى لحظة فتتسبب فى قيام حرب عالمية ثالثة .

وكان دل قد قبض عليه بتهمة ارتكاب جريمة قتل . وصدر الحكم بحبسه ثلاثين عاما ولكنه تمكن من الهرب مع سجينين آخرين هما بول وجارفاس . وخشية أن يتم القبض عليهم من جديد يضع دلْ خطة للاستيلاء على القاعدة . وينجح بالفعل فى الاستيلاء عليها ببساطة متناهية . ثم يبدأ فى مساومة السلطات العليا فى البلاد خاصة رئيس الدولة .

وفى حديث هاتفى مع السلطات العسكرية ومع رئيس الجمهورية يحول مطالبه الشخصية إلى مطالب عامة . فهو يطالب الرئيس بأن يذيع عبر التلفاز وثيقة سرية حول حرب فيتنام وهى الحرب التى أسّر فيها . والوثيقة تحمل رقم ٩٧٥٨ ومفادها أن الولايات المتحدة قد خاضت الحرب بهدف بالغ التفاهة ، ألا وهو أن تثبت للاتحاد السوفيتى أنها لايمكن أن تخضع لتهديد أو تستسلم لضغوط ، ومقابل هذه الفكرة ضحت البلاد بآلاف الشباب الأمريكيين وبسنوات تسع من تاريخ أمريكا ، وبأموال طائلة وكان دلْ أحد هؤلاء الذين ذهبوا هناك كى يعانوا من هذه الحرب التى لاطائل منها .

على الجانب الآخر – حيث القيادة العسكرية – يتولى الجنرال ماكينزى عملية إنقاذ القاعدة ، فيتم وضع خطة لإنقاذ البلاد وسمعتها ورئيسها . ومن ثَم إنقاذ العالم من كارثة لايعرف مداها سوى الله . وبالفعل فإن الجنرال يرسل جنودا ماهرين لإنقاذ القاعدة . وكما

فشلت خطة تحرير الرهائن فى عهد جيمى كارتر، تفشل خطة تحرير القاعدة، ويكاد دلْ أن يصاب بجنون. فاتصل بماكينزى وهدد بإطلاق الصواريخ وكى يثبت له فعلا نيته يطلق صاروخين إلى نهاية أبراج القاعدة. وهنا يطلب أن تكون رهينة خروجهم هى شخصية الرئيس نفسه.

ورئيس الدولة كما تخيله الكاتب هو رجل ضعيف، متسامح، لايميل إلى استخدام العنف، لذا يرى أن عليه أن يضحى بنفسه مسيحاً عصرياً لإنقاذ البشرية. يستقل طائرته الخاصة التى سوف يستقلها دل وزميلاه. ينزل إلى القاعدة ويستسلم لهم. يخرج الرجال والرئيس متجهين صوب الطائرة التى ستنقلهم إلى إحدى الجهات الأجنبية. لكن ماكينزى كان قد أعد خطة لم يطلع عليها أحد حيث كلف بعض القناصة المزودين ببنادق ذات مناظير مقربة باصطياد كل الصاعدين إلى الطائرة بمن فيهم رئيس الدولة نفسه.

ورئيس الجمهورية ستيفنز ليس لعبة حائرة فقط بين الطرفين المتصارعين، بل بين كل المحاور الاخرى. لذا فإنه يدفع حياته ثمنا لكل الصراع القائم .. ويموت الرئيس. لكن المواجهات تظل قائمة.

أما الكاتب ويليام هاريسون WILLIAM HARISSON فهو أحد المهتمين بأدب الخيال السياسى وقد ولد فى الولايات المتحدة عام ١٩٣٣. وهو يعمل حاليا مدرسا للأدب الأنجليزى فى جامعة أركانساس، حصل على جائزة بوليتزر عن رواياته. من أهم رواياته رواية "**جريمة كرة الانزلاق**" THE CRIME OF ROLLERBALL التى استوحاها من حادثة حقيقية شاهدها يوما على شاشة التلفاز عقب عودته من رؤية مباراة لكرة السلة. فعلى الشاشة شاهد مجزرة دامية تدور عقب مباراة ملاكمة. وعندما قام بتغيير القناة، فوجئ أن مبارة أخرى عنيفة فى التزحلق فوق المياه. أما روايته فقد جعل أحداثها تدور فى المستقبل، بالضبط فى عام ٢٠١٨ . ويقول هاريسون أنه فى المستقبل القريب جدا ستكون الحروب البشرية قد انتهت ولكن ستكون هناك كرة الانزلاق [٢٢].

فى العقد الثانى من القرن الحادى والعشرين سيكون الإنسان قد استطاع التغلب

(22) William Harrison, The Crime Of Rollerball, Esquire Sep. 1973.

على مشاكل الحروب وسيكون العالم قد أنهى سلسلة متتالية من الصراعات الجماعية .. فى هذه السنوات ستكون الصورة المألوفة للحكومة التقليدية قد اختفت ، وسوف تسود أنظمة حاكمة أخرى فيها ستة تكتلات تمثل – وزارات بالصورة الحالية – الطاقة والطعام والإسكان والنقل والرفاهية والاتصالات ، فى هذه السنوات سيكون البشر قد عرفوا الاستقرار بعد الصراعات الدموية المتواصلة : فهناك مثلا اتحاد عالمى يدير شئون هذه التكتلات جميعها ، مثل اتحاد شئون الإسكان أو اتحاد شئون الرفاهية أو الطاقة .

وحلم هاريسون هو حلم طوبوى بسيادة يوتوبيا عالمية فى القرن القادم . حيث تنتهى الجريمة ويزول الفقر والتلوث والحروب النووية ، ولكن يبقى شئ واحد هو العنف . ويختار الكاتب رياضة الكرة المنزلقة ليعبر عما يسودها من عنف فى هذه السنوات .

ويهمنا هنا أن نصور الخيال السياسى عند الكاتب فى هذه الأقصوصة الطويلة قبل ان نؤكد على بعض الحوادث الدرامية . فهناك رئيس لكل من هذه الاتحادات ، والعالم كله يرأسه ستة رجال يمثلون هذه الاتحادات . يمثلون طبقة مسيطرة وتخدمهم فى أعمالهم التطورات التقنية فى مجالات العلوم والاتصالات ..

وكرة الانزلاق هى لعبة شعبية مثل رياضة كرة القدم فى النصف الثانى من القرن العشرين ، وقد تم ابتداع هذه اللعبة كى تكون بديلا للروح العدائية التى اشتهر بها عصرنا . وهذه الرياضة منتشرة فى كل مدن العالم . وجمهور هذه الرياضة هو سكان الكرة الأرضية . لقد تطورت وسائل الاتصال وأصبح من الممكن نقل المباريات التى تقام بين الفرق فى المدن .

ويختار هاريسون نموذجا من هذا العالم هو جوناثان ئى JONATHAN E وهو أسطورة اللعبة فى العالم كله . إلى درجة أنه عندما يسافر ليلاعب دولة منافسة ، فإن أبناء تلك البلاد يهتفون باسمه بدلا مَن الهتاف باسم فريق بلدهم . ويتمتع بهذه السمعة لما له من مهارة شديدة ، ولكثرة الأهداف التى سجلها ، ولأسلوبه فى الهجوم ، فضلا عن مثابرته واستمراره . وهو يتمتع بقوة جسدية أهلته لهذه المكانة . وفى هذه اللعبة العنيفة قل أن يستمر فى ملاعبها رجل واحد لأكثر من عامين. أما .E فقد استمر عشر سنوات .

ويعيش E حياة رغدة أهلته لها شهرته ومهارته . وتتمثل المشكلة فى أن اتحاد الطاقة

يرى أنه قد أصبح أكثر أهمية من اللعبة نفسها ، ويدرك أن المجتمع الذى يعيش فيه أنما يحقق للناس كل احتياجاتهم ويصل بهم إلى الرخاء المادى على الا يتدخلوا فى قرارات الإدارة .

ويدور الصراع حول اعتزال اللاعب . فيواجه السلطة الإدارية بعنف وبكل نبل وأخلاق البطل التراجيدى الذى عهدناه فى الحكايات اليونانية ، وتصل المعركة الشرسة بين الطرفين إلى أن تخطف السلطة السياسية زوجته وتطلب أن يمتثل لهم . وبالفعل فإن الزوجة تقوم بدورها فى إخضاع زوجها لرغبات السلطة . وعندما يسافر إلى جنيف لمعرفة الأسباب من العقل الاليكترونى العالمى الموحد ، يفشل العقل الاليكترونى فى معرفة الأسباب . وتتصاعد حدة المؤامرة حيث يعملون على تصفيته كلاعب محترف . فيتم تغيير قواعد اللعبة حتى يمكن لأعضاء فريقه أن يقوم بتصفية الفريق الأخر بكل الوسائل الممكنة .

وبالفعل ، فى إحدى المباريات التى يشترك فيها E تصدر الأوامر بتصفية كل من فى الحلبة من خلال القواعد الجديدة للعبة . وذلك أشبه بما كان يتم فى حلبات المصارعة فى عصور الرومان . فمع كل هذا التطور الحضارى ، فإن الإنسان لم يتغير. يحمل كرته كما كان يخرج الأبطال حاملين أسلحتهم استعدادا لجولة جديدة فى حلبة أخرى .

والعجيب أنه فى مايو من عام ١٩٨٥ شهدت مدينة بروكسل البلجيكية معركة أكثر دموية من تلك التى تصورها هاريسون ، فتحت عيون ملايين المشاهدين أثناء مباراة كرة قدم بين فريقى ليفربول الإنجليزى واليوفنتوس الإيطالى الذين سبق لكل منها أن وصل من قبل لنهائى بطولة أوروبا ، حدثت مشادات بالغة العنف ، وقتل أكثر من اربعين متفرجا وبذلك تكون نبوءة هاريسون قد تحققت قبل ثلاثين عاما من الزمن الفعلى لحدوثها [١٢٤] .

وإذا كان هاريسون قد رحل إلى عام ٢٠١٨ ، فإن إيراليفين IRA LEVIN يروى وقائع روايته " **هذا اليوم المميز** " THIS PERFECT DAY فى عام يسميه ١٧٢ بعد التوحيد . وهو يقصد توحيد الدنيا . هذا الحلم الذى أرقّ هاريسون من قبل . فالكرة الأرضية قد أصبحت دولة واحدة . ولها مستعمرات فى كل من المريخ وعطارد . يميل البشر إلى السلم . سواء برغباتهم ، أو عن طريق تناول تلك العقاقير المهدئة التى تميت روح

العداء بين بنى الإنسان ، وبذلك فقد اختلفت السمات العامة للبشر. وأصبحوا أقل شهوة للحسيات .

والرئيس فى هذه الرواية هو العقل الاليكترونى **"سويسرا"** ويعد بمثابة آلة أشبه بالأخ الأكبر عند أورويل . يحدد مايجب للإنسان أن يسلكه من تصرفات . وفى هذا العصر بلغ التطور التقنى مداه وتحولت الأماكن إلى أرقام : وكل إنسان يحمل سوارا فى معصمه عليه اسمه المرقوم . أما سويسرا فيمكنه تحديد مكان أى شخص فى العالم فى أى وقت يشاء .

ويختار ليفين بطلا يسميه LERM 35M 1944 ، وهو طفل يختلف عن بقية الأطفال الذين حوله . وهو عندما يبلغ سن الرشد يفكر فى التمرد مثلما فعل سميث ومونتاج من قبل . فهناك مجموعة من الرجال والنساء يتصلون به وينضم اليهم ، وهو يلجأ إلى استخدام جرعات مخففة من العقاقير حتى لايكون تأثيرها شديدا عليه . ومع ذلك يتظاهر أن هذه العقاقير قد أحدثت مفعولها المطلوب .

والحكام فى هذا العالم يمثلون أربع طبقات يملكون كل مصائر البشر. الزعيم وى رجل له وجه صينى وجسم مستعار من رجل آخر. بلغ مائتين وستة أعوام رغم أن أى إنسان فى ذلك العصر يجب أن يموت عندما يبلغ الثانية والستين .. هناك أيضا زعماء ثلاثة آخرون هم وود الذى يرمز إلى اللص روبن هود الذى يسرق من الأغنياء ليمنح الفقراء ، وماركس ، وكريست الذى يرمز إلى السيد المسيح عليه السلام .

ويقول محمد الحديدى فى محيط عرضه لهذه الرواية : "يتفق المفكرون الأربعة ويلز وهكسلى وأورويل وليفين على أن الإنسان سوف ينقسم إلى أنواع ، سواء كان ذلك بالتطور أو الهندسة الوراثية التى تخدم الاقتصاد ، أو بناء على رغبة الحكام فى التسلط أو بتأثير التطبيق العملى فى المجتمع الإنسانى ، وأن كان أورويل ربما لانه اختار مدى قصيراً لفكرة المستقبل ، أربعين سنة وليس مليوناً أو أكثر كما هو عند غيره ، ينفرد بأنه لايهتم كثيرا بمسألة الأنواع .

يرى هؤلاء الكتاب أيضا أن الهوة بين الحاكم والمحكوم سوف تزداد اتساعا ، فالحكام عند أورويل فئة من المتسلطين الذين يتخذون من الشعارات أداة للوصول إلى السلطة .

" الحرب هى السلام ! " وهم عند هكسلى مخططون بيولوجيون يقسمون الناس إلى ألفا وبيتا وغير ذلك من الفصائل الصناعية . أما ليفين الذى يعيش فى عصر زرع الأعضاء فيراهم متألهين يعيشون إلى الابد ويوحدون الجنس البشرى فى " أسرة واحدة " وينتقون معاونيهم من الابطال الذين يثبتون امتيازهم بالرغبة فى قيادة العالم كما فعل " تشب " ولديهم حجج لاتغتفر إلى الوجاهة من حيث إن فيما يفعلونه خير " المجموع " وهى نفس الحجة القديمة . بل إنهم " ديمقراطيون " بطريقتهم ! أليس الناس كلهم راضين عما يحدث ؟ بل انهم يتنافسون ليقدموا عيونهم واعضاءهم للحكام ليستخدموها " قطعَ غيار " لأجسادهم الطاعنة . فإذا اعترضنا بأن العقاقير هى التى تخضعهم وتجعلهم راضين عما يحدث لهم فإن الإجابة سهلة . هذه العقاقير هى التى قضت على ويلات الحرب والعداء بين الأفراد والجماعات ! إن العلاقة بين الحاكم والمحكوم هنا هى نوع من العلاقة بين الإنسان والكلب أو الببغاء الذى يربيه ؛ أو بين تاجر الأفيون والمدمن ، أليس الطرفان سعيدين تماما ، والبشرية كلّها فى حالة رخاء وتقدم تفوق أقصى مايمكن أن تحلم به فى عالم ممزق كالذى نعيش فيه الآن ؟ من الذى يمكن أن يعترض ؟ حفنة من القراء الجهلة الذين يعيشون فى عصر متخلف ؟ أيتشدقون بالحديث عن الخير والشر وهى قضية قديمة كانوا يسمونها فيما قبل التوحيد " مشكلة الأخلاق " (٢٣) .

أما الكاتب الأمريكى اليهودى برنارد مالامود B. MALAMUD (١٩١٤ – ١٩٨٦) فقد غزا عالم الخيال السياسى فى روايته **"كرم الله"** GOD'S GRACE . وإذا كان ليفين يهوديا متعصبا ، فإنه لم يشر فى روايته **" هذا اليوم المميز "** إلى اليهود فى المستقبل ، إلا أن مالامود قد حبا أبناء جنسه ، بأفضليتهم على كل الأجناس الأخرى فى هذه الرواية حيث يتصور أن الحرب العالمية الثالثة قد اندلعت بين طائفتى الـ GDAKIS, DRUZLTKIS فأتى أتونها على كل البشر ، وأن الله – سبحانه وتعالى – قد غضب على الإنسان الذى كرّمه بأعظم السمات والمزايا ومنحه السلطان فوق الأرض من بدء التاريخ ... لذا فإنه يرى أن الإسان لايستحق من جلالته أى كرم أو رعاية .

---

(٢٣) محمد الحديدى : نماذج من الرواية العالمية "كتاب الهلال" العدد ٢٩٦ ، ١٩٧٥ القاهرة ص ١٥٠ .

حيث أتت الحرب بدمارها على كل عناصر الحياة فوق الكرة الأرضية . ولم ينج من هذه الحرب سوى رجل واحد يدعى كالفين كوهين ، وهو ابن حاخام يهودى يجد نفسه يسبح فوق مياه المحيط مع القردة الصغيرة BOOZويتمكنان من الوصول إلى إحدى الجزر القريبة التى ترشده إليها القردة الصغيرة . وفى الجزيرة يفاجئ كوهين أن الحياة لاتزال قائمة من خلال مجموعة من القرود الشمبانزى . ويصيب الندم الرجل الذى يدعو الله أن "يكلمه" ، ويسأله عن سبب هذا البلاء الذى أصاب البشر: إلا أن الرب يحدثه ناصحا : "اسرع وعش حياتك . تنفس بملء رئتيك واستكمل طريقك". ويرى كوهين أن الرب يميل إلى القصص الحزينة التى يقوم بأدائها ملايين الممثلين من البشر.. " ومع ذلك فإنه يمتثل لحكمته ويعيش فوق الجزيرة التى تشبه الجنة . فعليها مالذ وطاب من ثمار الفاكهة والخضروات ، وعلى كوهين أن يعيش مثلما عاش روبنسون كروزو ، فهو يتعلم كيف يصنع أجود أنواع البيرة من ثمار الموز. ويتبادل الحديث مع القردة بوز حول التعاليم التى وردت فى التوراة ، وعن أصل الحياة وعن مغزى ضحية سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وفى هذه الحوادث يضع مالامود كل أفكاره العنصرية . فاليهودية – حسب رؤيته – هى الديانة الباقية بعد فناء البشر ، وهى التى ستظل . وكوهين الذى يصادق قردة الجزيرة التى تجيد الحديث – على غرار قردة بييربول فى روايته "**كوكب القرود**" – يطلق عليها أسماء يهودية مثل "**هود** HOOD و "**عيسو**" ESAU "**واسترهازى**" ESTERHAZY ، كما يقرر تأسيس مدرسة لتعليم اليهودية لسكان الجزيرة من القردة . ويحدثهم عن قصة غرام مارى مادلين ويعمل على انتشار النسل بين القردة من خلال عملية تنظيم النسل بين الإناث والذكور حتى تولد أجيال جديدة تؤمن بدعوته .

وفى الجيل الاول يرى أحد ذكور الغوريللا يقتل أخاه من أجل أنثى . وعندما يواريه التراب ينشد بعض الترانيم اليهودية . وهنا يشعر كوهين ان "**كرم الله**" قد عاد مرة أخرى فى صورة القرد بعد فناء العالم . وسوف تستمر دعوته من خلال الأجيال المتعاقبة .

والرموز التى وضعها الكاتب بالغة الوضوح . فإذا كان الله قد أعلن سخطه على البشر وطرد أباهم آدم من الجنة بعد الخطيئة الأولى ، فإنه فى رواية مالامود يعلن كرمه وفضله على المخلوقات الجديدة متمثلة فى تلاميذ كوهين . لذا فإن بعض النقاد يقارنون بين كوهين

ونوح عليه السلام[٢٤] ، وأن القردة سوف تكون " أفضل الأتباع بعد أن عرف أن البشر لايستحقون اى رحمة وقد دمروا أنفسهم بأسلحتهم وعقليتهم وذكائهم . أما مارى مادلين فهى صورة معاكسة لمريم المجدلية . ولايخفى الكاتب سخريته من هذه القديسة[٢٥] " .

فى بعض الأحيان خرج أدباء الخيال العلمى المعروفين عن الخط الذى يهتمون به ومزجوا الخيال العلمى بالخيال السياسى . ولعل رأى برادبورى هو أبرز هؤلاء على الإطلاق، خاصة فى رواياته القصيرة أو أقاصيصه . فقبل " **فهرنهايت ٤٥١** " المنشورة عام ١٩٥٣ ، نشر له العديد من القصص القصيرة منها قصته المعنونةTHE OTHER TOOT المنشورة عام ١٩٥١ . وهى تعنى " **السادة الجدد** " . وفيها يروى قصة نفى الزنوج من الولايات المتحدة إلى كوكب المريخ ، ويترك هذا الحدث فراغا كبيرا فى المجتمع الأمريكى " لقد أصبحنا سكان المريخ بدلا من سكان الأرض ، ولم يأت أى رجل أبيض إلى هنا منذ تلك الآونة . هذه هى قضيتنا "[٢٦] .

وتجرى هناك انتخابات نيابية لاختيار رئيس بلدية جديد ، إما فى الأرض فإن الرجل الأبيض قد عانى من الفراغ الذى تركه الزنوج : " ولقد تركتم الأرض قبل عشرين سنة - تدور الأحداث عام ١٩٨٥ - وهذا وقت طويل . طويل جدا . وكأنه عشرون قرنا " لقد حدث الكثير أثناء ذلك ، فبعد أن تركتم الأرض " نشبت حرب " وأحنى رأسه ببطء : " نعم . وقعت حرب كبيرة . الحرب الثالثة ، واستمرت زمنا طويلا . حتى السنة الماضية - يقصد عام ١٩٨٤ - لقد ضربنا جميع مدن العالم بالقنابل . دمرنا نيويورك ولندن وموسكو وباريس وشنغهاى وبومباى والاسكندرية حطمناها جميعا . ولما انتهينا من المدن الكبرى بدأنا بالمدن الصغرى فضربناها بالقنابل الذرية ودمرناها "[٢٧] .

ويقول برادبورى على لسان الرجل الأبيض العجوز : "كنا أغبياء . لقد دمرنا الأرض

---

(٢٤) انظر دراستنا الكاملة عنه فى كتابنا " الرواية اليهودية الحديثة فى الولايات المتحدة وفرنسا " الدار العربية للكتاب ، طرابلس ١٩٩١ .

(٢٥) محمود قاسم : الرواية اليهودية الحديثة فى الولايات المتحدة وفرنسا ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ١٩٩١ .

(٢٦) راى برادبورى : السادة الجدد . ترجمة يوئيل يوسف عزيز . الثقافة الأجنبية . العدد ٥ ، ٦ بغداد ١٩٨٤ ص ١٤١ .

(٢٧) المرجع السابق ص ١٤٥ .

والمدينة على رؤوسنا. لم تبق مدينة من المدن تستحق الإنقاذ. جميعها تلوثت بالاشعاع الذرى مدة قرن كامل. لقد انتهت الأرض. وانتهى عمرها. عندكم هنا صواريخ غير مستخدمة. وهى صالحة للعمل. يمكن استخدامها للعودة إلى الأرض. لقد جئت لأطلب المساعدة منكم لاستخدام هذه الصواريخ. أعود بها إلى الأرض، وأنقذ بعض من بقى حيا، ثم آخذهم إلى هنا - إلى المريخ - أطلب أن تنقذونا هذه المرة، كنا أغبياء. ونحن نعترف بغبائنا أمام الله، كما نعترف بالشر الذى ارتكبناه. جميعنا. من صينين وهنود وروس وانجليز وأمريكيين نطلب منكم أن تسمحوا لنا بالعيش معكم".

تنبه بعض الكتاب الغرب إلى نوع الخيال السياسى وقدموا فيه عطاءً قليلا لكنه فى الأهمية القصوى، تلك الدرجة التى حاولوا فيها مجابهة العديد من المجريات والممنوعات ومناقشة المستقبل السياسى للوطن العربى دون أى قيود: مثل رواية "**السيد من حقل السبانخ**" لصبرى موسى التى مزجت الخيال العلمى بالسياسى، وتدور أحداثها فى القرن الرابع والعشرين الميلادى.. أما أبرز الروايات العربية فى أدب النوع على الإطلاق - حسب رأيى فهى رواية "**ثقب فى قاع النهر**" لعمر كامل. وتعتمد الرواية على تخيل الكاتب أن نهر النيل قد أصابه الجفاف معلنا قيام عصر جديد. "نظرا من فوق سور الكوبرى إلى الهوة العميقة الفارغة. وسقطت فى قلبيها النظرة، فلم يريا سوى شق متوحش أسود عملاق لم يكتف بالتهام المياه، وانما يتحين لحظة للانقضاض على الضفاف وابتلاع الهواء: وقتل الجميعَ ظمأً واختناقا. هل هى القيامة التى طالما هدد بقربها الوشيك سعد التهامى!".

هذا الحادث يصيب السلطات السياسية بالارتباك فى اتخاذ القرارات التى تجابة وتعالج المشكلة. وتحت شعار الدين تقوم دولة جديدة تضع لنفسها ناموسا خاصا. "وعندما تحس الدولة باقتراب الخطر تعلن فى أجهزة الإعلام البيان تلو البيان الآخر.

"وأننا نعلن بأن الدولة قوية متماسكة بفضل مؤسساتها المدنية والعسكرية، وأن إطلاق حرية السفر لايعنى، كما تحاول تلك الجماعات الترويج تهجيراً، للسلطة والحكومة وانما الإبقاء على أبناء الوطن المخلصين ذوى الإمكانيات والقدرات الخاصة لمباشرة مسئوليات الوطن والشعب".

ونتيجة لهذه القلاقل يسقط النظام السياسى القائم كى يقوم عصر التبرئة أو عصر الفتح الثانى لمصر. ويعلن الحكام الجدد خطتهم الجديدة التى تبدو نبيلة ، ويتغير تماما وجه الحياة فى البلاد ، فيسود العنف والتطرف. " ليست أيام التبرئة الخلاص واللطف كما يقول أتباع أخيك ، فالمجد فى نظرى أن اعيش الموت والحياة معا. وقد حلت هذه الأيام والتى حاولت أن أعيشها فى قلب حضارة الغرب ، ولكنى لم أعثر عليها ، فالحياة هناك غالية الثمن ، والموت أثمن. فهذه الحضارة تقدر جيدا كل شئ وتعقل كل أمر. الحياة حياة والموت موت ، لاخلط أو نشاز. وهنا اختلطت الأمور وامتزجت الأشياء وجئت ، لألتقط أعظم صورة للحظة نادرة فى حياة الشعوب ، وسأعود لشعوب الغرب لترى نفسها عندما يطحنها الطاعون الأسود أو عندما وطئتها جحافل البراءة : طالما تسكعت فى أوروبا ابحث عن دور، واكتشفت أننى ممثل فاشل من الشرق ، تائه بين ملايين من الممثلين الذين يجيدون أداء كل الأدوار ببراعة. سأعود لهم يوما لأكشف لهم سحرهم الواهن وسيصبحون أمامى أضعف من شجرة موسى. سأجسد لهم لغز الموت والحياة كما لم يفعل كل مؤرخيهم وفلاسفتهم ومفكريهم " .

فى هذا العصر أصبح الفيديو محرما وممنوعا. وانتشرت الرذيلة بين الزعماء وحرموها على الشعب ، وأصبح خلف كل شخص جهاز تجسس صغير يمكن أن يسجل مايفعله ويردده. وأصبحت الدولة تتحكم فى كل المصائر بدءا من اختيار أسماء المواليد الجدد ، وتبديل كل أوجه الحياة ، ولم يعمل أى من هؤلاء الحكام على إعادة المياه إلى النهر. كما ظهرت جماعات عديدة مناوئه لعصر التبرئة ، وسعى البعض للهجرة. وبقى الآخرون يعانون من ديكتاتورية رهيبة لم تعهدها البلاد.

ويقول المؤلف فى كلمة أخيرة حول هذه الرواية : " أود أن أعلن بأن أحداث هذه الرواية التى يغلب عليها التوقع الخيالى إن جاز التعبير ليست موجهة إلى تيار أو جماعة أو شخص بقدر ماهى موجهة إلى الغموض وغيبة الإدراك والانفعال الانتحارى " .

يؤكد الباحث الفرنسى رولان لاكورب أنّ كتاب أدب الخيال السياسى يجمعون على نقطة واحدة هامة وهى ان هناك كارثة رهيبة ستحيق بالبشر فى منعطف العقود الأخيرة من القرن العشرين ، ولكن هل تكون تلك يوتوبيا متشائمة ورجعية ؟ أن التفاؤل الأعمى

لم يسبق له أن أنقذ أحداً إذا ما حانت الساعة . والوسيلة الوحيدة لتفادى كارثة ما هى ألا تمعن التفكير فيها ، وأن تعمل على تفاديها إذا كان ذلك يدخل فى إمكانيات البشرية . لقد كثر الحديث عام ١٩٥٠ عن خطر الحرب الذرية وهو خطر لايزال يلوح فى الأفق ، وإنْ كانت الأحداث قد تخطته وهو أشبه مايكون بسيف ديموقليس لايزال معلقا فوق رؤوسنا ونجد أن الخطر الآخر الطبيعى هو أشبه بسيف يسقط بقوة هائلة ، والوسيلة الوحيدة لتجنبه هو فى الابتعاد عن مساره . ولكن ألا يزال هناك مكان واحد لم يتعرض لبأسه ؟ . فإذا كانت التسعينات قد بدأت بكارثة الخليج . فترى ماذا سيحدث فى نهايتها ؟ .



الفصل السادس

أدب الفنتازيا العلمية



أدب الفنتازيا العلمـية

لاشك أن الفنتازيا – أو الخيال الجامح – هى أحد ألوان الفنون والآداب المحببة الشائقة إلى قلوب الكثير من القراء والأدباء على السواء. والفنتازيا نوع قديم قدم الآداب والفنون. فقد نشأت وترعرعت وكانت هى المعبر الواسع الذى يلج منه الفنان بعيدا عن متاعبه اليومية – أو فى كثير من الاحيان – لمناقشتها بعيدا عن قيود السلطان وقوانين المجتمع الصارمة. وتتمثل الفنتازيا فى "حلم الإنسان فى تجاوز الحواجز الزمانية والمكانية دون أن يقوم هذا الحلم على أية أسس علمية (رياضية أو تجريبية)، كما تتمثل فى مخاوفه من تدخل قوى غيبية فى حياته كالسحر والأماكن الموصودة والجن"[١].

والفنتازيا كلمة ذات أصل لاتينى PHANTASTICUS جاءت من اللغة اليونانية، وهى تعنى صناعة الشئ الخفى والمستحيل إيجاده. وفى هذا الإطار العام فإن كل الأنشطة التخيلية هى من الفنتازيا. وكل الأعمال الأدبية فانتازية. بمعنى أن تكون واسعة الحدود. وفى هذا المضمار فإن هناك صعوبات محددة للفنتازيا بوصفها نوعاً أدبياً. ففى المنظور النقدى فإنها تخلو من أى معنى تاريخى"[٢].

و"الفنتازيا بمعنى آخر هى احتمال تقديم الأسطورة والميثولوجيا والفولكولور وقصص الطوبوية ورؤى الأحلام ومقاطع السريالية والخيال العلمى وقصص الرعب، وكل ما يقارب هذه الأنواع وله علاقة بالبشر"[٣].

والفنتازيا التى سوف نتناولها هنا هى بمعناها الأوسع هى ذلك الخيال الجامح الذى لايتوقف عند حدود. وفى أدب النوع فإن موضوعات الفنتازيا لايمكن أن تتحقق مع أى زمن ومكان. فهى اختراق واضح لكل حدود الأزمنة والأماكن، وهى المقاييس التى اعتاد عليها الإنسان فى حياته الأرضية. ولعل أبرز مثال على ذلك فى أدبنا العربى

---

(١) يوسف الشارونى، الخيال العلمى فى الأدب العربى. عالم الفكر. أكتوبر ١٩٨٠. الكويت ص ٢٤٣.

(2)Rosemary Jackson, Fantasy, The Literacy Of Subversion, Methuen, London 1981 P. 13.

(٣) المصدر السابق.

حكايات ألف ليلة وليلة العديدة. أما الفنتازيا العلمية فهي تلك الممزوجة بأجواء الخيال العلمي. كما أنها ترتبط بصورة أو بأخرى بحياة العلماء والعلم فى المعامل وحياتهم الخاصة المتصلة بمهنتهم. فإذا كان أحد أدباء النوع العلمى قد أعلن أنه قد كتب روايته التي تدور أحداثها بعد أربعة قرون – أى الواقعة فى عام ٢٤٤٠ فانه يعرف جيدا ان هناك احتمالا لحدوث حقائق علمية جاءت وقائعها فى روايته. أما كاتب الفنتازيا العلمية فانه يشطح تماما بما لايمكن تحقيقه لا فى المستقبل ولا فى أى زمن حاضر أو منصرم .. وسوف يبدو ذلك واضحا فى النماذج الأدبية التى سنتحدث عنها فى هذا الفصل. وكما أصبح أدب الخيال السياسى نوعا منشقا عن النوع الأم، فإن الفنتازيا العلمية تمهد نفسها إلى الأنفصال النهائى فى السنوات القريبة.

وقد وجد أدب الفنتازيا العلمية لنفسه بعض الجذور مثلما وجد أدب النوع الأم جذوره قبل القرن العشرين. ففى القرن الثامن العشر نجح هوراس والبول HORACE WALPOLE فى مزج الحلم بالفنتازيا بالأجواء العلمية فى رواياته التى من أشهرها " **قلعة أورتانتو**" THE CASTLE OF ORTANTO المنشورة عام ١٧٦٤. وهناك أيضا من أدباء النوع كلاراريف CLARA REEVE وبيتر تيوثولد PETER TEUTHOLD وماريا روش MARIA ROCHE وآنا باربلود ANNA BAR BUALD، أما فى القرن التاسع عشر فقد عرف العديد من الكتّاب مثل تشارلز موتورين CHARLS MOTORIN، وآن رادكليف ANNE RADCLIFF، أما مارى شيللى فقد ابتدعت شخصية تعد من أبرز معالم القرن العشرين التى لايزال يتم تجديدها وتصويرها مرتدية العديد من الأقنعة والوجوه. ألا وهى شخصية الدكتور فرانكنشتين.

ولدت مارى ولستينكروفت شيللى MARY WOLLSTONECROFT SHELLY فى انجلترا لوالدين متحررين. فكان أبوها، واسمه ويليام جودين، فيلسوفا سياسيا ذا سمعة رديئة فى عصره. "ومعروفا بمعتقداته الثورية المتطرفة. وكانت أمها رائدة للحركة النسائية فى زمانها، وبعد ميلاد مارى بعشرة أيام توفيت أمها. وهذا أحزن أباها فتحجر قلبه من ناحيتها إذ اعتبرها مسئولة عما ألم بزوجته. وطفولة مارى كانت فى مجملها بائسة لما لاقته على أيدى أبيها، فانتحت جانبا عن أهلها وقضت أيامها فى عزلة، يداعبها حلم لذيذ بأنها ملاقية السعادة لا محالة مع شخص تحبه. وكان لها ماحلمت. إذ التقت

بالشاعر الرومانسى شيللى PERCY BYSSHE SHELLY وكان من تلامذة والدها النجباء وقتئذ ، فأحبته وفرت معه إلى سويسرا حيث التقيا بشاعر رومانسى آخر هو جورج بايرون »[٤] .

ويقول د. جمال عبد الناصر " وعندما أخلدت مارى إلى النوم راحت الأفكار تدور برأسها الصغير فرأت فى منامها عالما يقف فى ذهول أمام شئ غريب ، وفوق منضده امتد ذلك الشئ الذى شابه شبح إنسان بشع . وبمجرد أن أدار العالم محركا بدأ الجسد الممتد يتحرك وقد دبت الحياة فى أعضائه . قفز العالم على الفور وقد صعقه الرعب إثر تحرك الشئ البغيض الذى صنعه بيديه . وهنا استيقظت مارى من نومها فزعة ، ونظرت حولها واطمأنت إلى أن مارأته كان حلما ، فران عليها الهدوء ، وأمسكت ورقا وقلما وشرعت فى كتابة قصتها معتقدة أن ما أفزعها حتما يفزع الآخرين . ثم قررت أن تحول قصتها إلى رواية كبيرة كما نصحها شيللى ، واسمتها فرانكنشتين أو بروميثوس العصر الحديث ١٨١٨ "[٥] .

وليست رواية فرانكنشتين FRANKENSTEIN هى الوحيدة من أدب النوع لمارى شيللى . فهناك رواية أخرى تحت عنوان " **ماتيلدا** " MATHILD عام ١٨٢٢ . ورواية VALPERGA عام ١٩٢٣ . ثم " **الإنسان الأخير** " THE LAST MAN عام ١٩٢٦ .

والفكرة التى صورتها مارى شيللى هى أقرب إلى أفكار الخيال العلمى . فهى فى محتواها العام لاتزال فكرة جذابة حول تغيير العقل والمعالم ، أو إعادة خلق البشر. ولكن الفكرة الفنتازية عند المخلوق الذى صنعه البارون فرانكنشتين لاتتمثل فقط فى اعادة خلقه لشخص جديد يثير الرعب فيمن حوله. ويحوله إلى شخص إجرامى ، وإنما إن هذا المخلوق هو عبارة عن تجميع آدمى قام به فرانكنشتين من بقايا آدمية عديدة لإعادة خلق الإنسان من كائنات ميتة .

وبعد أن قام البارون بتجميع هذه الحثالات الآدمية ، طلب من أحد القتلة المأجورين أن يأتيه بجسد شخص مات لتوه . فيقوم هذا المأجور بقتل فتاة بريئة ويأتى بها

(٤) د. جمال عبد الناصر، فرانكنشتين مارد الهلاك – مجلة القاهرة. مايو ١٩٨٧ ص ٦٨ .
(٥) المصدر السابق .

إليه كى يفوز بالأجر. وفى المعمل يقوم البارون بنزع قلب الفتاة الذى توقف عن النبض من دقائق لا أكثر. فيضع صمامات القلب فى محاليل كيمائية. ويقوم بتوصيله بضغط هوائى. وبعد فترة يلاحظ أن القلب ينبض. وعندما تعرف الشرطة ما حدث تهاجم منزل البارون الذى يهرب مع مساعده هانز. ويعود إلى بلدته الأصلية التى كان لايود العودة إليها إلا مع الضرورة القصوى. وظل هناك يتوق للعودة من جديد إلى قصره الواقع فى أطراف المدينة. وعندما يعود يستكمل إجراء تجاربه وينجح فى ضخ مياه الحياة فى قلبه وشرايينه. وبعد أيام بدأت أقدام المخلوق العملاق تدب فوق الأرض وبدأ يتناول طعاما وشرابا. لم يكن مخلوقا عاديا، بل وحشا عملاقا فى إمكانه أن يقتل أكثر من شخص بقوته الفولاذية. وعندما ألقت الشرطة النيران عليه وقع فى الجليد. واستطاع البارون إنقاذه مرة أخرى.. لقد أحب الحياة وعليه أن يعود إليها مرة أخرى.. ولكن الرصاصة أصابت مخه. ولن يكون كامل التعقل مثلما كان فى المرة السابقة. فهاهو ذا قد غدا مخلوقا بلا عقل..

يفكر البارون فى السيطرة على عقل مخلوقه من خلال التنويم المغناطيسى. فيلجأ إلى أحد المنومين فى المدينة ويتفق معه على السيطرة عليه، إلاّ أن هذا الرجل يدفع العملاق إلى الأعمال الأجرامية المرعبة فيقتل ويسرق. وعندما يعرف البارون ذلك يقتل المنوم. ثم يفاجئ أن وحشه الضخم يسعى للسيطرة على نفسه، فيصبح جسدا شامخا بلاعقل يقوده فيصاب بالجنون. فيقوم بتحطيم كل شئ أمامه حتى تأتى الحرائق يوما على البارون وقصره ومخلوقه.

ولاشك أَن فرانكنشتين قد غامر فى ميادين معرفية تستطيع ان تقوده نحو حتفه، والفرق بين فرانكنشتين وبروميثيوس المبدع أن الأول "ينجح انطلاقا من الكيمياء التقليدية والكيمياء الحديثة فى تحقيق حلم قديم، حلم خلق الحياة. فيما تظل صورة الخالق مجرد واحدة من موضوعات هذه الرواية. وماهو أكثر دلالة، من وجهة نظرنا نحن – هنا – هى الدراسة التى تقوم بها مارى شيللى للعلاقات بين فرانكنشتين ومخلوقه، ذلك أنها

تصور حلل رجلل العلم العصرى مع التكنولوجيا ، وتفهمنا شيللى جيدا أن الكاتب المرعب لو أصبح سيئا ، فإن المسئولية تعود على فرانكنشتين وحده "[٦] .

و " ترى مارى شيللى أن طموح الخلق يقود فرانكنشتين إلى التخلى عن واجباته الاجتماعية ، فهو يقطع كل صلة بأهله وأصدقائه . وتقدم لنا صورة رجل العلم الذى يستغرقه عمله كلية إلى درجة أن يصبح كائنا وحيدا وغريبا عن كل مايحوطه "[٧] .

ويمكن أن نؤكد أن القارئ قد وجد تعاطفا مع شخصية فرانكنشتين مثلما يتعاطف مع مخلوقه التعس الذى لاحول له ولاقوة فيما ارتكبه . فرغم كل الشرور التى راح يمارسها فإن الإنسان الحى هو الذى دفعه إلى ذلك . وهو مجرد مخلوق جامد يحرك له عقله باعث خارجى ، لذا فإن هذا المخلوق هو ابن القرن العشرين الذى قامت فيه وسائل الإعلام بتقديم رفاقه البشر من خلال برامجها الموجهة . وقد دخل فرانكنشتين ومخلوقه أيضا البيوت من خلال عشرات الأفلام التى تمت صناعتها فى عمر السينما الذى يناهز المائة عاما .

ويؤكد جورج تيرنر أن رواية مارى شيللى " مع الأسف يجب أن تهمل كأدب خيال علمى لأنها كتبت كقصة رعب ، والمنطق الذى عكسته كان اخلاقيا ، ومحتواها العلمى اقتصر على العبارة المهمة " جمعّت وركبّت موادى " ، أما نسخ الأفلام من الرواية فقد جاءت عاجزة وكانت أقرب إلى متطلبات الخيال العلمى من الرواية . لقد قدمت رواية فرانكنشتين للخيال العلمى بذرة إحدى أعظم أساطير الغد ، ألا وهى أسطورة خلق الحياة من قبل الإنسان . ومايزال يمتد ظل هذه الرواية بعيدا ، أما من الناحية الأدبية فلايوجد مايدعمها سوى فكرتها المرعبة "[٨] .

وقد عاصرت مارى شيللى مجموعة أخرى من الأسماء التى اهتمت بأدب الفنتازيا –

---

(٦) كريال سينج ، التكنولوجيا والرواية . ترجمة أحمد الحدينى . الثقافة الأجنبية . العدد (٣) ١٩٨٤ بغداد . ص ٤٤ .

(٧) جورج تيرنر . أدب الخيال العلمى . كتاب الثقافة الأجنبية . دار الشئون الثقافية . بغداد ١٩٨٦ ص ٣١ .

(8) Rosemary Jakson, Fantasy, The Literacy Of Subversion, Methuen, London 1981, P. 116 .

غير العلمية – منهم على سبيل المثال جوجول ودوستويفسكى وأدجار ألان بو. ولكنهم لم يهتموا بمزجها بأجواء العلم مثلما فعلت. ومايهمنا هنا هو مابقى من هذه الاسماء للقرن العشرين ، مثل الشخصية التى قدمها الكاتب الانجليزى روبرت لويس ستيفنسون ROBERT LOUIS STEVENSON فى رواية " الحالة الغريبة التى أصابت الدكتور جيكل ومستر هايد " THE STRANGE CASE OF DR. JEKYLL AND MR. HYDE والتى أصبحت حالة علمية بعد القوانين والبحوث التى قدمها فرويد عن الفصام النفسى. ولكن مايهمنا أن الدكتور جيكل قد أجرى على نفسه هذه التجارب فى المعمل وبواسطة محاليل هى نتاج علمى ، وأنه لم يكن مصابا بالفصام مثل المرضى الذين عرفهم فرويد وتلاميذه..

وتقول روزمارى جاكسون إن هـ . ج . ويلز قد قدم لأدب الفنتازيا العلمية روايتين هما "**جزيرة الدكتور مورو**" عام ١٨٩٦ ، ثم "**الرجل الخفى**" عام ١٨٩٧ . وكانت هاتان الروايتان حلقة وصل بين رواياته الطبيعية مثل "**كيبس**" KEPPIS أو "**قصة السيد بوللى**" THE HISTORY OF MR. POLLY وروايات الخيال العلمى التى كتبها بعد ذلك مثل "**آلة الزمن**" ، و "**حرب العوالم**" ، و "**رجال كالآلهة**" . و "**الصحوات النائحة**" [٩].

كذلك هناك روايات أخرى حاولت العزف على النغمتين مثل رواية "**دراكيولا**" DRACULA التى نشرها برام شتوكر BRAM STOKER عام ١٨٩٧ . وهى رواية تخويف وليس فيها سوى فنتازيا بعيدة تماما عن العلم. إلا أنه مع بداية عصر العلم وخاصة القرن العشرين ، ومع انتشار أدب الخيال العلمى بدأ يظهر نوع جديد من الفنتازيا العلمية التى قد يصعب فى الكثير من الاحيان فصلها عن أدب النوع خاصة فى المرحلة الكلاسيكية ثم المرحلة الثانية.

لعل فرانتز كافكا FRANZ KAFKA هو أشهر من قدم للفنتازيا رواية بعنوان "**مسخ الكائنات**" META MORPHOSIS ، إلا أن كافكا لم يكن مخلصا للنوع ولكنه فتح مجالا لايستهان به.

---

(9) Doris Lessing, le Carnet D'or, Albin Michel-Paris, 1977.

وفى هذا الفصل سوف نؤكد على بعض أدباء القرن العشرين الذين اخلصوا لهذا النوع من الأدب .. ومن أبرزهم دوريس ليسنج إحدى أبرز الكاتبات البريطانيات فى القرن العشرين ، ليس فى أدب الفنتازيا العلمية فقط ولكن فى أدبها المتنوع الاتجاهات ، ودوريس كاتبة رواية وأقصوصة ومسرح . ولكن لم تقدم الفنتازيا إلا فى مجال الرواية فقط .

ولدت دوريس ليسنج DORIS LESSING فى مدينة كرمنشاه فى أكتوبر عام ١٩١٩ ، ببلاد فارس ، وذلك قبل أن تتحول إلى إيران . كانت البلاد فى تلك الآونة تحت وطأة احتلال تشكله قوات أجنبية تتشكل من فرنسا وبريطانيا وروسيا والبنك البريطانى الذى كان يعمل فيه والتر ليسنج والد دوريس . فى عام ١٩٢٤ رحلت الأسرة إلى انجلترا ثم إلى جنوب إفريقيا حيث عاشت هناك حتى عام ١٩٤٩ . ثم تعود إلى انجلترا لتمارس حياتها هناك . من أبرز رواياتها " **العشب يغنى** " THE GRASS IS SINGING و" **مارتا كويست** " MARTHA QUEST . أما فى أدب الفنتازيا فقد بدأت مرحلتها فى عام ١٩٦٠ حين قدمت رواية بعنوان " **البطاقة الذهبية** "(١٠) .

وفى هذه الرواية تخلط الكاتبة بين التاريخ – مثلما تفعل دائما – وبين الحضارة والجنس والسياسة . آنا فولفا روائية تكتب رواية عن روائية أخرى تكتب رواية حول النساء اللائى يؤمن بالحرية لأنهن يعشن فى عالم الرجل .

وهذا التداخل الغريب الأشبه بأقاصيص ألف ليلة وليلة اكتسبته دوريس من قراءتها للأدب العربى والفارسى . والرواية تعرض أربع بطاقات من خلال هذا التداخل . للبطاقات ألوان مختلفة تتعلق السوداء بحياة الكاتبة الأدبية . أما الحمراء فتتعلق بسلوكها السياسى ، والصفراء بحياتها الخاصة ، غرامياتها وعلاقتها بالرجال الذين تعرفت عليهم فى مراحل مختلفة من حياتها ، أما البطاقة الزرقاء فإنها تتعلق بسلوكها النفسى وعملية البحث عن الحقيقة التى تبحث عنها دوما .

لماذا أربع بطاقات ..؟ الإنسان عالم متشابك لاينفصل منه جانب عن آخر.. لكن الكاتبة تفصل هذه الجوانب كلاً عن بعضها ، أسوة بما يفعله الباحثون فى معاملهم

---

(10) Doris Lessing, The Memorial Of A Survivor, Knopf, New-York 1975.

وأبحاثهم . وتتناول كل جانب منهم منفصلا عن الآخر. العالم يفصل ظاهرة ما من الظواهر كى يمكنه أن يدرسها بدقة . وهكذا تفعل الكاتبة . فالعالم هو ضجة الفنان الذى يتمثل فى عبثية الحياة . وإذا كانت هذه البطاقات الأربع هى كل الماضى بالنسبة للكاتبة آنا فولفا ، فإن البطاقة الخامسة تمثل كل المستقبل بالنسبة لها : آمالها . طموحها . رغبتها فى مداومة النجاح . وألا تكون مثل هذه الكاتبة التى تكتب عنها . تكتب عن امرأة ضاع منها المستقبل وانصرم من بين يديها . آنا فولفا لاتود أن تكون كذلك . فالبطاقة الذهبية تصبح هى الممكن لعالم يزداد انفجارا ، لكن المؤلفة لايمكن أن تبوح بمشاعرها لحبيبها الذى تكتب بدورها رواية أخرى حول علاقتها به .

ويمكننا عند قراءة هذه الرواية أن نشعر بانعكاسات امرأة تحيا من خلال أحاسيسها الداخلية ، إنها تعيش الحياة بأكملها . لاتهمل جانبا على حساب الآخر. فهى تشارك قضايا العالم السياسية مثلما تفعل دوريس . العالم من حولنا يعج بأقوام فقراء لايأكلون سوى فتات الأغنياء . يأكل القوى الضعيف . يطحنه . ويأكل الطعام كله . أناس يموتون من التخمة . ويموت الباقون من فقر الدم والجوع . هى امرأة تحب بكل مالديها من أحاسيس ومشاعر. لكن كمية الحب التى يمكن أن تهبها وتعطيها لايكفيها رجل واحد فقط . والرجل الذى تحبه لايستطيع أن يعى كل هذا الحب الذى تكنه . إنه يتسم بالأنانية . يبحث عن متعته . عن رغباته وحده ، وعلى المرأة أن تعبر كل ماتشعر به من حب وود وقلق فوق الورق . الورق هو الشئ الوحيد الذى يمكنه أن يحتمل كل الآم البشر ومعاناتهم .

وقد حاولنا أن نركز على هذه الرواية التى قدمتها دوريس ليسنج لنعرف نموذجا من أدبها قبل أن تتجه إلى الفنتازيا .

فى روايتها " **مذكرات باق على قيد الحياة** " THE MEMORIAL OF A SURVIVOR[11] ، تجرد نفسها من واقع غمست فيه نفسها لسنوات كى تصور عالما لايصل إليه البشر بأجسادهم . وهذه الرواية يمكن إدراكها تحت عنوان " **قصة أشباح حول المستقبل** " . وتروى حكاية امرأة تعيش وحدها فى مدينة لايمكن التعرف عليها .

(11) Melvin Moddocks, Ghosts And Prottents, Time, June 16, 1975.

وتجد المرأة نفسها تعيش فى أنواع مختلفة من الأزمنة ، كأنها تمر بسفر رؤيا يتنكر تحت الوصايا العشر. سكان العمارات يهجرونها وينضمون إلى قبائل مهاجرة تظهر فجأة فى المدينة ثم تختفى مرة أخرى فجأة كما ظهرت . لقد اتجهت نحو الشرق دون أن تخلف وراءها آية آثار تدل عليها سوى بعض مخلفات النيران التى أشعلوها فوق الأرصفة .

بعد أن ترحل هذه القبائل المهاجرة تصاب المدينة بنوع غريب من الشلل . تتوقف الأجهزة عن العمل وتنقطع الكهرباء . تشح المياه فتباع للسكان فى الأوانى . تصاب المدينة بتلوث غريب إلى درجة أن الهواء النقى يصبح شيئا نادرا لايقدر بثمن . غبار كثيف فوق المدينة ، على الجميع أن يتنفسوا منه . إنه خطاياهم ، أو خطايانا نحن البشر. الشئ الوحيد الذى لم يتغير فى المدينة تحت هذه الظروف هو بيروقراطية الموظفين الجالسين فوق مكاتبهم هنا وهناك . فاللوائح موجودة ، وعلى الجميع تطبيقها مهما كانت الظروف . وتثور أقاويل أبناء المدينة حول هذا السلوك البيروقراطى ، وحول موقف الحكومة والصحافة من مواجهة المشاكل . يفهم الناس أن الأسلوب الذى توصف به المدينة من خلال التقارير الرسمية التى تصدر تباعا يختلف تماما عن الحقيقة التى يعيشون فيها . فهناك مجموعات عديدة من الأطفال الصغار الذين تتراوح أعمارهم بين الثامنة والتاسعة يعيشون منعزلين عن البيئة ويتحولون إلى وحوش ادمية . كائنات غريبة مثل كاسبار هاوزر. يبحثون عن الاطعمة معا كى يقتاتوا ويسدوا بطونهم الجائعة ، إنهم يعيشون فى أقبية المدينة ومخابئها . هذه الأقبية القذرة المليئة بالحشرات والحيوانات الصغيرة الضارة أكثر عفونة من الكهوف التى عاش فيها الإنسان القديم ، تتقدم الأشياء بسرعة نحو الانحدار. تتهاوى . ومع ذلك فالسادة الموظفون الجالسون فوق مكاتبهم لايعلمون شيئا عما يحدث ، ولذلك فإن المسئولين لايعرفون شيئا عما يدور حولهم . ولايفكر شخص واحد أن يأخذ بزمام المبادرة لإنقاذ المدينة .

الوحيد الذى يحمل المسئولية على عاتقه هو فتاة صغيرة فى الثانية عشرة من عمرها تدعى أميلى تحاول أن تؤثر على الكاتبة دوريس ليسنج وتضغط عليها كى تقوم بتغيير الأحداث . وبأسلوب أقرب إلى مايفعله السرياليون ، وتحت الظروف الغريبة التى تعيشها المدينة تمر أميلى بالعديد من المراحل الأنثوية البيولوجية فى وقت قصير نسبيا .

وتصف الكاتبة العلاقات المكثفة الغريبة التى تعقدها أميلى مع حبيبها جيرالد الذى قام بتأسيس إحدى الجمعيات الخيرية . وهى أيضا ترتبط بـ " هو هو " الحيوان الغريب الذى له جسد كلب ووجه قطٍ ، وكأنه يرمز إلى التشويه الذى أصابنا جميعا . فكلنا مزيج من أشياء عديدة متنافرة لانستطيع أن نحدث بينها توازنا .

وتحاول الكاتبة أن تُدخل من ذاتيتها وشخصيتها فى أميلى ، وفى الرواية نفسها . وهى أيضا تعبر عن أفكارها الرافضة ضد البيوقراطية والحكومة والصحافة التى لاتعبأ بمشاكل الناس ، وتتحدث عن تحركات السادة المسئولين وزيارتهم هنا وهناك ، وهم ينسون تماما أصحاب المشاكل الحقيقية . فأميلى إنسانة فقد الحب مكانه فى قلبها بالرغم من صغر سنها . لقد علمتها الحياة كيف تصبح صلدة قاسية وصلدة التفكير . وقد تكون دوريس أشبه بأميلى غير السوية . فهى تعيش الماضى أقل من المستقبل مثل آنا فولفا . وهى تؤمن أن المستقبل يمكنه أن يأتى مع أشياء أفضل مما جاء بها الماضى ، فهى تضع شخصياتها وقارئها بين أشباح الماضى الميتة وأشباح المستقبل التى لم تولد بعد .

ويقول الناقد الأمريكى ملفين مادوكس – مجلة تايم ١٦ يونيه ١٩٧٥ [١٢] – إن " **مذكرات باق على قيد الحياة** " هى تفكير عميق غير عادى يصور مدى التحمل للولاء والحب والمسئولية فى وقت لم يسبق له مثيل . ولهذا التفكير مطالب لايمكن تحميلها فوق أعناق البشر . وهناك أيضا شعور داخلى يتعلق بالفراسة والمعاناة تتحول إلى موضوع غيبى تجريبى . وأن تطلب أن يكون لهذه المذكرات خاتمة أو نهاية يعتبر طلبا مفرطا من المؤلفة .
فالمستقبل عند السيدة ليسنج هو الوقوع تحت سيطرة أفكار متسلطة أكثر منه موضوع بكل القوة والتحديد لإنسان تملكته تلك الأفكار المتسلطة التى كتبت تاريخ رؤية حول المستقبل وهى كابوس تحاول أن نستيقظ منه " .

وقد يمكن لبعض النقاد وضع هذه الرواية تحت اسم الخيال العلمى ، إلا أنه تقسيم قاصر النظر .. والمؤلفة تكتفى وتقول إنها خيال امرأة مريضة . ويقول نقاد آخرون إنها خيال مضاد .. ولاشك أن الكاتب الشيللى خوزيه دونوزو JOSE DONOZO قد تأثر إلى حد كبير بهذه الرواية حيث قدم روايته " **منزل المعسكر** " ، التى تدور أحداثها فى مدينة

(12) Doris Lessing, Shikasta, Knpof, New-York, 1979.

المستقبل حيث يمكن للأخت أن تذبح أختها وتقدم من جسدها طعاما شهيا لأبيها .. لقد فقد الكثير من الأشياء مذاقه ، وعلى الآخرين أن يتذوقوا أشياء جديدة . الغبار فى السماء يكتم الأنفاس الضجيج والقلق. وحول سؤال وجُه إلى الكاتبة حول رؤيتها التشاؤمية للمستقبل تقول : يكفى أن نقرأ الصحف. أعتقد أنه سوف تقوم حرب بسبب كمية التسليح الرهيبة . أشياء ما يجب أن تحدث للناس فى السويد والنرويج وسويسرا . ليست هى أكثر البلاد قابلية للتلوث . لاأعرف كيف تسير مثل هذه الأمور. كم أتمنى أن يسعى الناس إلى ممارسة الضغط السياسى كى يحصلوا على مخابئهم التى سوف يختبئون فيها حين تقوم الحرب الثالثة . وأنا أنتمى إلى إحدى المنظمات التى تسعى إلى تحذير السلطات وتنبيههم بأمور البشر" .

أما الرواية الثانية التى قدمتها دوريس ليسنج فهى ثلاثية تحمل اسم CANORUS ARGO. S ، صدر منها حتى الآن ثلاثة أجزاء هى شيكاستا SHIKASTA[١٣] ١٩٧٩ ، و" **الزيجات بين المناطق ٣ ، ٤ ، ٥**" عام ١٩٨٠ أو" **الأرضى**" وهذه الرواية تنتمى إلى مايسمى برؤية المستقبل الميتافيزيقية لدى الكاتبة . ويمكن أيضا إدراجه تحت مايسمى بالخيال الفضائى الذى يشع الحنين لمستقبل لايمكن أن نعيشه بأى حال من الأحوال . ورواية "**شيكاستا**" هى شكل مضاد "لرحلات جاليفر سويفت" والعهد القديم أكثر من كونها تعبيراً عن شخصيات مشهورة فى كتب الخيال العلمى التى أصبحت تلهم خيال الأطفال قبل الكبار، ويك روجرز وفلاش جوردن ، سوبرمان ، فهناك مجموعة من العلماء تكتشف كوكبا جديدا . إنه أشبه بأمنا الأرض التى نعيش فوقها . لكنه أكثر عذرية . وفوق هذا الكوكب تعيش سلالة من القردة تتعلم كيف تقف لأول مرة على قدميها الإثنتين. وهذه المخلوقات تحكمها كائنات أخرى تجلس فوق العرش . إنها من جنس يختلف.. جنس متفوق تعلم كيف يتصرف مثل الإنسان. لكن فجأة ينغلق هذا الكوكب المسمى بروهندا على نفسه وسكانه . ممنوع الخروج أو الدخول أو الاتصال بأى عوالم أخرى . وتمر سنوات طويلة . الآف الأعوام تتوالى أشبه بمرور الفردوس . حتى يحدث يوما أن يدخل إلى هذا العالم المغلق صوت جديد يعتبر نشازا للسلوك المألوف لدى سكانه. فيصاب السكان بمرض غريب تزداد حدته يوما وراء يوم ، وتمر السنوات

(13) Paulgray, Visit to A Small Planet, Octobre 22, 1979.

طويلة ، فيبدأ السكان فى الانكماش ، ويسود القلق والاضطراب محل الرضا والطمأنينة ، يعم اليأس محل الامل . ويقرر الزعماء تغيير اسم كوكبهم من بروهندا إلى شيكاستا أو الكوكب الجريح الفاسد فى هذه الآونة . ينشأ هناك فى مكان آخر فى مجموعة شمسية أخرى "**كوكب جديد اسمه الأرض**" لانعرف هل ولدت الأرض كى يرث من شيكاستا عفونته ومشاكله ، أم سيكون بديلا عنه فى أن يصبح عالما مثاليا .

وإذا كانت هناك امرأة قد روت أحداث "**باق على قيد الحياة**" ، فان رجلا يدعى "جوهرا" هو الذى يروى ماحدث فى شيكاستا . إنه أحد رجال العرش الخالدين .. أقرب إلى رجال الأساطير . يمكنه العودة إلى الماضى ، والولوج إلى المستقبل . فهو يعود إلى قرن الخراب كى يدون ماحدث فى كتب يمكن الاحتفاظ بها فى أرشيف العرش ، فضلا عن مجموعة أخرى من النشرات والتقارير الاجتماعية والمفكرات والعديد من الخطابات التى أرسلها سكان شيكاستا فى ظروف وملابسات عديدة ، ومن قراءة سريعة أو متعمقة لهذه الدقائق يمكن أن نستعرض أن ماحدث فى شيكاستا لايختلف عما يحدث فى عصرنا .. وأن هذه الأساطير ليست سوى رتوش تضاف إلى واقع نحياه جميعا . فشيكاستا تضم فى داخلها العديد من الطبقات البشرية ، هناك أديان عديدة تدين بها طبقات مختلفة . وهناك أيضا لغات وثقافات وأجناس متعددة . وهناك حضارات سامية وأخرى متطفلة ، وثالثة بدائية . وهناك أقوام يقهرون أقوام أخرين . وحضارات تقوم فوق أطلال حضارات . كما أن هناك الطبقات الدنيا التى تطأها الأقدام . ويكتفى هؤلاء البؤساء بالمراقبة . يراقبهم ظالموهم ، ويراقبون النباتات التى يزرعونها ، وهى تنمو حتى تنضج يوما فيقومون بحصادها ، يراقبون السحب تسير من فوقهم ، أو يرقبون أنفسهم يركضون متيقظين حيث يتأملون قوتهم الذاتية فلكل إنسان منا قوته التى يستمدها من العوالم التى تحيطه .

ويقول بول جراى ناقد التايم – **٢٢** أكتوبر **١٩٧٩** [١٤] – " إن ليسنج قد اكتسبت ايضا لنفسها مصدر قوة ، لانها تهتم بالتصميمات العظيمة وبتشكيلات القوى العظمى . فهى لاتنسى المكان والعصر الحاضر . وهى مازالت تتوقف إبان لحظات الجمال المنساب .

---

(14) Doris Lessing, The Marriages Between Zoons, 3,4,5, Knpof. New-York 1980.

فتتوقف لتصور وجه القمر المنعكس فوق بركة مترية فى فناء بمراكش. وشيكاستا ترحب بالجدال. فهناك شئ غير مرضٍ حول رؤية التاريخ الذى يوحى بأنّ البشر لايمكنهم - رغم كل شئ - أن يساعدوا فى خلق الاضطرابات داخلهم وأن أخطاءهم كلها ليست سوى تأشيرة صغيرة داخل هذا الكون الواسع. فى الوقت الذى نجد أن رواياتها مثيرة للمتعة، رغم أنها تندمج فى كل سطر منها".

وبول جراى يتحدث حول ليسنج بشئ من التطرف. فالكاتبة التى مرت من مرحلة اعتناق الفكر المادى قد أصبحت إحدى أشهر المتصوفات فى العصر الحديث. وهى امرأة تؤمن بالعقيدة إيمانا راسخا؛ خاصة خلال السنوات الأخيرة.. وسوف نؤكد على هذه النقطة فى مجال آخر.

وعندما نشرت دوريس ليسنج روايتها "**شيكاستا**" صرحت ان هناك جزءاً مكملا لهذه الرواية سوف تنشره قريبا. وبالفعل فإنها فى عام ١٩٨٠ تقوم باصدار روايتها "**الزواج بين المناطق ٣ ، ٤ ، ٥**" MARRIAGE BETWEEN 3-4-5 ZOONS التى نشرتها بعد صدور "**شيكاستا**" بستة أشهر فى الولايات المتحدة الامريكية، والرواية الجديدة تدور أحداثها فى كوكب آخر مجاور للكوكب الحزين الجريح. فى هذا الكوكب ثلاث امبراطوريات واسعة، إحداها منطقة متحضرة سامية. أما المنطقة الثانية فبدائية متوحشة. والثالثة تتسم بالعدوانية وحب الشر. حركة الكوكب الغامضة التى تتغير نغماتها تحطمت الحياة فوق شيكاستا. ولم يبق منها شئ.

المناطق ٣ ، ٤ ، ٥ ، تتجاور جنبا إلى جنب بترتيب تنازلى حسب موقعها الجغرافى والحضارى. المنطقة الثالثة جبلية. وإذا كان من المعروف أن سكان الجبال قوم ذوو صلابة وجمود وخشونة، فإن سكان هذه المنطقة يتسمون بالسمو والرفعة والتحضر. إنهم يترفعون فوق رغباتهم الجنسية: لقد نالوا من الحضارة مافيها وعاشوا معنوياتهم، وأصبح لديهم اكتفاء ذاتى إلى درجة أنهم لم يعودوا يفكرون فى الأفضل لأنهم لن يجدوا أفضل مما هم فيه.

. أما سكان المنطقة الرابعة المجاورة فهم قوم حرب. يعيشون هناك فى السهول المنخفضة أسفل الجبال التى تعيش فيها امبراطورية المنطقة الثالثة. يعيشون من

انتصاراتهم الحربية خاصة تلك التى يخوضونها ضد المنطقة الخامسة أو السادسة : وهى مناطق تعيش على الرعى ، ولايفكرون كثيرا فيما سيكون عليه غدهم .

ويصاب أهل هذه المناطق المتخلفة بكارثة أشبه بتلك التى أصابت بروهندا يوما . لقد بدأت نسبة المواليد تقل وتنخفض بين بنى البشر والحيوانات . تصاب المناطق بالحزن والألم . أصاب البلاد ركودا . أبناء المنطقة الرابعة لايمكنهم أن يجدوا شيئا يصطادونه عند المناطق التى يغزونها . لاأنفال ولاغنائم . هنا تقرر الآلهة أن تصدر أوامرها إلى أبناء هذه المناطق لحل المشكلة . ولأن أوامر الآلهة لايمكن أن ترفض فإن الجميع يجب أن ينفذوا . لكن ما هو الأمر ؟ الأمر قادم من الآلهة موجه فقط إلى الملوك . فعلى الملكة آلياث التى تحكم المنطقة الثالثة أن تتزوج من ابن عطا الملك المحارب للمنطقة الرابعة . إنه رجل ملئ بالإخصاب ، ويمكنه إنجاب أبناء يملؤون المكان . لايهم أن يلتقى التحضر الشديد مع الهجمية الشديدة لكل من آلياث وابن عطا . المهم أن يتم اللقاء الجنسى كى يحدث الإنجاب . العريس والعروس يشعران بإنفعال شديد عندما يسمعان أمر الزواج الذى تصدره السماء . يقترب كل منهما إلى المكان المعد للاحتفال بالزفاف ، وقد اعتراه نفور شديد وكراهية لما هو مقبل عليه .

فالملكة آلياث العروس ترى أن عريسها رجل هجمى بربرى الطبع لايفهم السمو الذى تتسم به ، ولايمكنه أن يرتفع إليها قط .. أما الملك ابن عطا فهو ينفر منها لإنها امرأة متكبرة متغطرسة وهوائية ، إنها تختلف عن كل النسوة اللائى عرفهن .. فلا توجد امرأة واحدة قالت له " لا " جميع النسوة يبغين وده .. فهن إما سبايا أو أسيرات . لقد اعتاد كقائد فاتح أن يرى النساء ترتمين تحت قدميه . وهو يقوم بحصر الغنائم التى حصل عليها جيشه . رجاله يدفعون إليه فى خيمته بامرأة جميلة ، أو فتاة حلوة تتمسح عند قدميه . تصرخ أو تنهنه باكية . وبعض النساء قد يتكبرن . ويمكنهن عضه أو خربشته . كل هؤلاء النسوة يختلفن عن الملكة القادمة من المنطقة الثالثة .

وترى دوريس ليسنج أن الحب والزواج يمكنها أن يحلا المشاكل التى تعانيها تلك المناطق الثلاث ، فالملكة لايمكنها أن تحب هذا الرجل مهما حدث ، حتى وإن كانت تلك رغبة الآلهة . لكنها تخاف اللعنة التى يمكنها أن تحل بمملكتها ، فتقبل الملكة أن تتنازل كثيرا

عن سموها. وعلى ابن عطا أن يرتفع بدوره عن حيوانيته إلى الملكة. ومن هنا يمكن أن يتولد بين المرأة والرجل شعور جديد. فالعلاقة بين الإثنين مبعثها الأول هو إعادة تشكيل أجيال جديدة بصورة أو بأخرى. يصبح ابن عطا نبيلا باتصاله بعروسه ولكن على حساب ثقته بنفسه. لقد خف إلى حد كبير تشدده وحزمه المتوحش الذى كان يتمسك به يوما ما. أما آلياث الخبيرة فى ممارسة الجنس بأسلوب سام فإنها تهبط إلى عاطفة جسدية مخيفة لها ومثيرة، لأنها لم تعشها من قبل. هذا التحول الجديد يخلق للطرفين تحولا يجعل الحب ينمو داخل كل منها قويا عنفيا لاحدود له. إنها تحبه بسموها وهجميته. وهو موله بها ببدائيته وثقافتها العالية. تنسى كيف مارست حبا رائعا من قبل مع رجال آخرين فى مملكتها الخاصة. تدرك أن علاقتها معهم كانت تختلف عن هذه العلاقة التى تعيشها الآن.

تمر الأيام بسرعة. تحمل الملكة جنينا لزوجها ابن عطا. لكن فجأة تصدر الآلهة أمرا غريبا يقلب الأشياء من جديد. فعلى ابن عطا أن يترك زوجته الملكة الحسناء، وأن يتزوج من الملكة التى تحكم المنطقة الخامسة كى يحيلها بدورها إلى امرأة متحضرة.

وبكل طاعة وخضوع يمتثل الملك وينفذ الأمر. يترك المرأة التى يحبها ويقبل على زوجة جديدة لعله يعلمها ويحبها.

وتتعاطف دوريس ليسنج مع الملكة وتهاجم كل الحيوانية التى يتسم بها ابن عطا الذى يرمز لديها إلى الرجل الشرقى القوى الحس الذى يسعى إلى تحقيق مآربه عن طريق الغريزة والقوة الجسدية، بينما ترمز الملكة إلى الحضارة الغربية بما وصلت إليه من رفاهية وتقدم حضارى. لكن لايمكن تفسير هذا العمل الرائع ذلك التفسير الأولى فقط. وإن كان من الصعب أيضا إغفاله.

وكما رأينا فإن هذه العوالم من الصعب وجودها. إنها تنبع فى خيال الكاتبة وحدها دون غيرها من الناس. لكن أيضا من الصعب أن لانجد أنفسنا داخله. فالطبقات الاجتماعية والصراعات العنصرية موجودة فى كل مكان. ولايمكن أن نقول إن رواية " **الزواج بين المناطق**..". هى من أدب الخيال العلمى. وحين تعذر على الكاتبة نفسها أن تسمى هذه الرواية قالت مداعبة " **خيال فضائى** ..". لكننا كما أشرنا فإن

مثل هذا اللون من الكتابة الغريب الموضوع والذى لم يمزج بداخله أنماطا عديدة من الأشكال الأدبية لم تتم تسميتها بعد. فهى يمكن تسميتها بفنتازيا خيال علمى للميتافيزيقا فى الرواية ومن هنا نجد أنه من الصعب تسميته مثل هذا الأدب. على الأقل فى الوقت الحالى الذى لم تأخذ فيه شكلها النهائى بعد.

ومثلما رأينا مايكل كرايتون ينقل رواياته إلى السينما، فإن المخرج الإنجليزى جون بورمان JOHN BOORMAN هو أشهر من قدم أفلاما تنتمى إلى نوع الميتافيزيقا والفنتازيا.. ومن أبرز هذه الأفلام "**طارد الأرواح الشريرة**" THE EXORCIST و "**إكسكاليبور**" EXCALIBUR "**والخلاص**" DELIVRANCE، ونحن لايمكن أن نتناول هذه الأفلام لأنها ليست من الأدب المكتوب فى شئ .. ولكن لبورمان رواية واحدة كتبها عام ١٩٧٠ بعنوان زاردوز قام بإخراجها إلى السينما بنفس العنوان بعد ذلك بأربعة أعوام. وهى الرواية – الوحيدة التى يمكن أن نتناولها للكاتب المخرج.

تدور أحداث رواية "**زاردوز**" ZARDOZ فى القرن الثالث والعشرين، أو بالتحديد فى عام **٢٢٩٣**، ورغم أن الأحداث تدور فى المستقبل، فـإن الجو العام الذى يصوره بورمان أشبه بأجواء الماضى مثلما فعلت دوريس ليسنج. فورتكس هذه يوتوبيا مضادة. فالناس يعيشون فيها فى موت ميتافيزيقى. المثالية شئ كاذب رغم أنها موجودة بصورة غريبة. التقنيات التى حققها الإنسان موجودة بشكل مضاد . فيجب التطور العلمى الواضح فى بعض مظاهر الحياة فى فورتكس الرابعة، إلا أن هناك مظاهر تنم عن البدائية مثل الأسلحة التى يستخدمها سكان المدينة، والملابس التى يرتدونها، والمساكن التى يقيمون فيها فهى أشياء أقرب إلى ما كان يستخدمه الإنسان فى القرن الثالث عشر. أى قبل أحداث الرواية بألف عام تقريبا. الأهالى يلجؤون إلى قراءة الطالع فى البللور مثلما كان يفعل السحرة.

ويختار بورمان نموذجين من هذا العالم كى يعلن الثورة على مايدور فيه. إنه زيد. رجل قوى فى كل شئ. له شارب كثيف. أشبه بأمراء ألف ليلة وأبطالها. وبورمان يعطى لبطله اسما عربيا مثلما أعطت ليسنج لبطلها ابن عطا اسما عربيا كذلك.. هذا الرجل يرتدى ملابس غريبة. فهو يمتلك سلاحا بدائيا. ويرتدى لباسا أشبه بملابس رجال

الغابة .. ويحمل على عاتقه فكرة قتل الإله زاردوز. وهذا الإله يحمل مزيجا من صفات البشر والإلهة فهو خالق ولكنه يموت. وهو خالد ولكنه شرير .. الآله هنا يتألم ويفكر ويصدر قرارات قاسية مثلما فعلت الآلهة فى رواية " **الزيجات بين المناطق** .. " لليسنج.

ويستطيع زيد أن يخترق الحاجز الزجاجى الذى يفصل عالمين عن بعضهما ، ولاأحد يعرف كيف يفعل ذلك : وزيد اسم مجهول. كما أنه مجهول الهوية. يعانى نفسيا مثلما تعانى الشخصيات الأخرى من سكان فورتكس الرابعة الذين يعيشون فى شباب دائم لايعرفون معنى للشيخوخة.. غلبوا الموت والجنس والأحاسيس ، لقد ماتت هذه الأشياء فى فورتكس ولم يعد لها وجود فى قواميسهم. والخارج على نظام المدينة يتم نقله إلى الجانب الآخر من المدينة. وكان زيد أحد هؤلاء. لكنه يستطيع أن يخترق الحاجز الزجاجى حيث يعيش الخارجون على القوانين كهولا لايأتى الموت إليهم أبدا. إنهم يعيشون على تأنيب الضمير طيلة حياة لاتنتهى على جريمة صغيرة اقترفوها. وقد جاء زيد كى يعلم هؤلاء الناس الحب والاستمرار والتناسل ، ويعمل على أن يأتى اليهم بالموت والأحاسيس بعد أن حرموا منها سنين طويلة.

وبدخول زيد إلى فورتكس الرابعة ينقسم السكان إلى فريقين. أحدهما تتزعمه "مى" التى ترى فيه حقلا لتجارب إنسانية. أما كونسيلا فهى تطالب بإعدامه لأنه خطر على هذا المجتمع ، ومع ذلك فإن زيد يصر على أن يقوم بمهمته فى هذا العالم. فتتولد الأحاسيس عند النساء ويبدأ العواجيز يموتون. وتتزوجه كونسيللا وتنجب منه .. ويكبران ويهرمان ويموتان.. وتدور عجلة الحياة بفورتكس الرابعة .. ويتحطم الحاجز الزجاجى..

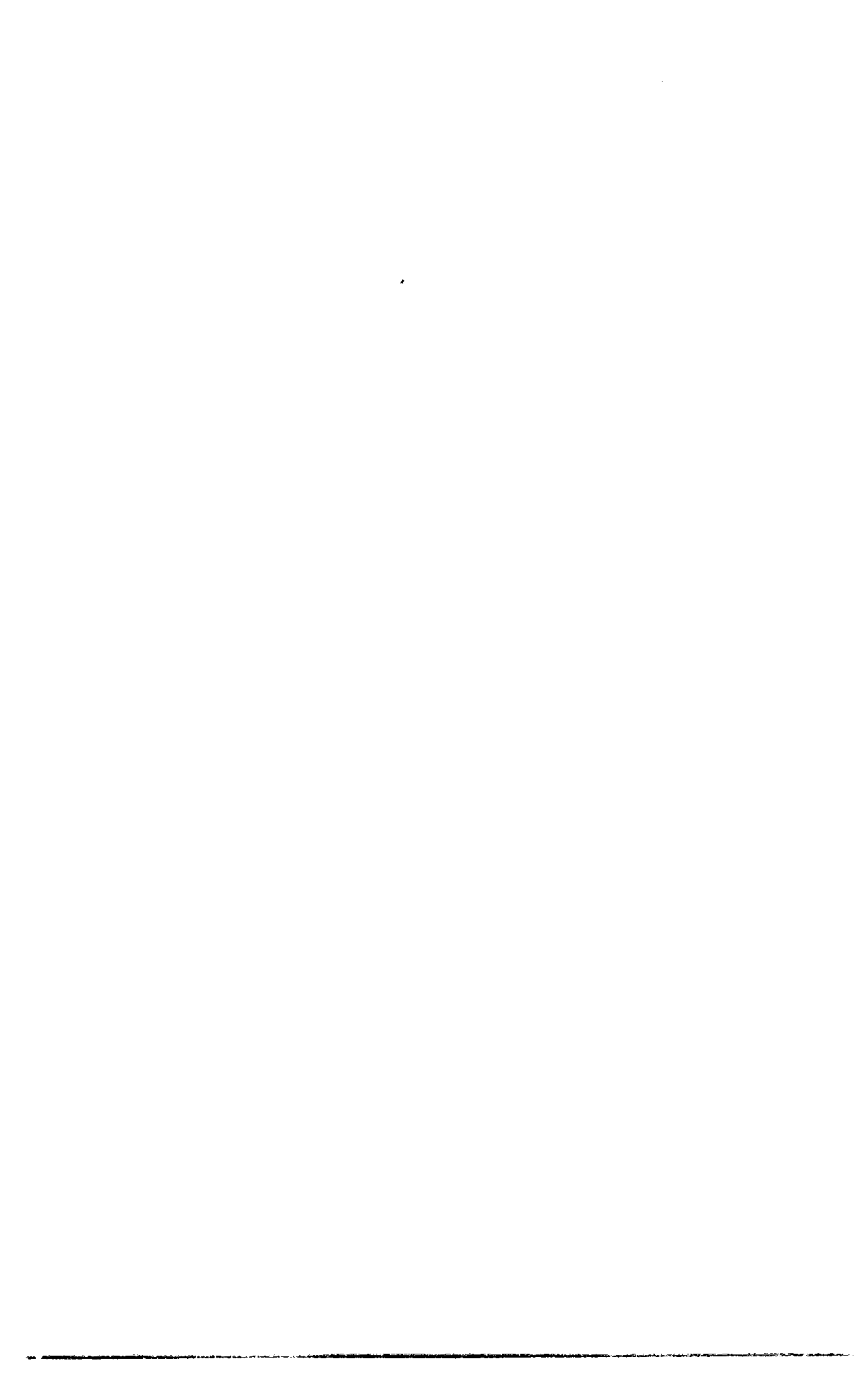
زيد رجل يمزج بين ملاك الموت وإله الإخصاب معا.. إنه يطلق أسلحته على من يشاء دون رحمة.. ونحن لاندينه لأنه يفعل ذلك.. فهو فى النهاية يبعث الروح فى هذا العالم الميت الذى تصور أنه قد قتل الموت. وكأن بورمان يريد أن يعبر عن رأيه بأن الموت عمل رائع كالحياة.

وإذا كان فرانكنشتين قد أصبح رجل القرن العشرين الفنتازى الذى لم يتحقق وجودة العلمى بعد ، فإن هناك رجالا آخرين فى هذا القرن يجمعون بين الفنتازيا والخيال العلمى مثل سوبرمان القادم من كوكب كريبتون ، وفلاش جوردن الذى يغامر فى الفضاء

دوما . والرجل الوطواط FLASH MAN والرجل العنكبوت SPIDER MAN والرجل السمكة FISH MAN . ورغم أنها جاءت من عالم الحكايات المرسومة . فأنه فى السنوات الأخيرة اعتبر أن هذه الحكايات هى لون جديد من الأدب المجسد . وأطلقت عليه تسمية الفن التاسع . وهى تصدر فى ألبومات تباع فى المكتبات ، وتلاقى إقبالا جماهيريا ، وسوف نتحدث عنها فى مكان آخر.

الفصل السابع

أدب الظواهر العلمية الخفية



أدب الظواهر العلمية الخفية

قد يبدو للقارئ لأول وهلة أن ماسوف نتحدث عنه فى هذا الفصل يبدو نشازا قياسا إلى موضوعنا الأساسى وهو الخيال العلمى. وأن ماسيجئ فيه ليس من الخيال العلمى. لكنه سوف يلاحظ أن أدباء هذا النوع من الأدب قاموا بعمل مزيج بين علوم العصر الحديث وفنون السحر المختلفة، أو التقمص، أو بقية الظواهر التى سوف نتعرض لها. وأغلبها ظواهر أيدها العلم وآمن بها، وإن عجز فى كثير من الأحيان عن إيجاد تفسير مقبول لها.

وقد سبق الأدب العلم فى استخدام هذه الظواهر فى موضوعاته المختلفة. إلا أنّ بعض الأدباء قد شطح بخيالاته أكثر مما هو مطلوب. وراح البعض الآخر يقنن هذه الظواهر علميا ويعطيها تفسيرات مقبولة مبررة تنفى عنها ميتافيزيقيتها وأعطاها قابلية للتصديق لدى هؤلاء الذين لايؤمنون بها. وهى ظواهر علمية اصطلح على تسميتها "**البارا سيكولوچيا**".

وفى السنوات الأخيرة تعددت الروايات التى تنتمى إلى هذا النوع، كما تشعبت داخل الأنواع الأدبية الأخرى، فامتزجت بالخيال العلمى والفنتازيا والميتافيزيقا والفلسفة وعلوم النفس والسحر والدين لدرجة أصبح من الصعب الفصل بينها الا بالرجوع إلى المواقف الصغيرة وتحليلها، مثلما يقوم العالم فى المختبر بعزل الموضوع المراد دراسته، ومتابعة تطوراته مع تثبيت العوامل الأخرى المقرونة به.

وقد برز هذا الأدب ووجد له جمهوره الواسع تبعا لانتشار هذه الظواهر. وأصبحت شعائره علنية اكتسبت شرعية ودخلت المختبرات المعملية. وأصبحت هناك مطبوعات متخصصة تصدر بصفة دورية فى كل أنحاء العالم- وبما فيه عالمنا العربى - منها المجلات والكتب، والدوريات والصحف الأسبوعية واليومية وبدأ العلماء فى شتى التخصصات - وهم فى الغالب أبطال هذا النوع من الأدب - يدخلون فى دائرة اهتماماتهم أدب الظواهر

الخفية مثل السحر والتقمص والتنجيم وطقوس عبادة الشيطان والأشراق والتخاطر والقوة الكامنة والمقدرة على تحريك الأشياء. ومارس هذه الأنواع المتعددة من الظواهر الخفية كل من علماء النفس والطب واللاهوت والاجتماع والإنثربولوجيا.

وزاد انتشار الجمعيات العلمية والأهلية التى تدرس هذه الموضوعات. وتنوعت فنون ممارسة الطقوس التى يمارسها أعضاء هذه الجمعيات من بدائية إلى استخدام العقول الإليكترونية وأجهزة الاختراعات الحديثة. بعض الجماعات تتناول هذه الظواهر من جانب دينى، أما البعض الآخر فقد ابتعد عن الدين قدر الإمكان لإثبات أنه لايوجد تعارض - أوحتى تقارب - بين تعاليمها وماجاء فى الكتب السماوية. بل إن التطرف قد وصل ببعض هذه الجماعات إلى حد عبادة الشيطان، أو تلك الأرواح الشريرة التى تتقمص الكثير من المخلوقات، وعلى رأسها الإنسان.

ويقول محمد الحديدى فى كتابه " **نماذج من الرواية العالمية** " إنه قد أنشئت كنيسة إبليس الأولى فى سان فرانسيسكو التى يحميها قانون ولاية كاليفورنيا. أنشأها سنة ١٩٦٦ مدرب حيوانات سابق يدعى أنطوان لافى. وتمارس فيها طقوس وعقائد واخلاقيات تعكس تعاليم المسيحية. فمثلا " طوبى للأقوياء فإنهم سيرثون الأرض "، " من ضربك على خدك الأيمن حطم فكه الأيسر". وينتمى لهذه الكنيسة عشرة آلاف شخص. كثيرون منهم من خريجى الجامعات يتقابلون فى ضوء القمر. ويخلعون ملابسهم و" تأخذهم الحماسة " فينهمكون فى رقصات شيطانية أو يغرسون الإبر فى عرائس على شكل أعدائهم. وفى شيكاغو يوجد معبد الطريقة الوثنية. وفى انجلترا تنظم شركة بان آمريكان للطيران دورة سياحية خاصة تتكلف ٦٢٩ دولاراً لمن يرغب حضور دورة تسمى الدورة الروحانية، تتضمن زيارة لمركز العلاج الروحى وجلسة تحضير أرواح . بل إن الحركة وصلت إلى انجلترا. وفى فرنسا تتحدث فى الإذاعة كل أسبوع عرافّة اسمها " مدام سولى " لتدلى بنصائحها لجمهور المستمعين. ويقال إن مايسمى " **القداس الأسود** " يعقد بكثرة فى باريس وليون. وفى ألمانيا يقدر عدد المنتمين للكنائس والعقائد الشيطانية بثلاثة ملايين، وعدد المتعاطفين معهم سبعة ملايين، وفى سويسرا - منذ سنوات قليلة - عانت فتاة حتى الموت عملا على طرد الأرواح التى تلبستها. وسنكتفى بأن نقول إن العقيدة تنقسم إلى أربع فئات رئيسية : الإبليسية وتدعو الإنسان إلى الالتزام بطبيعته

الحيوانية والتجرد من كل ماهو روحانى . ومن كل مايدعو لإنكار الذات . وهى ديانة مفادها العام أن الحيوانات أثرت فيه بأكثر مما يعرف هو. وهذه طائفة تتزعمها أمريكية أصبحت مليونيرة من هذا الطريق تدعى سيجل ليك ، تزعم أنها تنحدر من نسل للساحرات يرجع إلى سنة ١١٣٤ ، وهؤلاء يعارضون الإبليسية ويقولون بأنها هى الموت ، أما السحر فهو الذى يطيل الحياة ويحفظها . تأتى بعد ذلك النبوءة ، وهى التعرف على المستقبل والتحكم فيه ، بدلا من الرضا بالقضاء وهى الموضة القديمة . ثم الروحانية وهؤلاء يلجأون إلى الأرواح فى كشف خبايا الماضى والحاضر والمستقبل والعلاج الطبى ومحاربة الأعداء . و" لمثل هذه الأفكار آثارها العلمية والفكرية . فنى مجال الفكر يوجد فى سان فرانسيسكو أيضا المركز الميتافيزيقى ، ويحوى مكتبة وداراً لبيع الكتب ، ويقدر مايبيعه عن الغيب والعفاريت كل شهر بحوالى ٦٠٪ من رصيده الذى يبلغ ١٢٥ ألف دولار من المراجع " القيمة " . كما يعقد الدورات التدريبية فى تحضير الأرواح والتنجيم وبيع الملابس الخاصة بالجلسات والبخور والأعشاب والتعاويذ والأحجبة والكرات البللورية . وكل ألوان " العدة " [١] .

ونحن لن نتحدث هنا عن ظاهرات التقمص وحدها فى الأدب . ولكن حول العديد من الظاهرات الغريبة المتشابهة التى أكد العلم وجودها ، وإن لم يقدم تفسيرات أكيدة حول أسبابها مثل التخاطر TELEPATHY والتليكنسيس TELEKINSIS والاشراق SHINING والسحر وغيرها . وقد اختلطت ببعضها عند بعض أدباء هذا النوع الذى يعد امتدادا لأدب الخيال العلمى ، ونوعا تابعا له .

وقبل أن نتعرض لأهم الأدباء الذين برعوا وتخصصوا فى هذا الأدب يمكن أن نوجز السمات العامة له فى النقاط الآتية :

١ – نتيجة لتعدد وجهات النظر عند أدباء النوع ، فإن لكل كاتب منظوره الخاص لنفس الموضوع الأدبى . فقد اتفق الأدباء اليهود مثلا أن هناك عصراً قادما فى رواياتهم يسمى بعصر المسيح المضاد ANTI-CHRIST تسود فيه مملكة الشيطان التى تعمل على تدمير المسيحية إلى الأبد وظهور عصر جديد . وقد اصطلح على تسمية هذا العصر

---

(١) محمد الحديدى ، نماذج من الرواية العالمية ، كتاب الهلال ، العدد ٢٥٦ ، القاهرة ١٩٧٥ ص ١١٨ .

بابن الشيطان داميان DAMIAN . وفى عصرهم هذا سوف يسود الشر ويتحكم فى المخلوقات جميعا ، بشر وغير بشر.. ويرى إيراليفين مثلا أن الشيطان سيراعى دخول ابنه إلى مملكة الشر من خلال عملية اللقاء الجماعى بين امرأة أمريكية تدعى روزمارى وبين الشيطان نفسه. أما فى رواية " **النذير**" THE OMEN لدافيد سلتزر فإن أعوان الشيطان يقتلون ابن أحد الدبلوماسيين الأمريكيين لحظة ولادته ويضعون بدلا منه ابن الشيطان داميان الذى يبدو طفلا رقيقا لاشر فيه إلا عندما يتم الاحتفال بعيد ميلاده السادس ، بينما انتهت رواية " **طفل روزمارى** " ROSE MARY'S BABY باحتضان الأم لوليدها ذى القرنين الإبليسيين لأنه أولا وأخيرا ابنها.

٢ – الأطفال هم الأبطال الحقيقيون لكل هذه الروايات. فمقابل العالم البرئ الذى يعيش فيه طفل لم يعرف شرور العالم بعد. فإن هناك قوى شركامنة فى المكان الذى يعيش فيه هذا الطفل. وتتباين هذه القوى من عالم لآخر. لكن الشر الذى تملكه لاحدود له. وقد ارتبط كل طفل بالظواهر الخفية حسب نوع العلاقة. فداميان فى " **النذير**" هو ابن الشيطان يأتى إلى بيت الدبلوماسى الأمريكى كى يعمل على سيادة الشر فى العالم. فهو يقتل ويثير الفساد – بمعاونة مساعديه – دون أن يرتاب أحد فيه. فهو ملائكى العينين ، جميل المحيا ، هادئ الطباع ، إلا عندما يريد فيتحول كما يشاء. أما ريجان فى رواية " **طارد الأرواح الشريرة** " THE EXORCIST لويليام بيتر بيلاط فهى فى التاسعة من عمرها. تذهب مع أمها كرستين إلى ضاحية جورج تاون حيث تمثل الأم فيلما تدور حوادثه بالقرب من المنطقة. وريجان البريئة غاضبة دائما على أمها لأنها انفصلت عن أبيها. وتعتقد أن سبب هذا الانفصال هو مخرج الفيلم.. وقد تقمص شيطان شرير جسد وروح الصغيرة. لذا فانها تلقى بالمخرج من أعلى نافذتها وتلوى رقبته إلى الخلف. وحين يظهر الشيطان فى جسد الصغيرة تنبعث روائح كريهة. وتمارس العادات السرية بصليب. وحين تتكلم تخرج الضفادع من فمها. وهى تدعو كاهنا لمضاجعتها ، وتنعته بأقذر الألفاظ وأكثرها. ثم هى تقلب عينيها بشكل مخيف.

أما فى رواية " **أودرى روز**" AUDRY ROSE لفرانك دولافيلتا. فإن أودرى روز التى تموت وهى فى الثانية عشرة من عمرها تنسلخ فى جسد طفلة حديثة الولادة. على

حين أن الطفل فى رواية " **إشراق** " لستيفن كنج هو الوحيد القادر على رؤية مايحدث فى الفندق الكبير المهجور خلافاً الكبار. وفى رواية CUJO لكنج أيضا حدث تقمص لطفل صغير من طفل آخر مات قبل مائة وخمسين عاما .. وهكذا الكثير من الأمثلة.

ويتعمد المؤلفون أن تحدث شرور هذه الظواهر لأطفال لزيادة جرعة التعاطف مع عالمهم وجذبا للإثارة المقصود منها كتابة أغلب هذه الروايات.

٣ - رجل الدين هو الشخص الوحيد القادر على رد الشر أو إذابته من الوجود. وهو فى أكثر الأحيان يقوم بطرد هذه المخلوقات الشريرة من جسد الطفل المتقمص أو يقوم بالتصدى لابن الشيطان. ففى " **طارد الأرواح الشريرة** " تذهب الأم كرستين إلى جامعة جورج تاون لتستعين بالأب داميان كراسDAMIAN CRASS لعلاج ابنتها ريجان من الحالات التى تنتابها وهو طبيب نفسى يمثل العلم والدين مجتمعين وعلى دراية بعلم النفس وخفايا التقمص. وهو يعرف أن الإنسان طالما خلط بين الأمراض التى تسببها الجراثيم أو اضطرابات عصبية وبين الأعراض الناجمة عن التقمص والظواهر الخفية. وهو عندما يدخل المنزل يثور الشيطان وتنطلق شتائمه عبر لسان ريجان. ومايكاد يدخل غرفة الصغيرة حتى تفوح منها روائح عفنة ويغمرها برد هائل، ويقول الشيطان بلسانها "كنت أنتظرك يا كراس ! ".

ويستحضر الشيطان لكراس روح أامه. فهو يحس بلمساتها على رقبته ويسمع صوتها الذى يعرفه جيدا، ولهجتها وعباراتها تخرج من حنجرة ريجان. ويستحضر الشيطان هذه الروح كى تؤنب الأب كراس لأنها كانت عاهرة، ولأنه أسلمها للفقر حين اختار الرهبنة بدلا من الطب. ثم هو حين يحضر مرة أخرى مع الأب ميرين MERIN يستعد هذا الأخير لإجراء طقوس طرد الروح من جسد الصغيرة. ثم يموت أثناء ممارسة هذه الطقوس.

أما الأب ميرين الذى استعان به كراس فقد سبق أن طرد الشيطان من عدة أجساد وهو ينذر حياته لمطاردة الشيطان أينما يحل. وعندما يرى ميرين كراس ميتا يفقد اتزانه وينسى تعاليم الطقوس التى تقضى ألاّ يدخل فى نقاش مع الشيطان فيسب هذا بكلام

بذئ ، ويقول له إنه لايمتلك سوى أن يتقمص الصغيرات . ويحدث اتفاق بين الإثنين على أن يترك الشيطان جسد الصغيرة مقابل حياة الكاهن الذى يموت ميتة غامضة .

ورجل الدين أيضا هو الذى ينبه إلى الشرف " **النذير**" فهو الذى يحاول إقناع السفير روبرت أن يوافق على أخذ طفل جديد بدلا من ابنه الذى ولد ميتا ، وذلك دون علم الزوجة . كما أن هناك قسا آخر يكتشف علاقة داميان بالشيطان . فيسعى لإقناع روبرت بذلك ويخبره أن عملية التبادل التى تمت فى المستشفى قد تمت من رجل دين مزيف . وفيما بعد يموت القس وسط عاصفة قدرية تتسبب فى كسر مانعة الصواعق وسقوطها عليه .

وفى رواية " **المحرقة** " HOLOCAUST لسروجيو دوناتى SERGIO DONATI ينبه رجل الدين أيضا أن هناك شرا يحيط بهذه الحوادث . وهو الذى يكشف علاقة الأرقام بكلمة JESUS وهو الذى يساعد مستركين KEAN على محاولة إجهاض زوجته التى تحمل جنينا شيطانيا ، وهذا القس يموت محترقا فى الطائرة المتجهة به إلى جنيف لحضور مؤتمر ينبه فيه إلى هذه الظاهرة .

٤ – يلجأ طارد الأرواح الشريرة دائما إلى الشرق كى يتعلم أسلوب التصدى للشيطان أو هو أساسا رجل درس الكهنوت فى الشرق . ففى " **طارد الأرواح الشريرة**" سافر الأب ميرين إلى العراق لدراسة الحفريات وطقوس طرد الشيطان لدى أقوام مابين النهرين ، حيث يرى أن عملية تقمص الشيطان للإنسان وطرده قد جاءت قبل الأديان السماوية . وقد آمن بها الأشوريون والآرام والكلدانيون . كما أن قدماء المصريين كانوا يعتقدون أن احتلال الروح الشريرة للإنسان بسبب المرض والاضطرابات . وكانوا يطردون الشيطان من جسد الطفل بهذه التعزيمة : " اخرج من هنا أنت أيها القادم من الظلام يامن انفه منثن لأسفل . ووجهه معكوس للخلف . هل جئت لتقتل طفلى؟ لن أسمح لك " .

وفى رواية " **النذير**" عندما يتأكد السفير روبرت أن طفله داميان هو ابن الشيطان فأنه يذهب برفقة المصور حانجنج إلى روما لمعرفة سر ابنه الذى مات . ثم إلى اسرائيل لمقابلة القس الذى أقنعه أن يتبنى طفلا جديدا ، ويجد هذا القسيس فى حال أقرب إلى الموت .

فيتجمد جسده عدا أطرافه التى تساعد روبرت آن يتصل برجل يعرف سر التصدى للشيطان. هذا الرجل يخبر روبرت بأن فى رأس ابنه علامة معينة تؤكد بنوة هذا الطفل للشيطان. كما أنه يعطيه خنجرا مقدسا لايموت داميان إلا به.

أما الكهف الذى نقشت عليه كلمة JESUSفى رواية " **نهاية العالم** " فإنه يجاور المنطقة التى سيقام عليها مشروع نووى وتتعلق به أساطير عديدة، منها أنه كان يأوى المسيحين الذين تعرضوا للتعذيب فى عصور المسيحية الأولى.

٥ - يقوم بخدمة الشيطان عامة مجموعة من المخلوقات المتباينة التى يسيطر عليها الشر، فيدفعها إلى أن تساعده فى تحقيق أهدافه، سواء كانوا من البشر أو الحيوانات. فهناك كلب شرس يقوم بدفع الأذى عن داميان. وهو يلازم المربية الشيطانية التقمص التى حلت محل مربية منتحرة ويساعدها فى حماية الطفل. وحين يذهب داميان إلى حديقة الحيوان تهب الحيوانات من أماكنها وتتحرك فى ثورة وجنون. ويمكن للشيطان أن يصنع الريح لتقتل خصومه، كما أنه يدفع بسيارة ضخمة إلى الانزلاق إلى الخلف لقطع رأس المصور جانجنج. وقد تملكت هذه الظواهر الأب جاك تورانس فى " **إشراق** " فدفعته إلى قتل ابنه وزوجته.

٦ - يختلط الواقع بالخيال بالحلم بالمنطوق العلمى فى هذه الروايات، حيث تمتزج أزمنة كثيرة بأماكن متعددة من الصعب حدوث الفصل فيما بينها. فأجواء الخوف والهلوسة التى تعلو الغرف الضيقة فى " **طارد الأرواح الشريرة** " ليست دربا من الخيال بقدر ماهى طفو نوع من الانفعالات الجوانية عند الأشخاص الذين يتعرضون لهذه الظواهر الخفية. أما المسافات بين الأزمنة والأمكنة فى رواية " **إشراق** " فإنها تتحطم تماما وتختلط فيما بينها، فيغدو جاك تورانس رجل السبعينات أيضا أحد الذين سبق لهم أن عاشوا قبل خمسين عاما فى نفس الفندق، وأصيب بنفس الحالات الهلوسية. وتتحول ردهات الفندق الواسعة إلى رؤى من بحور الدماء والدميات السابحة فيها والأطفال الجامدى الحس، والابن الذى يمكنه أن يرى أبعد من مدى البصر الطبيعى. وفى رواية POLTERGIEST تدخل الصغيرة إلى جهاز التلفاز وتختفى داخله ولانسمع منها سوى

صوتها الذى يهتف دوما لوالديها أن ينقذاها من هذا العالم الذى دخلت فيه عن غير ارادتها.

٧ - عملا لكسر الرتابة التى يعيش فيها إنسان العصر فإن مؤلفى هذه الروايات يتفننون فى صنع أجواء مثيرة للخيال والمشاعر والأعصاب، ويجعلون القارئ فى حالة توتر دائم وهو يتساءل عما يمكن أن يحدث لأبطاله، وغالبهم من الأبرياء.. وأيضا من الأطفال كما أشرنا. لذا فرغم ضخامة أحجام هذه الروايات فإن الإقبال على قراءتها كبير للغاية.. وعملا بمبدأ المنافسة الذاتية أو منافسة الآخرين فإن أصحاب هذه الروايات يضعون فى كل عمل جديد كل مايمكن أن يحدث تأثير الجاذبية لدى القراء.. فبعد أن لفظت الطفلة ريجان الضفادع من فمها، وراودت القس عن نفسه لمضاجعتها، فإن سلتزر يصف فى روايته "**النذير**" كيف قطعت رأس المصور نجنج فى حادث وحشى بدا عرضا.. وبينما تتعدد حالات القتل فإن انتظار القتيل القادم يتطلب إثارة أكثر وبشاعة وعنفاً أشد.

٨ - مع وجود رجال الدين كشخصيات رئيسية فى هذه الروايات ونتيجة لارتباط الظواهر الخفية بالأديان جميعها - بما فيها الأديان غير السماوية - فإن هذه الروايات تمس الأديان سواء عن طريق مباشر أو غير مباشر. فلايمكن القول إنها روايات ضد الدين، بل يؤكد الكثير من النصوص السماوية التى تنص على وجود الشيطان الرجيم، والوسواس الخناس، ولذا فهذه الروايات مليئة برجال يمثلون الدين والخير والنقار. ورغم ارتباط بعض رجال الدين بالحياة فى بعض هذه الروايات، فإننا يجب أن نتنبه إلى أن أكثر الكتاب الذين تعرضوا لهذه الظاهرة هم من اليهود مثل دافيد سلتزر وايرا ليفين وستيفن كنج. والمخرج السينمائى ستيفن سيلبرج الذى كتب الكثير من هذه الروايات بعد أن حولها إلى أفلام كما سنرى فى نهاية الفصل.

وإذا كان اليهود فى أغلب رواياتهم يصنعون أجواء دينية مقدسة قدر الأمكان عن عالمهم الخاص[٢]، فإنهم يؤثرون أن يتناولوا العالم المسيحى وحده فى الروايات الخاصة بالظواهر الخفية. ففى "**طفل روزمارى**" نرى الزوج بروتستانتى المولد لكنه على غير

---

(٢) راجع ماكتبنا من السمات العامة للروايات اليهودية فى كتابنا "**الرواية اليهودية الحديثة فى الولايات المتحدة وفرنسا**" الدار العربية للكتاب - طرابلس - ١٩٩١.

عقيدة . أما زوجته روز ماري فهي كاثوليكية غير متدينة خلافا لأسرتها التى انتبذتها نتيجة لزواجها من رجل بروتستانتي .

أما الطبيب الذى يرعى روز مارى أثناء الحمل فهو يهودى. والعالم الذى يحيط بالأسرة الصغيرة يتسم بالغرابة . فالجيران يعبدون الشيطان ويتصلون به . وهو يدفعهم إلى استمالة روز مارى وزوجها ومحاولة التأثير على هذا الأخير كى تتم عمليتا الحمل والولادة . وقد عقد محمد الحديدى مقارنة بين رواية ليفين والفيلم الذى أخرجه رومان بولانسكى - وهو أيضا يهودى بولندى - عام ١٩٦٩ قائلا : " إن المؤلف حاول إيهامنا أنهم فعلا حملوا روز مارى إلى الشقة المجاورة عبر دولاب الحائط الذى يفتح سرا ، وهى ليست مخدرة تماما لأنها لم تأكل الفأر كاملا ، ثم وقفوا عرايا يتفرجون عليها وهى تحمل من إبليس ، أو من زوجها متلبسا وهم يقومون بالطقوس كاملة " .

كما يقول إن " المؤلف لايذكر شيئا عن فكرة الرواية ، ولايلمح إلى قضية الخير والشر. ويكتفى للمقابلة بين قصته وقصة مولد المسيح عليه السلام بالتشابه فى الأسماء كروز مارى ، وجاى وودهارس وهو أمركة " لما يشبه يوسف النجار" . وتقول مينى لروز مارى " إنه قد اختارك لتكونى أما لابنه الحى . وغير ذلك من الإيحاءات "[٣] .

أما الاب كراس فى " **طارد الأرواح الشريرة** " فقد اتجه إلى اللاهوت تاركا الطب ضاربا بكلام أمه عرض الحائط فى أن يكون طبيبا . وتدفع الأم ثمن ذلك حيث تموت معدمة ومريضة بالسرطان دون أن تعالج علاجا كافيا . ويتعذب كراس دائما من هذه الواقعة . كما أن الأب ميرين يترك طقوس الشعوذة جانبا وهو يمارسها ليطرد بها الشيطان كى يدخل معه فى حوار شخصى خارج عن الدين . وهناك ارتباط بين العديد من حوادث الفيلم وقصص الإنجيل مثل تفسير موت الكاهن بتفسير موت الخنازير فى الكتاب المقدس . والقس هنا انسان عادى يدخن ويشرب الويسكى . بل قد تكون له رغبة فى الجنس والزواج مثل الأب لومانت الذى يعلن أنه يرغب فى أن يتزوج ويمارس إنسانه العادى .

---

(٣) محمد الحديدى ، نماذج من الرواية العالمية ، كتاب الهلال ، العدد ٢٥٦ ، القاهرة ، ١٩٧٥ ص ١١٨ .

أما داميان فى رواية "**النذير**" فإنه عدو للكنيسة . حيث يغلق عينيه عندما يراها . ويقوم بتصرفات عنيفة والسيارة تقترب به منها . فيحاول عض أمه ودفع أبيه ليضطرهما إلى الرجوع عن زيارة الكنيسة . أما القس فيضع على الحائط مجموعة كبيرة من الصلبان متباينة الحجم والأشكال . وحين يزور المصور بيته بعد مصرعه يرى أنه كان يصنع هذه الصلبان لدرء روح الشر أكثر منه قوة إيمان .

أما أم كارى فى رواية "**كارى**" لستيفن كنج فإنها امرأة شبقة الحس . تلجأ إلى الدين بعد أن هجرها زوجها ، وهى لاتعرف عن هذا الدين سوى بعض المعلومات السطحية . وتردد تعاليمه بصورة ساذجة . وهى كاثوليكية متعصبة . تحاول ان تزرع فى قلب ابنها مفهوما أن الحب خطيئة وأن الجنس آثم .

تلك هى أهم السمات التى تتسم بها روايات الظواهر الخفية والتى تعد امتداداً لأدب الخيال العلمى . وقد حاولنا أن نضعها قبل حديثنا عن أهم الروائيين الذين شغفوا بهذه الظاهرة . لعل أهمهم وأكثرهم شهرة هو ستيفن كنج .

ولد ستيفن كنج واسمه بالكامل ستيفن راشيل كنج STEPHN RACHEL KING فى أسرة يهودية بمدينة بورتلاند بمقاطعة مين MAIN الأمريكية فى عام ١٩٤٦ . يعمل حاليا مدرسا فى جامعة مين مع زوجته تابيتا . وهو من الذين يضعون ستارا غامضا على حياته الخاصة ، إلا أنه يؤكد أن العلاقة المتوترة بين والديه دفعته لرؤية أفلام الرعب . باع مجموعته القصصية الأولى إلى مجلة STARLLING MYSTERY STORIES فى الفترة الأولى من عام ١٩٦٠ ثم نشر روايته الأولى "**كارى**" CARRY عام ١٩٦٧ التى دفعه نجاحها إلى كتابة روايات أخرى تنتمى إلى نفس النوعية . من أهم هذه الروايات "**ساحرات ساليم**" SALEM'S LOT ، "**إشراق**" THE SHINING "**ومنطقة الموت**" DEAD ZONE ، عين القط CAT'S EYE ، الصامد THE STAND ، الرصاصة الفضية SILVER BULLET ، مشعلة النيران FIRE STARTER ثم "**كرستين**" CHRISTINE وأعمال أخرى كثيرة .

فى روايته "**كارى**" يتناول الكاتب ظاهرة أثبتها العلم توجد فى بعض البشر تسمى بالقوى الكامنة أو التليكنسيس TELEKINSIS وهى قوى تكمن فى أصحابها بحيث

تجعلهم قادرين على تحريك الأشياء التى أمامهم بمجرد أن يركزوا تفكيرهم عليها . فهم قادرون على تحطيم الأشياء – خاصة الزجاج – بمجرد النظر إليها ، وإدارة أشياء يمكن لإدارتها كالمراوح الصغيرة .

يحاول ستيفن كنج الاستفادة من هذه الظواهر التى لاينكرها العلم بأن يجعلها تكمن داخل فتاة صغيرة بلغت سن الأنوثة منذ أيام قليلة تدعى كارى . هى فتاة بريئة لاتعرف كيف تتعامل مع الأشياء . تعيش بين عالمين لايمكنها أن تتكيف معهما بسهولة . أمها المتزمتة التى وجدت فى التدين ملاذا طيبا للهروب من تجربتها الفاشلة مع زوجها . وعالم المدرسة الملئ بفتيات عديدات فى مثل سنها الحرج . يسخرن منها دوما . من خجلها وانطوائها . لاتعرف أشياء كثيرة عما يحدث للفتيات فى هذا العمر . لذا فهى تصدم بشدة حين تشعر بالدماء تتساقط بين فخذيها لأول مرة فى حياتها . تصرخ وسط زميلاتها اللائى تستغللن هذا الحادث لزيادة السخرية منها ، أو التندر عليها .

وتكمن داخل كارى هذه القوى الخفية التى ظهرت لأول مرة حين أرادت الانتقام من ناظرة المدرسة عندما حاولت التهكم على اسمها . كما برزت حين أرادت النيل من زميلاتها فنظرت إلى المصباح فتهشم على الفور.

وإذا كانت هذه هى المعاناة التى تعيشها كارى فى مدرستها ، فإن أمها امرأة غير سوية تضربها أحيانا وتعنفها فى أحيان أخرى . تحاول أن تفرض عليها سلوكا معقدا . فهى تطلب منها ان ترتدى ملابس لاتكشف شيئا من جسدها . وتأمرها أن تقرأ التراتيل مبتورة ، وأن تعترف باشياء لم ترتكبها . ولاتعرف كارى أن أمها قد أصيبت بهوس جنسى بعد أن هجرها زوجها ، وأنها حاولت أن تخفى مايعتمل فى جسدها من رغبة . فلجأت إلى التدين بطريقة سطحية جعلتها تردد من تعاليم الدين قشوره دون لبابه : وهى لاتجد أمامها سوى ابنتها التى تمارس عليها كل شعائرها وتُنفس فيها عقدها النفسية ، فهى تحدثها دائما أن الحب خطيئة كبرى لايقرها الدين وأن الجنس دنس آثم .

وشتان بين أم ضغطت عليها تجربة قاسية فجعلتها تنظر إلى الأشياء بمنظور سوداوى ، وبين فتاة صغيرة متوسطة الجمال ، تتسم بالحياء وتعيش بين تلميذات يعرفن أشياء كثيرة ، وتريد أن تتفتح مثلهن على الحياة . ووجود مثل هذا التضاد بين المرأة وابنتها يكشف عن

صراع واضح بين الإثنين. فكارى تحب زميلها الوسيم الذى ينظر إليها كطفلة صغيرة، لكنه مشغول بحب فتاة أخرى تدعى سو.

يحاول الزملاء السخرية من كارى، فيقررون أن يجعلوا من مشاعرها تجاه تومى مادة للتندر إبان الحفل الذى تقيمه المدرسة. يخبرون الفتاة أن تومى يحبها وأن سو بالنسبة له ليست أكثر من زميلة، وأن على كارى الاهتمام بأنوثتها، وأن ترتدى أجمل ملابسها حين تحضر الحفل.

إلا أن الأم، مرجريت، ترفض ذهاب ابنتها إلى الحفل. فهى لاتميل إلى مايفعله الصبية والبنات فى مثل هذه الأجواء. فتحدث مواجهة دامية بين كارى وأمها تذهب على إثرها إلى الحفل وقد بدت فى أحلى صورة لها. أصبحت فتاة أخرى تختلف. إنها الآن أكثر جمالا من سو. ومن زميلات كثيرات فى الحفل. يقابلها تومى بكل حب فيراقصها وسط الآخرين. إنه يعرف مادبره الآخرون من مقالب للفتاة ويكتم فى داخله ضحكة لايقدر على البوح بها الا مع الآخرين، حين يقف إلى جوارها فوق المنصة وهى تستلم جائزة أحسن تلميذة. فيسكب عليها الزملاء وعاءً مملوءاً بدم الخنازير القانى. يغرق الجميع فى الضحك عدا زميلتها سو وتقف كارى وقد اعتراها الغضب والحزن. إنهم يسخرون منها دوما. فجأة تثبّت عينيها على أشياء كثيرة حولها. فحين تنظر إلى الابواب تنغلق من تلقاء نفسها وتتحرك رشاشات المياه تلقائيا كى ترش مياها قوية تجاه الحاضرين. ثم تتوقف المياه ويتحول المكان إلى كتلة من الجحيم تشتعل فيه النيران. يسود الحفل الصراخات بعد الضحكات. فيحاولون الهرب .. لكن الوحيدة التى خرجت مع كارى صديقتها سو.

عادت إلى منزلها وقد لُفعت جميعها بدماء الخنازير. هال الأم المنظر. وبدلا من اللحاق لنجدة ابنتها وغسلها من هذه الأدران، إذا بها تغرس سكينا فى ظهرها ظنا منها أن كارى قد ارتكبت الخطيئة إبان الحفل. لكن كارى تحاول استخدام قوتها الخفية فى الانتقام من أمها فتثبت عينيها على درج السكاكين فى المطبخ، وهو ما يجعلها تنطلق من مكانها كى تغرس فى ظهر الأم.

هذه العلاقة الغريبة بين أم وابنتها أصبحت مألوفة فى كل روايات ستيفن كنج، فها

هى مرجريت تقتل ابنتها التى تقضى بدورها على أمها . ولم نر قط أى حدود للتفاهم بين الأم والابنة . رغم أن مرجريت ليس لها من الأبناء سوى كارى ، فإنها تمارس عليها كافة ألوان العقد الكامنة فى داخلها . وسنرى أنه بنفس السكين الذى غرسته فى ظهر ابنتها قد طارد جاك تورانس ابنه وزوجته فى رواية "**إشراق**" . هذه الرواية ترجمت إلى اللغة الفرنسية فى يوليو عام ١٩٧٩ بعنوان" **الطفل الضوء** " L'ENFANT LUMIERE وفى نفس العام كان المخرج الانجليزى ستانلى كيوبريك قد انتهى من إخراجها فى هوليوود فى فيلم سينمائى لاقى نجاحا فى كل مكان عرض فيه .

ولم يختلف الفيلم الذى أخرجه كيوبريك كثيرا عن رواية كنج . فهذا الأخير قادر على صناعة أجواء أكثر إثارة من تلك التى صنعها فى روايته السابقة "**كارى**" فإنه فى هذه الرواية يتناول ظاهرة علمية لاتزال قيد البحث العلمى هى الإشراق SHINING وجعل الطفل دانى أحد الذين يتمتعون بها . ودانى هذا يعيش مع والديه فى فندق معزول عن العالم لمدة ثلاثة أشهر. وهو قادر على رؤية أشياء غريبة حدثت فى الفندق منذ سنوات سابقة ولايقدر على رؤيتها أحد سواه . فالفندق بالغ الاتساع . به متاهات متعددة لا أول لها ولا آخر. تحوطه حديقة كبيرة تسمى بالمتاهة لكثرة مابها من طرق متشابكة يصعب الخروج منها .

ودانى الذى وجد نفسه محبوسا فى قصر كبير مع والديه ، يشاهد دائما من خلال إشراقه أشياء كثيرة تحدث فى الماضى والحاضر والمستقبل . وهذا الإشراق موجود عند الأب جاك ولكن بنسبة أقل . كما أنه موجود عند حارس القصر العجوز الذى يعرف الكثير دون أن يبوح به . وسوف نرى أنه مثلما قتلت كارى أمها ، فإن دانى يساعد أمه فى التخلص من أبيه الذى أصابه مس من الجنون . لقد جاء جاك تورانس إلى هذا الفندق لحراسته إبان فترة البيات الشتوى الطويل الذى لايأتيه زوار جدد . وعلى جاك أن يقوم بتأليف روايته الذى تعثر كثيراً فى كتابتها . يقول له مدير الفندق : " الحارس الذى عمل قبلك فى هذه الوظيفة انتابته حالة من الجنون . فقتل زوجته وابنتيه ببلطة وقطع أجسادهن إلى قطع صغيرة ثم أطلق الرصاص على رأسه " .

ومع مرور الوقت يصبح جاك نسخة مماثلة لهذا الحارس. فيصاب بنفس الحالة

الجنونية التى تدفعه إلى التخلص من زوجته وابنه. لقد أصبحا شاهدين على جنونه وماضيه. هناك فى قاعة الاحتفالات الكبرى بالفندق يقبع شبح رجل يحاول أن يقنع جاك بالتخلص من أسرته مثلما فعل الرجل الذى يشبهه فى الصورة المعلقة على الحائط.

هناك أشياء عديدة تحدث للرجل وابنه. كل منهما على حدة. ولانعرف هل تدور داخل رأسيهما أم أنها أشياء حقيقية؟ يرى جاك امرأة جميلة فى نفس الغرفة التى حدثه ابنه أنه رأى بها أشياء غريبة. تخرج المرأة البالغة الحسن من البانيو وتقترب منه وتحتضنه لكنها فجأة تتحول إلى عجوز شمطاء تضحك ساخرة منه. كما أن لقاءه بالعديد من رواد المقهى فى القاعدة الباردة قد تم داخل رأسه. خاصة هذا اللقاء الذى أشرق فى ذهنه فكرة التخلص من زوجته وابنه دانى.

أما دانى فهو يرى طفلتين تلهوان فى الردهة الطويلة التى تتحول فجأة إلى بحيرات منهمرة من الدماء. وهو يرتبط بصداقة قوية مع الخادم الزنجى هاللوران الذى يشعر بما سيحدث لأفراد الأسرة داخل الفندق وسط الجليد. لذا فإنه يحاول إنقاذ دانى وأمه من بين براثن أبيه حين ينتابه الإحساس أن عليه التخلص من كل من بالفندق. فيدفع هاللوران حياته ثمنا لهذه المحاولة.

وجاك الذى يفشل فى كتابة جملة واحدة من روايته يقرر أن يكتب قصته هو ببلطة حين يقرر التخلص من أسرته. حين يلمع الإتشراق داخله فيتحول إلى حالة من الإظلام أو DARKING التى عليها أن تطفئ كل الأضواء من حولها. وهذا التحول الذى أصاب جاك يجئ تدريجيا ويصل إلى درجة إقتناعه أن عليه إسالة الدماء بكل ثمن، فيهاجم امرأته وابنها ويحاول خنقهما إلا أن الزوجة وندى تأخذ ابنها وتختبئ داخل المطبخ. فيندفع الأب لتحطيم باب المطبخ ببلطته الضخمة. وعندما ينجح فى ذلك يكون الهلع قد دفع وندى إلى أن تهرب مع ابنها إلى خارج الفندق حيث عاصفة جليدية تهب عنيفة. ولأن جاك قد قرر أن يستكمل مهمته التى أوحت بها خيالاته السقيمة فإنه يطاردهما عبر متاهة الحديقة. وتنجح فى الهروب بسيارة هاللوران مع ابنها ويتجمد جاك تورانس وسط الجليد.

يقول الناقد الفرنسى جاك كابو إنّ " المؤلف يخلط الرعب بالخوف دون أن يحطم

المفاجأة. بمعنى الهجوم الممتع للتهديد بالمجهول. ويعنى الرعب ظهور تنافر الأشياء عندما يجن الأب. فينفرج الستار عن الموت كاشفاًالعفونة وهى تمد يداها نحو الطفل تعانقه داخل مقبرة واسعة. ففى كل غرفة تختفى الإثارة وتكشف عن قسوة الحدث الذى لانهاية له، حيث يخرج الأحياء الموتى كى يرقصوا. إنه الموت الأحمر الذى لانعرفه إلا من خلال إدجار الن بو".

" فنحن نسير، لأننا لانعرف قط إذا كانت آراء الطبيعة توحى بمسيرة الحياة اليومية، أم أنها ليست سوى هلوسات الوعى لرجل مخمور. وإذا كان هذا ليس سوى الموتى والأحياء. الذى يتواجهون حول لحم البرئ، فان الابن والأب يمثلان- حسب التقاليد الأمريكية - الخير والشر ونشعر بالأسف للنهاية التى يتم فيها إنقاذ امرأة وابنها من جنون الأب " [٤].

أما كيوبريك فيقول عن هذا النموذج من الأفلام والكتب : يجب ألا نبحث عن تفسير الأشياء بشكل كلى يبعث على الرضا. علينا أن نسعد ونحن نضع الشر فوق رءوس الآخرين. وفى النهاية هناك مشهد يبين أن مجئ جاك إلى هذا الفندق، قد يكون صورة لحياة أخرى. هناك إحساس ما داخله مثلما حدث وهو يتكلم مع عامل البار الشبحى. وحدثه أنه حارس الفندق الأبدى".

فى رواية "**كوجو**" يتناول ستيفن كنج نفس العالم ايضا من خلال اطفال لم يبلغوا بعد سن النضج العاطفى. ولعل المؤلف - او ربما الناشر- يميل إلى احداث الاثارة على مثل هذا النوع من الكتب. فيقدم على غلاف الكتاب مجموعة من العبارات تساعد على تخويف القارئ وارعابه قبل ان يبدأ فى القراءة. وهنا نرى اسرة صغيرة تتسم ايضا بانها مترابطة مثل اسرة تورانس قبل الحضور إلى الفندق .. وعماد هذه الاسرة هو الابن كوجو الذى يناهز العاشرة [٥].

وكوجو مصاب بظاهرة أقرب إلى التقمص REINCARNATION حيث تنتابه حالة من الصرع أثناء غياب مدرسيه. وعندما يطارده الكلب المسعور فى سيارة مغلقة

---

(4) L'enfant Lumiére. Jacques Cabu. L'express, 24 Sep. 1979, p39.

(5) Ibid.

وسط صحراء قاسية تنتابه حالة التقمص خاصة أن فترة انتظار النجدة تطول إلى ثمان وأربعين ساعة.

أما روايته " **الوباء** "LE FLEAU فهى أقرب إلى أدب الخيال العلمى منه إلى أدب الظواهر الخفية. ويعود فيها الكاتب إلى قرن مضى. إلى عام ١٨٨٢. حين غزا الوباء شوارع مدينة نيويورك حيث وصلت نسبة العدوى إلى ٩٩,٤٧١٪. هناك السيارات القديمة المكدسة فى الشوارع. زنزانات من الحديد مغلقة، وقد حبست داخلها الضحايا وسط عفن مرضى الطاعون الأسود.

ولارى اندروود LARRY UNDER WOOD يمكنه أن يرى النظرة الشرسة لجنود الحرس الوطنى. إنه يراهم يضربون الفارين الذين يحاولون الهرب من مدينة الموت. إنها أزمنة الهلوسة. لم يعد هناك سوى صراخ النسوة الباكيات على موتاهن.

نيويورك هى أهم مدن الولايات المتحدة، قد أصبحت مسرحا دمويا تهرب إليه المخلوقات المحدبة العمياء التى بدأت تتدفق من فجوات مفتوحة فى باطن الأرض. وفجأة يظهر رجل بلا وجه يرتدى حذاء طويلا. يسير فى الشوارع. لعله مخلص جديد يبحث عن الباقين على قيد الحياة وهم قليلو العدد، وعن ظلال غروب المدينة، فيجمعهم ويعلن نفسه ملكا عليهم وتبدأ مملكة جديدة..

وقد عاد كنج إلى ظاهرة التليكنسس مرة أخرى فى رواية " **مشعلة النيران** " FIRE STARTER – أو شارلى حسب ترجمتها الفرنسية – يتحدث فيها عن الطفلة شارلى وهى فى الثامنة من عمرها، التى يطاردها أطفال ويسخرون منها. فتصبح عدوة الشعب رقم واحد. ويكفى أن تنظر إلى شرطى كى تشعل النيران فيه. وعندما تمر من الفناء فإن الديكة تتصايح كأن نيرانا مرت إلى جوارها. وعندما تتأمل إحدى السيارات تنفجر. لقد ازداد عدد ضحاياها، قيل إن شارلى قد ولدت هكذا بعد أن قام أحد العلماء المجانين بحقن والديها بحقنة غامضة، فعندما ولدت وكانت ترغب فى الطعام فإنها كانت تبكى وهنا تحرق بعينيها الدمية التى أمامها.

لذا فإن أمها تعيش فى حياة حذرة مليئة بالقلق. فهى تفتح الأبواب وتغلقها وهى على مسافة منها. وهى امرأة أوقعها القدر فى أسرة غريبة. فإذا كان لابنتها القدرة على

إضاءة وإطفاء التلفاز بنظرة واحدة ، فإن لزوجها القدرة على شفاء المرضى من أعتى الأمراض خاصة السرطان ؛ وذلك بمجرد التركيز بعينيه على مكان المرض.

لهذه الأسباب أرادت وكالة الاستخبارات الأمريكية CIA ووكالة ناسا NASA لأبحاث الفضاء أن تستفيد من هذه الظاهرة ، وأن تدرسها فى العمل. فشارلى ظاهرة أخطر من القنبلة الذرية. هذا الأمر يدفع العالم أندريه دوتيل ANDRE DHOTEL إلى مراجعة كتبه القديمة لمعرفة سر هذه الظاهرة.

يتحدث ستيفن كنج عن علاقته بأبحاث الظواهر الخفية والعلوم قائلا : اتهمت من الأمريكيين أننى استخدم العديد من الأسماء المستعارة. جزء من هذا الاتهام صادق. إلا أننى درست الكيمياء والفيزياء ، وهو ما دفعنى إلى كتابة مايسمى بالفنتازيا المستمرة مثلما فعل آرثر كلارك. أنا لا أستطيع الحديث عن الكتب السوداء أو الاحتمالية العلمية. أنا مثل برادبورى لأكثر اهتماما بالأشخاص[٦] .

أما ويليام بيتر بيلاط WILLIAM PETER BLATTY فهو أول من سبق أقرانه فى هذا النوع من خلال رواية وحيدة من النوع لم يكتب غيرها. وهو كاتب سيناريو وروائى ومخرج سينمائى. وهو من أصل لبنانى. كتب كتابا بعنوان "**أم لبنانية فى الولايات المتحدة**" ثم جاءت روايته الثانية "**طارد الأرواح الشريرة**" THE EXORCIST ، وفى السنوات الأخيرة أخرج بعض الأفلام التى لم تحقق أى نجاح. وبيلاط مثل كل أدباء النوع يميل إلى أن يجعل أبطال قصصه من الأطفال الصغار. فى روايته هذه نرى ريجان فتاة فى العاشرة من عمرها ، تعيش مع أمها الممثلة الشهيرة كرستين المطلقة من زوجها. ويهمنا أن نشير أن المؤلف قد ذكر فى حديث له بمجلة PHOTOPLAY أنه استوحى هذه الرواية من حياة الممثلة المعروفة شيرلى ماكلين. وتعيش كرستين مع ابنتها مؤقتا فى منزل بضاحية واشنطن قريبا من جامعة "جورج تاون" ، حيث تمثل الأم فيلما تدور أحداثه هناك.

فى الليل تسمع كرستين أصواتا فى غرفة ابنتها أشبه بصرير الفئران. تدخل الغرفة

---

(6) Imostri Del Scolo, Excu Cusivo Stephen King, L, Esspresso, Io Novembre 1985 P. 140.

لتطمئن على أن حركة الفئران لم توقظها. فتفاجئ أن جوا من البرد المقيت يغمرها، رغم ان جهاز التكييف يعمل بطريقة طبيعية. وتتكرر مثل هذه الظواهر الغريبة؛ خاصة أن ريجان تبدو دائما حزينة وشبه مريضة.

وفى ليلة عيد الميلاد تتصرف ريجان تصرفا غريبا حين تدخل القاعة بقميص النوم وتبرق عيناها، ثم تقف وتشير إلى أحد الحاضرين وتقول له: سوف تموت بأعلى. ولأنه رجل فضاء فيموت فعلا فى رحلته التالية.

تتحول ريجان من فتاة رقيقة إلى فتاة بذيئة اللسان شرسة السلوك. تُنطلق منها ألفاظ سوقية، وتنكسب من عينيها نظرات مخيفة. ذات صباح يُعثر على جثة مخرج الفيلم الذى تقوم الأم ببطولته. لقد قُتل بأسلوب غريب، إذ وجدت رأسه ملتوية إلى الخلف تماما (مثلما يحدث لضحايا الشياطين فى الأساطير القديمة). تدرك كرستين ان هناك علاقة بين مصرع المخرج وبين نافذة ابنتها المفتوحة. هنا تلجأ إلى رجل الكهنوت داميان DAMIEN الذى يدرس علم النفس واللاهوت وكتب السحر والتقمص، والذى يستعين فى مهمته بالأب كراس لطرد الشياطين من الصغيرة ريجان. وما أنْ يدخلا بيت الممثلة حتى يثور الشيطان فتنطلق شتائمه عبر لسان ريجان وتفوح من الغرفة روائح كريهة. يغمرها برد شديد. ويعاير الشيطان القس بأمه التى ماتت منذ عدة أسابيع. ويقوم بإحضار روح الأم فيجعل كراس يشعر فعلا بلمساتها على رقبته، ويسمع صوتها الذى يعرفه جيدا يخرج من حنجرة ريجان.

ووسط صراع بين كراس والشيطان،. يقول هذا إن الأم كانت امرأة فقيرة بسببه، لأنه فضل الطب عن اللاهوت. ثم يسمع كراس صوت المخرج الذى قُتل على يدىّ ريجان. ويرى كيف تم لوى رقبته وألقى به من النافذة. ويتهمه أنه السبب فى الفرقة بين والدىّ ريجان وإحداث الطلاق بينهما؛ لذا كان عليه أن يدفع الثمن.

يشعر الأب كراس بالذنب تجاه أمه. لكنه يقرر التخلص من الشيطان مهما كان الثمن. يقوم بالاتصال بالأب ميرين الأكثر خبرة فى مسألة طرد الأرواح الشريرة، الذى ما أنْ يدخل البيت حتى يصرخ الشيطان من فم ريجان: كنت أعرف أننا سنلتقى مرة أخرى ياميرين.

وتبدأ طقوس طرد الشيطان. يبدأ كلا الطرفين فى استعراض قوته. فعلى الراهب ألا يدخل فى حوار مع الشيطان. يطير الفراش بالفتاة محاولةً لإثبات قدرة الروح الشرير. ينبض هواء الغرفة بكثافة دامية. ويتم الاتفاق بين الطرفين. أن يخرج الشيطان من جسد الفتاة مقابل حياتها. إلا أنه فى النهاية يموت كراس ويخرج الشيطان من جسد ريجان.

استطاع بيلاط بهذه الرواية أن يخلق مايسمى بظاهرة أدب القوى الخفية. فهو الذى سبق كل أدباء عصره فى صنع روايات تجمع كل السمات التى ذكرناها فى أول حديثنا. وجاءت هذه الشهرة أكثر بعد نجاح هذه الرواية فى السينما حين أخرجها وليم فريد كين عام ١٩٧٤. وحول هذه الأجواء اهتم دافيد سلتزر DAVID SELTZER بظاهرة المسيح المضاد ANTI CHRIST أو ابن الشيطان فى روايته " **النذير** " ثم اهتم بنفس الظاهرة أدباء آخرون.

وقد راح سلتزر يقلد بيلاط فى كل العالم الذى وصفه. مثل وجود طفل يتقمصه الشيطان، أو اللجوء إلى الشرق، أو الشر الذى يحدثه فيمن حوله. والاستعانة برجال الدين. وداميان ابن الشيطان ديمون جاء إلى أسرة الدبلوماسى روبرت يوم ميلاده. حيث تم استبداله فى مستشفى الولادة بطفل روبرت الذى ولد ميتا. وكان على بعض الأشخاص الغريبى الأطوار أن يقوموا بتبديل الطفل الميت، ثم متابعته إلى الأسرة التى يذهب إليها لرعايته.

والأسرة التى يذهب إليها داميان تتكون من الأب روبرت الذى تربطه بامراته علاقة حب رومانسية رقيقة. وفى هذا الجو الوردى ينمو ابن الشيطان الذى يبدأ فى بث الخراب حوله فى يوم الاحتفال ببلوغ الصغير السادسة من عمره. فكل من له صلة بداميان ينتهى نهاية مشئومة مثلما انتهى أشخاص عديدون أحاطوا بريجان. فالمربية تلقى بنفسها – بدون سبب ظاهر– من أعلى سطح القصر صارخة : " داميان. أنا أفعل هذا من أجلك ". وذلك كى تأتى إلى البيت مربية جديدة تابعة لمملكة الشر. وهناك راهب يعرف سر الصغير، تهب عليه صاعقة مفاجئة فتسقط فوقه مانعة الصواعق فيموت مصلوبا. ويكتشف المصور جانجنج أيضا هذا السر الغامض، وهو الإنسان القدرى فيموت فى حادث ينفصل فيه رأسه عن جسده. أما أمه فإنها تتعرض لحادثين بشعين تدخل على إثر

أحدهما المستشفى وفيها تلقى بنفسها من أعلى وقد ارتسمت كل معانى الرعب على عينيها. أما الأب روبرت فإنه يموت فى اللحظة التى يهم فيها بغرس الصليب فى صدر ابنه فوق مذبح الكنيسة.

وينقسم عالم سلتزر إلى قسمين : الإنسان البرئ الذى يحوطه الشر من مخلوق أكثر قوة. وشيطان يسعى لسيطرة الشر على العالم. هذا الشيطان الذى يتقمص البشر والحيوانات من أجل تحقيق أهدافه. كما أنه يتقمص الطبيعة فيثير الصواعق، ويدفع بسيارة ضخمة تقطع رقبة المصور. هذا الداميان بالغ الحساسية تجاه الدين والخير. فهو يكره الذهاب إلى بيوت العبادة. وإذا حدث واصطحبه أبواه إلى الكنيسة ارتكبته الرعشة والخوف مما يجعل الأبوين يعدلان عن التعبد.

ولم يوضح الكاتب السبب فى مساعدة المخلوقات المختلفة للشيطان فى عملياته. هل هى مخلوقات نورانية ترتدى الثوب الإنسانى. أم أنها بشر – مثل المربية – تنهزم فى مملكة الشر. كما أن الكاتب لم يحدد سبب عدم ظهور الشر فى السنوات الأولى من حياة داميان.

وإذا كان بيلاط قد أنهى روايته بخروج الشيطان من جسد ريجان. فإن سلتزر – ومن قبله إيراليفين – ينهيان أعمالها بانتصار الشيطان وسيادة دولته. فرواية " **النذير** " تنتهى بأن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية هو الذى يقوم بتربية – أو الإشراف على تربية هذا الطفل اليتيم. ويمكن للقارئ أن يتصور أن مستقبل العالم – والرئيس الأمريكى – محاط بين يدى داميان الذى عليه الاستعانة بنفس المخلوقات الشريرة للمحافظة على أمجاده. والإتيان على الرئيس وعائلته والعالم كله.

إذا كان الكاتب الأمريكى إيراليفين IRA LEVIN قد سبق بيلاط بعدة سنوات بروايته طفل " **روز مارى** " ROS MARY'S BABY عام ١٩٦٦، فإن رواية بيلاط أصبحت نموذجا لأدب الظواهر الخفية وليس رواية ليفين. لأن الأحداث عند بيلاط قد امتزجت بالعنف والدم، وتسرى عليها كل السمات التى عرفناها عن أدب النوع. أما رواية " **طفل روز مارى** " فلا تعدو أن تكون رواية مهدت للنوع أكثر منها رواية تنتمى إلى هذا النوع. ويمكن إخراجها من الروايات التى تناقش هذه الظواهر من الناحية العلمية. فالرهبان الذين يطردون الأرواح الشريرة فى الروايات الأخرى هم من العلماء الذين درسوا

العلوم التطبيقية ، ثم استعانوا بهذه العلوم فى دراسة اللاهوت وطرد الشيطان ، أما ليفين وسلتزر فقد ابتعدا عن العلوم واقتربا أكثر من الميتافيزيقا والغيبيات . وهو ما جعل بعدهما عن نوع الخيال العلمى قائما .. وان كان هذا لايمنع من الإشارة إليها .

اختار ليڤين – وهو كاتب صهيونى متعصب – أسرة أمريكية بسيطة . الزوج بروتستانتى المولد لكنه على غير عقيدة . يعمل ممثلا فى مسارح برودواى . أما الزوجة روز مارى فهى من أسرة متدينة تقيم مع زوجها فى عمارة بنيويورك . وتقوم بزيارة الزوجة فتاة فى مثل سنها تحدثها عن مخدومها ، إلا أن الزوج يبدو غير راضٍ عن هذه الفتاة التى يتم العثور عليها ملقاة أسفل العمارة . وتفاجئ روز مارى بأن مخدوم الفتاة تيرى يسعى للتعرف عليها مع أسرته وأن زوجها يبارك هذه العلاقة الجديدة .

تعرف روز مارى أن هذا الرجل وزوجته يستخدمان وسيلة جديدة لمنع الحمل . وتفاجئ الزوجة أن زوجها يفرض عليها العلاج عند طبيب معين ، هو اليهودى إبراهام الذى يبارك طريقة الحمل ويشرف عليه وهو إنسان غريب السلوك . يردد تراتيل معينة حين الكشف على روز مارى . وتكتشف الفتاة أن كل من حولها من السحرة بمن فيهم زوجها نفسه . وان السحرة قد قاموا بتجنيده كى يأتى الجنين ذا مواصفات خاصة . فهو فى النهاية ابن الشيطان .

ولاتستطيع المرأة أن تتخلص من الشرور التى حولها . فيشرف إبراهام على عملية الولادة . وحين ترى المولود تصعق . إنه ذو قرنين وله ذيل صغير . يعلن الطبيب أن الشيطان قد وجد ابنه أخيرا فى النسل الآدمى . وها هو حى يرزق . ورغم أن روز مارى ترفض التجربة فإنها لايمكنها أن ترفض أمومتها ، فتحتضنه وتلقمه صدرها مثلما تفعل كل الأمهات .

فالشيطان عند ليفين واضح بشكله الكاريكاتورى المعروف كالقرنين والذيل . أما فى الروايات الأخرى فهو الطفل الوسيم البراق العينين البرئ الوجه الواسع الابتسامة .

من ظاهرة التقمص الشيطانى إلى ابن الشيطان يسوع الجديد . اختار الكاتب الأمريكى فرانك دوفيلتا أن يتناول ظاهرة البعث وإعادة التقمص فى رواية تحمل عنوان " **أودرى روز** " وإعادة التقمص هنا مقصود به أن تسكن روح شخص ميت شخصاً

آخـر يـولـد لحـظـة الـولادة .... والـظـاهـرة مـعـروفـة تحـت اسم الـتـنـاسـخ REINCARNATION وقد اختار الكاتب دوفيلتا FRANK DE FIELTA أيضا طفلة صغيرة تدعى آيفي تعيش فى أسرة سعيدة بين أبوبين مترابطين. الأم جانيس امرأة رقيقة تتسم ببساطة وتتفانى فى خدمة أسرتها ، والزوج بيل إنسان هادى يتسم بالغباء وقلة الحيلة . هناك دائما رجل غريب يراقب ابنته الصغيرة ايفى أينما تذهب . يتصل فى الهاتف للاطمئنان عليها . يصحبها إلى المنزل ذات ظهيرة ممطرة وهى عائدة من المدرسة ، هذه الصغيرة ذات الأحد عشر عاما تنتابها حالات من الكوابيس أثناء النوم. تبعث القلق فى قلبي الأبوين . فيحاول بيل الاتصال بالشرطة التى لايمكنها أن تفعل شيئا لأنه ليست هناك جريمة . وعندما يطلب ذلك الشخص الغريب لقاء الأبوين يحدثها فى أمر بدا لها غريبا : " لقد ماتت زوجتى وابنتى فى حادث تصادم منذ أحد عشر عاما . هما كل من أمتلك فى الدنيا : سافرت إلى الهند لأتعلم أشياء صعبة الفهم حول الروح . هناك حدثتنى عّرافة أن زوجتى قد ماتت ، أما ابنتى فلاتزال على قيد الحياة . منذ فترة أخبرتنى عرافة أخرى هنا فى مدينتكم ان ابنتى لاتزال حية وأنها تعيش هنا " (7) .

وأخذ يصف المنزل من الداخل . ويتأكد فعلا أنه نفس المنزل الذى وصفته العرافة عندما يزوره . فى نفس الوقت الذى تشتد فيه حالات الكوابيس . يدخل عليها هوفر ويناديها باسم أودرى روز. وشيئا فشيئا تشعر الصغيرة بالسكينة . يتكرر هذا الأمر أكثر من مرة .. تبدأ جانيس فى الإقتناع بأنّ لابنتها روح فتاة أخرى ماتت . ولكنها تقف إلى جانب زوجها – فى أول الأمر – فى ادعائه ضد هوفر أنه سرق الصغيرة . لكنها فيما بعد تعترف بما تؤمن به . وتتحول الحكاية إلى قضية عامة تدفع بالقاضى إلى البحث عن الحقيقة العلمية وراء هذه الظاهرة . وفى المعمل يقوم الأطباء والمختصون بإثبات أن روح أودرى روز قد تناسخت داخل ايفى التى تموت هى الأخرى فى أثناء التجربة ..

وقد حدث التناسخ هنا لطفلة فى نفس السن . ففى اللحظة التى ماتت فيها أودرى روز وهى فى الخامسة ولدت ايفى . كما أن المؤلف هنا أراد الابتعاد عن كل الشطحات التى يمكن أن تقلل من مصداقية الظاهرة التى يناقشها ، فذهب بأبطالها إلى المعامل

(7) Frank De Fielta, Audry Rose, Viking, New-York, 1977.

والمختبرات ، فأخذ العلماء يعملون أجهزتهم الدقيقة من أجل إثبات صحة هذه الظاهرة .. وقد كان ..

أصبح أدب التخويف والظواهر الخفية سمة السبعينات والثمانينات . ولأنه لايمكن فصل السينما عن الرواية فى هذا المضمار ، فقد ظهرت ظاهرة يجب الالتفات لها ، وهى محاولة "لتأديب" السينما بمعنى الاستفادة من نجاح فيلم بكتابة قصته فى رواية يتم نشرها عند عرض الفيلم جماهيريا . ومن هذه الروايات هناك روايتان هما "**المحرقة ٢٠٠٠**" HOLOCAUST 2000 لسرجيو دوناتى SERGIO DONATI ورواية "**مسكون**" POLTERGEIST التى كتبها للسينما ستيفن سبيلبرج صاحب العديد من الأفكار السينمائية لأفلام كثيرة بعضها ينتمى إلى أدب النوع ومنها رواية وفيلم .E.T وقد قام جيمس كان JAMES KAHN بصياغتها ونشرت فى عام ١٩٨٢ [8] . وتدور أحداث رواية "**مسكون**" فى كاليفورنيا داخل منزل صغير ، تعيش فيه أسرة فريلنج FREELING التى تتكون من زوجين وثلاثة أطفال . يلعب التلفاز دورا كبيرا فى حياة الأسرة . إلا أنه يتحول فجأة إلى وحش كاسر . فالصغيرة كارول آن التى تبلغ الخامسة ترى أشياء كثيرة فى المحيط الخلفى للشاشة . تسمع أصواتا تناديها . وتشع منها أضواء مبهرة . لقد تحول هذا الصندوق الصغير إلى خطر يجذب قلب الطفلة . فذات يوم تهب عاصفة شديدة على البيت . وتبرز قوى غامضة من داخل التلفاز تجذب كارول . بينما تكاد حوائط المنزل أن تتحطم . وتنهار الأشياء . وتغير حاجيات المنزل بفعل الريح حتى إنها تستطيع أن تشد الصغيرة وتدخلها خلف شاشة التلفاز حيث تختفى تماما .

وعندما يعود آل فريلنج إلى البيت يفاجئون بما حدث . ويسمعون نداءات كارول القادمة من خلف الشاشة وهى تصرخ قائلة : أين أنت ياأمى . عودى إلىّ" . ويصدم هذا الحادث أفراد الأسرة خاصة الأم التى تدفع زوجها أن يفعل أى شئ من أجل استعادة ابنته . فيذهب إلى بيوت الساحرات ويأتى بإحداهن إلى منزله . وهى امرأة درست علوم الحياة والفلك وتبدو عصرية السلوك ، وتقوم بمحاولة مخاطبة القوى الخفية التى تقبع وراء الشاشة من أجل استعادة الطفلة كارول ، وبعد معارك عقائدية بين الطرفين يهتز لها المنزل تتحطم أشياء كثيرة فيه ويمكن استعادة كارول مرة أخرى :

(8) James Kahn. Poltergiest, J,Ai Lu No. 1394, 1982.

" ارتفعت حرارة الغرفة . استدارت كل العيون فى القاعة ، محاولة معرفة سر التحول الذى طرأ على المكان . ففجأة أضيئت كل المصابيح . واشتدت أنوارها ثم انطفأت مرة واحدة حتى يكاد أن يصيبهم العمى . وأصبح الأمر غير قادر للاحتمال . دلكوا عيونهم ، أخذ مارتى يصرخ . وانبعث الدخان من أسلاك الكهرباء فى شتى أنحاء الغرفة . وأسقطت الشعلات فى كل مكان . وارتفع صراخ حاد .

صاح ستيف : أشعر كأن شيئا يعتصرنى " .

قال كل منهم للآخر : سينفجر المكان بمن فيه .

وساد المنزل خوف وفزع : فتسرب فيه الضباب وتلاشت صراخاتهم فى الفراغ ، انطفأت الأنوار . فساد صمت وسط العتمة . ثم انتهى المشهد بأكمله [٩] .

وبعد أن تمت استعادة كارول فكرت الأسرة أن تترك البيت بلا رجعة . لكن نفس القوى الخفية جذبتها من جديد .

وعقب نجاح الفيلم قدمت السينما تكملة ثانية للفيلم فى جزء آخر .. إلا أن جيمس كان لم يسعَ إلى تحويل الجزء الثانى إلى رواية مكتوبة مثلما حدث فى المرة السابقة .

إذن فهذا النوع من الأدب رغم انفصاله عن الخيال العلمى . فإنه يمزج بين التخيل FICTION وبين الظواهر الخفية وبين العلوم . لأنها ظواهر لم يمكن ، حتى الآن ، تفسيرها التفسير الأكيد فإن العلم يسعى قدر الإمكان وضعها فى حساباتها والاجتهاد بكل مايملك للتوصل إلى اغوارها . ولأنها أيضا تمزج بين التمثيل والتنبؤ والتأمل ، فإنها يمكن بسهولة أن تدرج طى الخيال العلمى . ومن جديد نؤكد أن هذا التقسيم ليس بينا . ولكنه تقسيم إلى ماتحت الأنواع SUBDIVISION وما أكثر ما ظهرت هذه النوعيات الفرعية فى مختلف أشكال الأدب المعاصر.

---

(٩) المصدر السابق ص ١٢٨ .

الفصل الثامن

الخيال العلمى ... فى الأدب العربى



المجـــال العلـــمي... في الأدب العـــربي

لاشك أن الدراسة التى قدمها يوسف الشارونى حول الخيال العلمى فى الأدب العربى[1] هى أوفى الدراسات التى قدمت حول أدب النوع فى العالم العربى. فقد اهتم فيها الكتاب بكل الجوانب التاريخية التى تتعلق بخوض الكاتب العربى لهذا الأدب، خاصة فى العصر الحديث، وراح الكاتب يفتش عن أى رائحة لهذا الأدب فى مصادر متعددة إلى درجة أنه اعتبر أن بعض الدراما الإذاعية التى تم تلخيصها بعد ذلك فى مقالات هى من أدب الخيال العلمى .. وفى أول هذا الفصل سنرجع إلى أكثر ما كتبه الشارونى حول هذا الموضوع.

علينا أولا أن نوضّح أن أدب الخيال العلمى يجب أن يستخدم فى مفرداته لغة العلوم، وأنّ هناك فرقاً بين الفنتازيا والخيال العلمى .. فعالم الفنتازيا الساحر ومابه من خيالات رائعة يختلف تماما عن الخيال العلمى .. ولذا فقد يحدث أن يخلط الناقد أو الكاتب بين هذه الاتجاهات المتقاربة والمتقاطعة .. وسوف نلاحظ عند عرضنا لدراسة يوسف الشارونى أنه لم يخلط بين هذين الاتجاهين، ولكنه وقف عند كل من جول فيرن وهربرت جورج ويلز وهى الفترة التى لم يكن قد حدث فيها انقسام حقيقى بين هذين الاتجاهين.. بل ولم تظهر أنواع جديدة تحت التقسيم العام لأدب الخيال العلمى[1].

فالتمثيلية التى كتبها الدكتور يوسف عز الدين عيسى بعنوان "**عجلة الأيام**" فى إذاعة القاهرة والتى نُشر لها ملخص فى جريدة الأهرام فى ١٩٧٨/١/٢٠ هى من اللون الفنتازى حول عودة الشباب إلى أناس أكبر سنا دون الرجوع إلى أسباب علمية لذلك .. فنحن لم نسمع أحدا يقول إن رواية "**الأفق المفقود**" LOST HORIZON لجيمس هيلتون JAMES HILTON هى من أدب الخيال العلمى .. على حين تنتمى تمثيلية "**فراشة تحلم**" حول فناء البشرية إلى نوع مختلط بين الفنتازيا والخيال العلمى..

---

(١) يوسف الشارونى، الخيال العلمى فى الأدب العربى، مجلة عالم الفكر. أكتوبر ١٩٨٠. الكويت ص ٢٤٣.

وكذلك تمثيلية "**رجل من الماضى**" حول تبريد الإنسان لمدة معينة إلى أن يتم اكتشاف علاج المرض الذى أصيب به.. وكذلك تنتمى تمثيلية "**أنباء هامة**" إلى نوع الخيال العلمى حول أستاذة جامعية تمكنت من التوصل إلى صنع قنبلة ذرية صغيرة الحجم زهيدة التكاليف تستطيع أن تنسف واحدة منها الكرة الأرضية بأكملها، وسرقة أحد السعاة لهذه القنبلة كى يزيد من شأنه أمام الجميع.

والدكتور يوسف عز الدين عيسى قد استخدم الموضوعات العلمية التقليدية المتعارف عليها مثل آلة الزمن .. إلا أن الرواية التى كتبها منذ عدة أعوام قليلة تحت عنوان "**الرجل الذى باع رأسه**" تنتمى إلى الأدب الفنتازى، ولاتنتمى قط إلى أدب الخيال العلمى، وقد قدم بعض هذه الأعمال فى شكل مسرحيات قصيرة ضمها كتاب واحد هو "**نريد الحياة**"[(٢)].

والكاتب توفيق الحكيم قد قدم أدبا فنتازيا كذلك إلى جانب أدب الخيال العلمى الذى أبرزه فى مسرحية طويلة وبعض الأقاصيص القصيرة المتناثرة فى مجموعاته. ويسوق يوسف الشارونى امثلة من أهمها مسرحيته "**لو عرف الشباب**" التى نشرها فى مجموعة مسرحياته "**مسرح المجتمع**" عام ١٩٥٠ .. فهى تدور حول طبيب مصرى يتوصل فى أبحاثه إلى أن التركيب الآدمى يمكن تجديد خلاياه، فلا تنال منه السنوات ولاتصيبه الشيخوخة.. واستخدام مثل هذه الاختراع الطبى فى استعادة أحد الباشوات المصابين بالذبحة الصدرية إلى الشباب مرة أخرى وعودته إلى سن الخامسة والعشرين .. ويسوق توفيق الحكيم مواقف عديدة ومفارقات للبحث عن الباشا العجوز ..

وقد شغفت السينما العالمية بهذه الفكرة، فقدمها جون فرانكنهايمر فى فيلم بعنوان SECONDS حول موضوع مقارب تماما. فالعودة إلى الشباب هى عودة جسدية فقط دون العودة بالإحساس.

ويعيب الشارونى – وله الحق كله – على توفيق الحكيم أنه قد حول كل هذه الحدوتة إلى مجرد حلم حلمه الباشا.

---

(٢) يوسف عز الدين عيسى، نريد الحياة. دار المعارف – القاهرة، ١٩٨٦.

ولتوفيق الحكيم أقصوصة أخرى بعنوان "**فى سنة مليون**" صنع فيها عالما يوتوبيا مضادا فلا موت هناك .. يعثر أحد العلماء على جمجمة يرجع تاريخها إلى ٦٠٠ ألف عام تثبت أن الإنسان كان يموت فى الأزمنة القديمة. وتبدو أن كلمتى (البارحة ، والغد) غريبة على الناس .. أنها أشبه بمدينة FORTX 4 التى صنعها "جون بورمان" JOHN BOOR MAN فى فيلمه "**زاردوز**" ZARDOZ .. لم يعد هناك ليل أو نهار ولا نوم ، لأن الضوء الصناعى قد أغناهم عن الشمس ، والأغذية الكيماوية أغنتهم عن النوم. ومثلما حاول زيد ZED عند بورمان أن يدخل الموت إلى فورتكس ، حاول عالم طبقات الأرض إدخال الوجود فى يوتوبيا توفيق الحكيم.

الكاتب فى قصته يأخذ فى سرد ووصف معالم العالم الجديد وطرائف الحياة فيها .. كيف أكلهم وكيف صارت غرائزهم التى اختفت معالمها.. وكيف هى صفات إنسان المليون عام بعد الميلاد. ثم محاولة العالم إثبات وجود الحياة والموت من خلال حادث أصاب الأرض من خلال أحد النيازك.

ويقول يوسف الشارونى إن نبي ذلك العصر هو" الذى يميت الحى وليس هو الذى يحيي الموتى ".

ولتوفيق الحكيم أعمال مسرحية أخرى منها "**تقرير قمرى**" و"**رحلة إلى الغد**" التى تدور حول اثنين محكوم عليهما بالإعدام ، وتم تخييرهما بأن ينفذ فيهما حكم الإعدام أو السفر فى رحلة علمية نحو الفضاء.. وتقوم الرحلة حاملة معها المهندس والطبيب لتنتقل بهما إلى خارج حدود الكرة الأرضية هناك حيث زمان مختلف ومكان مختلف.. تعود السفينة إلى الأرض بعد فترة وجيزة ، فإذا بالزمن الأرضى الذى استغرقت فيه رحلتها هو ثلاثمائه عام وتسعة أيام .. لقد تغيرت الحياة على وجه الأرض كثيرا .. أصبح العالم ورديا أكثر. يوتوبيا أرضية. فبعد قيام حرب ذرية وجد أهل الأرض أن عليهم استغلال الطاقة النووية فى تحقيق حلم البشرية نحو توفير الغذاء وتحقيق السلام والرفاهية. أصبحت أسطح المنازل هى محطات السيارات والأتوبيسات الجوية ، وأطول مسافة فى العالم لاتستغرق سوى ساعة. والرحلة بين القمر والأرض لاتستغرق سوى ست ساعات.

وهذه المسرحية هى رؤية مستقبلية لمسرحية الكاتب الشهير "**أهل الكهف**".

فالزمن النسبي بين مرحلتين من تاريخ البشرية موجود. وأبطال كلا المسرحيتين يجدون أنفسهم فى عصرين متباينين. العصر الثانى أفضل من الأول. وكما صور الكاتب الماضى فى خياله، فإنه يتعامل مع الغد من خلال الفصل الثالث فقط من مسرحيته.

ونحن نتفق مع يوسف الشارونى فى دراسته أن هناك مجموعة من السقطات العلمية التى تبعد هذه المسرحية وأعمالاً أخرى عن الخيال العلمى.. خاصة الرواية التى كتبها فتحى غانم "**من أين ؟**" .. فعلياء التى أحبها الصحفى مصطفى حمدى قادمة من الفضاء. ويقول الشارونى فى هذه الدراسة: ولهذا يمكن القول إن رواية "**من أين ؟**" لفتحى غانم تعتبر على هامش أدب الخيال العلمى[٣] والكاتب يحاول أن ينتقد سلوك أهل الأرض من خلال تلك المخلوقة القادمة من الفضاء.. وكذلك رواية يوسف السباعى المعنونة "**لست وحدك**" حول ستة أشخاص تحملهم سفينة فضاء إلى أحد الكواكب.

ويشير يوسف الشارونى إلى أن مسرحية "**الميت والحى**" لسعد مكاوى تدور فى نفس الفلك الذى دارت حوله من قبل مسرحية "**لو عرف الشباب**" لتوفيق الحكيم. وهى محاولة متواضعة لمزج اختراع علمى اخترعه أحد الصيادلة بفكرة فنتازية حول أناس تم عودتهم مرة أخرى إلى الحياة من خلال عقار الصيدلى، ويدور بين أبطال المسرحية حديث طويل حول العلم والاختراعات وأشياء حياتية..

إلا أن رواية "**شخص آخر فى المرآة**" لمحمد الحديدى لاتنتمى بدورها إلى أدب الخيال العلمى، فالكاتب يستخدم فكرة علمية حول نقل المخ البشرى من جسد دكتور جامعى إلى شاب رياضى، فعلى الثانى أن يفكر بأسلوب الأول وهى فكرة فى حد ذاتها فنتازية ناقشتها السينما عديدا من المرات من أبرزها فيلم "**تغيير العقل**" حول نقل مخ رجل أبيض إلى رجل زنجى يختلف عنه فى الطباع والوضع الاجتماعى. والصراع الداخلى الذى يعانيه رمزى الذى يسكن داخل تامر الشاب هو نفس الصراع الذى واجهه الشاب فى فيلم جون فرانكنهايمر "**ثوانى**" بعد أن حولته التجارب العلمية من رجل عجوز إلى شاب يختلف كثيرا فى الشكل لكنه هو نفس الإنسان العجوز من الداخل. ومثلما قام

---

(٣) يوسف الشارونى. الخيال العلمى فى الأدب العربى، عالم الفكر، اكتوبر ١٩٨٠ ص ٢٥٧.

العلماء بقتل الشاب الذى رفض أن يعيش فى عالم الجديد ، فإن بطل محمد الحديدى يفضل أن يموت وأن يتخلص من هذا العذاب الروحى الذى يعتريه .

* * *

يقول يوسف الشارونى فى دراسته إن أربعة من الكتّاب العرب قد استطاعوا أن يقدموا أدبا للخيال العلمى بمعناه المتعارف عليه وهم مصطفى محمود ونهاد شريف ورؤوف وصفى وطالب عمران فى سوريا . وسوف نتناول الكاتبين الأولَيْن بصورة عابرة لقلة إنتاجهما - نسبيا فى هذا المضمار - أما نهاد شريف فهو الكاتب الأغزر انتاجا فى الأدب العربى .

قدم د. مصطفى محمود روايتين من أدب النوع هما "**العنكبوت**" و "**رجل تحت الصفر**" ، وهما روايتان حاول الكاتب فيها الاستفادة من دراسته فى علوم الطب كى يصيغ بها عالمه وشخوصه ، ونحن أمام عالم استطاع أن يخترع اكسيرا ويتمكن به المرء بعد أن يُحقن به أنْ يرى تلك المخلوقات التى كانها قبل أن يكون إنسانا . والعوالم التى عاشها منذ مئات أو آلاف السنوات.. والدكتور داود يكتشف عالم المهندس الذى اخترع الأكسير ويروى علاقته به ، فالمهندس يوهم ضحاياه أنه سيقوم بعلاجهم ويحقنهم بأكسيره الذى يصل إلى منطقة تسمى بالجسم الصنوبرى فيدخل فى غيبوبة كاملة يسترخى فيها كأنه فى نوم عميق ليتكلم باسم شخصية عاشت فى حقبة سابقة وربما فى بلد آخر وبلغة لايعرفها صاحبها فى يقظته .

وهذه الفكرة العلمية هى ليست من الخيال بقدر ماهى ظاهرة واقعية ولكن بصورة أخرى ، وهى قريبة من ظاهرة التقمص المعروفة ، ولكن مصطفى محمود يذهب إلى ماهو أبعد من ذلك . فتكرار التجربة تؤدى إلى موت الشخص الذى تجرى التجربة عليه .

ودكتور داود يجرب بعد وفاة المهندس محاولة حقن نفسه بالأكسير ، فيحقن نفسه به لكن الكمية المتبقية من الاكسير قليلة فيتغير لون السائل ، وتتغير خواصه فيلحق بالمهندس فى داخل معمله .

أما رواية "**رجل تحت الصفر**" فتدور أحداثها فى النصف الثانى من القرن الحادى

والعشرين ، فالدكتور شاهين استطاع أن يخترع جهازا يحول به الأجسام المادية إلى أثيرية يمكن رؤيتها فقط من خلال شاشات أجهزة كالتلفزيون ولاتعود ثانية إلى الحالة المادية..

أما الكاتب رؤوف وصفى فقد نشر أولى أقاصيصه "**عالم آخر**" فى أكتوبر عام ١٩٧٤ حول مخلوقات دقيقة جدا لاترى سوى تحت المجهر تتسم بالذكاء الشديد وتستطيع أن (تقرأ مايدور فى ذهن محدثها قبل أن ينطق به). وتتمكن من تهديد طبيب كى يقوم بإجراء عملية جراحية لخطيبته يتسنى بها لهذه الكائنات أن تحتل جسدها ، وتتكاثر معرضة البشرية كلها لأخطار لايعرفها أحد.

أما أقصوصته الثانية المعنونة "**من ثقب الباب**" فتدور حول محاولة للتفاهم بين سكان الأرض الذين صعد منهم بعض الرواد إلى القمر، وبين سكان القمر الذين وقع أحد صغارهم فى أسر أولئك الرواد.

وهناك أقاصيص أخرى لرؤوف وصفى مثل "**حب فى القرن الحادى والعشرين**" حول فقدان الرومانسية فى القرن القادم وسيادة العلم. فالشاب لايجيد كتابة الرسائل الغرامية التى كان يجيدها أبناء القرن التاسع عشر والقرن العشرين. والعقل الالكترونى هو الذى يقوم بكتابة هذه الرسائل.

وقد نشر رؤوف وصفى مجموعته القصصية الأولى وهى "**غزاة من الفضاء**" عام ١٩٧٨ جمع فيها مجموعة من أقاصيصه التى نشرها فى المجلات السيارة منها "**مغامرة فى القرن السادس والعشرين**"(٤) حيث نجد الزوجة تحاول منع زوجها من القيام بتجربة آلة الزمن لأنها تخشى أن يذهب فلا يعود إلى القرن الحادى والعشرين مرة أخرى.. ويحاول أن يعود بأى ثمن .. إلا أنه عندما يرجع يلاحظ أنه افتقد أجزاء من حلقه وأن صوته لايصدر منه .. ويختفى.

ويقول يوسف الشارونى إن "رؤوف وصفى يهتم بالعناصر القصصية فى قصصه قدر اهتمامه بمادة الخيال العلمى . ولعله بمتابعته للتقدم العلمى ومداومته على الممارسة الفنية أنْ يقدم الكثير والأجود فى هذا الميدان".

---

(٤) رؤوف وصفى ، غزاة من الفضاء. المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب. القاهرة. ١٩٧٨. ص ٤٧.

ومن متابعة أقاصيص هذه المجموعة القصصية التي تضم ثلاث عشرة أقصوصة وقصة من ثلاثة أجزاء تحت عنوان "**رعب من الفضاء**" يتضح أن التيمات التي يغزوها رؤوف وصفى هى نفس التيمات التقليدية التي يغزوها كتّاب الخيال العلمى العربى مثل الصعود إلى كواكب الفضاء لملاقاة أجناس أخرى أو تصوير مشاعر الحب فى القرون القادمة. وأكثر قصصه مصاغة فى أجواء الغموض لغزو عوالم لم يعهدها القارئ والكاتب معا مثل "أقصوصة (**العقل الاليكترونى**)" إن العالم ليس مستعدا بعد.. لقبول مثل هذا الاختراع. ثم إننى مازلت أختبر مدى قدرته على استيعاب المعلومات".

"استيعاب المعلومات ! . وهل يستطيع التفكير؟

"أجل إن عقله الصناعى عبارة عن حاسب إليكترونى صغير ملحق به جهاز دقيق أشبه مايكون بلوحة التليفزيونات الضخمة، يعمل اليكترونيا وبداخلها آلاف الأسلاك التى تتصل بكل حواس الإنسان الآلى[٥].

وقد بدا رؤوف وصفى مهموما مثل كتّاب النوع بنهاية العالم فى أقصوصة "**الجحيم**" فيرى أن "القنابل هى الحكم على الإنسان بالموت. ويبدو أننا لانستطيع أن نتعلم شيئا"[٦]. ونهاية العالم هنا تعنى ظهور الشيطان إبليس عام ١٩٩٤ صاحب العيون الجاحظة وخطوط الحواجب السوداء وخط من الشعر الأسود الفاحم ينسدل والقرنين الرفيعين. ورؤوف وصفى مشغول بما يمكن أن يدور - فضائيا - فى المستقبل. **فهو** يرى أن الإنسان قد تمكن من الوصول إلى كوكب المريخ عام ١٩٨٨ فى أقصوصته "**التجربة**".. وأن الحرب العالمية الثالثة سوف تندلع فى الثالث عشر من فبراير عام ١٩٩٨ من خلال غزو حشرى لكوكب الأرض جاءت من الفضاء فى أقصوصة "**الكائنات الرهيبة**" "**عاد إلى آلة الزمن**". وتمهل ليلقى نظرة على هذا العالم المغرق فى القدم. كانت يده على المقود وهو يفكر فى النمل.. مفترضا أنه خلال عشرين مليون سنة قد كبر حجمه، وأصبح له

(٥) رؤوف وصفى. غزاة من الفضاء. المجلس الأعلى للفنون والآداب. القاهرة ١٩٨٦ ص ٦٤.
(٦) المصدر السابق ص ٨٤.

مخ يفكر. فما عسى أن يحدث ؟ هل يمكن للبشر أن يعيشوا فى سلام معه ؟ ألا يقرب هذا بين الناس فيصبحوا أخوة ويتحدوا ضد جنس غريب ؟ " [٧] .

لاشك أن **نهاد شريف** هو أحد الأدباء الأكثر إخلاصا لأدب الخيال العلمى ، لايكتب عداه . فأصبح الوجه الأول له فى الأدب العربى . وعلى حين بدا أدب النوع حالة عابرة عند الكثير من الكتّاب الذين سبق أن تحدثنا عنهم . وهو منذ روايته الأولى **" قاهر الزمن "** ، الذى نشرها عام ١٩٧٢ ، وهو لاينشر سوى الأدب الذى ينتمى إلى الخيال العلمى ، وذلك بغض النظر عن كلاسيكية الموضوعات التى يتناولها ، فقد بدا مشغوفا بكل من فيرن ويلز ، ولعله لم يخرج فى أىّ من أعماله الروائية عن الموضوعات العامة التى تناولها أدب الخيال العلمى فى صورته الكلاسيكية . وقد عبر عن ذلك فى الكثير من أحاديثه الصحفية ، وسوف نلاحظ ذلك أيضا من متابعتنا لأعماله . وهى على التوالى :

١ – قاهر الزمن	١٩٧٢	رواية
٢ – سكان العالم الثانى	١٩٧٧	رواية
٣ – الشــــئ	١٩٨٩	رواية
٤ – رقم ٤ يأمركم	١٩٧٤	قصص
٥ – الماسات الزيتونية	١٩٧٩	قصص
٦ – الذى تحدى الإعصار	١٩٨١	قصص
٧ – أنا وكائنات الفضاء	١٩٨٣	قصص
٨ – احزان السيد مكرم	١٩٩١	مسرحية

ويرى نهاد شريف أن أول مايثقل كاتب قصص الخيال العلمى هو استيعاب الكم المهول المرعب من الحقائق والمعلومات المتتالية ،. المتغيرة المتفرعة ، التى تشمل كل ذرة على كوكبنا الأرضى وإلى أعمق أعماقه اللانهاية الأبدية" [٨] .

ويرى أن " حساسية كاتب هذه النوعية المفرطة تجاه آلام عصره وماتتكبده البشرية

---

(٧) المصدر السابق ص ١١٩ .

(٨) المجلة ، حوار مع نهاد شريف ، لندن ، ١١ يناير ١٩٨٣ .

من إحباطات وانتكاسات وأهوال عامة شاملة ، ومايثخن كوكبه من صراعات ومايدميه من جراح لايلوح لها برءٌ على الإطلاق.

" و.. أشياء أخرى تثقل كاهل كاتب قصص الخيال العلمى مثل أضرار التقدم العلمى والتقنى ليس فى زمن الحرب فحسب ، وإنما فى زمن السلم كذلك ، كتغيير البيئة والقضاء على معالمها ، وتلوث الجو والتربة والمياه ، وثقب طبقة الأوزون الجوية . وأيضا موضوعات التفاوت فى الثروات بين الدول والتزايد السكانى الخطير "(٩) .

يقول الدكتور نعيم عطية فى دراسته عن أدب الخيال العلمى عند العرب : إنّ " أدب الخيال العلمى عندنا لازال فى بداياته . وعلى جيل الرواد الحالى أن يعمل من أجل تجويد فنه وإتقان صنعته . ويمكننا أن نقول بصفة عامة : إن كثيرا من أعمال الرواية العلمية يتسم بتقريرية مباشرة تقترب بالعمل الروائى من المقال . وتنحدر بعض الصفات إلى فجاجة الخطب وبلادة التقارير وهو ما يحرم هذه الصفات من صفة العمل الأدبى . ويساعد فى إعطاء هذا الإحساس أحيانا كثرةُ المصطلحات العلمية المستخدمة ، وهذا يضعف من نسيج القصة ويقترب بها من إطار الجدل والمناقشة ليضحى العمل امتدادا لفكر الكاتب نفسه . ومن حق الكاتب أن يصوغ أفكاره على لسان شخصياته . ولكن من حق هذه الشخصيات على الكاتب أن يكون لها استقلالها الفنى ومنطقها الواضح وحركتها الحرة ، كما تخلو بعض هذه الأعمال من الدفء الإنسانى ، وتجثم على القصص تلال من الجليد مردها عدم قدرة الأديب على التخلص من برودة العلم وصراحة أبحاثه . والأخطر من ذلك كله عدم خلو كتابات الخيال العلمى فى بعض الأحيان ، من أخطار علمية قد تبدو للقارئ تارة وتغيب عنه تارة أخرى . وهو مايلقى على الأديب مسئولية كبيرة . فليس الأدب مهما أوغل فى الخيال ، زيفاً وكذبا ، بل هو الحقيقة ، وما أرحب الحقيقة وأعمقها ، وتعدد وجهات النظر فيها ، بل وما أكثر جوانبها الاحتمالية ، وما أشد غرابتها " .

وأخيرا ، فثمة مانقوله لكاتب الخيال العلمى عندنا . إننا إزاء نصوص هذا الضرب من الأدب ، لانستطيع أن نطرد بسهولة – فيما عدا قلة من النصوص المتقنة – إحساسا

---

(٩) المصدر السابق .

بأننا إنما نقرأ أعمالا معربة أو مقتبسة عن أعمال أخرى أجنبية . وإذ ننقل هذا الإحساس لكاتب الرواية عندنا لانقصد سوى أن نستحثه على أن يزيد صنعته صقلا ، حتى يطرد عن جواهره شوائب تقلل من لمعانها "[١٠] .

أما يوسف الشارونى فيشير إلى السمات العامة لأدب الخيال العلمى باللغة العربية فيقول :

– إن أدب الخيال العلمى بدا أقرب إلى الفنتازيا وجعل همه أن يكون فى خدمة أفكار الكاتب وأهدافه . ثم بدأ الاهتمام بالإيهام العلمى فيما تلا ذلك من أعمال : فلم يعد هامشيا فى العمل الأدبى . بل أصبح ملتحما بالنسيج الفنى ، ومقنعا ومبررا بحيث أصبح هناك توازن بين الخيال العلمى والهدف المراد إبرازه .

– إن هناك أفكاراً تتكرر فى كثير من هذه الأعمال الأدبية مثل فكرتى القلب والدورة . ومعنى فكرة القلب أن تنعكس الأوضاع فتنكشف أمامنا رؤية جديدة لها ، كأن يصبح الماضى مستقبلا أو أن يكون هدف النظام هو القضاء على أكبر عدد ممكن من الناس بدلا من الحفاظ عليهم حلا لمشكلة الزحام المتفاقمة ... الخ . أما الدورة فهى أن تكتمل للزمن أو للوجود البشرى دورته لتعود الأمور ولتبدأ من جديد على نحو مايتخيل الكثيرون بأن تفنى الحياة على كوكبنا نتيجة نشوب حرب ذرية لتعود وتظهر فى صورتها البدائية لتقطع دورة التطور من جديد .

– " إن أدبنا عرف الخيال العلمى بجانبيه الفضائى والمستقبلى والتفاؤلى والتشاؤمى ، لاسيما الإشفاق من أن يتطور العلم فى جانب دون بقية الجوانب ، بل وعلى حساب هذه الجوانب فيكون ضرره أكثر من نفعه " .

– " إن أدب الخيال العلمى عندنا لن يستخدم فقط للإعراب عن المخاوف من التقدم العلمى غير المتكامل ، ولنقد ماتتردى فيه أوضاعنا البشرية الراهنة ، ولبيان ماوصلت إليه بعض النظم البشرية – وبفضل العلم – من تهديد لإنسانيتنا ، وهو ما ألجأ بعض المتمردين على هذه الأوضاع إلى محاولة استخدام العلم أيضا لوقف هذا الدمار القادم .

---

(١٠) نعيم عطية . أدب الخيال العلمى . مجلة الفيصل . العدد ٤١ ص ٥٧ .

- "أن الخيال العلمى استخدم للتعبير عن بعض القضايا المعاصرة، مثل قضية هوية الإنسان والتعارض بين ظاهره وباطنه".
- "ومن ناحية التكنيك فإن كتّابنا يعلمون أن مايتنبؤون به من اختراع أو اكتشاف لم يوجد بعد.
- أى أنه مايزال مستقبلا محتملا - لكنهم يقدمونه فى رواياتهم على أنه ماض وقع. وتخلصا من هذه المفارقة فإنهم يُنهون قصصهم بكارثة تقع لتقضى على هذا الاختراع أو الاكتشاف فكأنه لم يكن[١١].

حلم اليوتوبيا فى قاهــر الزمــن

يحلم الإنسان منذ بدء الخليقة بأن يقهر الموت والمرض.. ويحلم بمدن فاضلة فيها المرض جريمة والسرقة مرض يجب علاجه.. وهو يحاول تحقيق ذلك بشتى أشكاله.. وبقية علماء الفيزياء والكيمياء يقومون باختراع واكتشاف وسائل علمية ومعدات وتركيبات تساعد الأطباء فى تحقيق حلم البشر.. أما الأدباء فقد جمح بهم الخيال باحثين عن عالم ليس فيه موت، والمرض أقل، ويوتوبيا علمية.

ويرى نهاد شريف فى "**قاهر الزمن**" أن "التبريد سيكون فى المستقبل العلاج الأمثل لكافة الأورام الخبيثة والالتهابات الحادة والقروح الباطنية والحروق والالتهابات الجلدية.. وأيضا عن طريقه سيمكن التغلب على الصدمات الكهربية والتسمم الدموى وأزمات الربو والفواق وغيرها[١٢]. وذلك مثلما جاء على لسان الدكتور حليم صبرون أحد الحالمين بصناعة يوتوبيا عصرنا.. بل أنه يجاهد ويكد ويعمل طوال خمسة وعشرين عاما، وينشئ معملا متطورا كى يمكنه تحقيق حلم البشرية بإطالة عمر الإنسان بوسيلة التبريد.

ورواية "**قاهر الزمن**" بها أكثر من جانب من جوانب الخيال العلمى. فنحن أمام مايسمى بفكرة السبات الطويل.. وأمام آلة الزمن التى ابتدعها هـ. ج. ويلز.

---

(١١) يوسف الشارونى. الخيال العلمى فى الأدب العربى. عالم الفكر - الكويت - أكتوبر ١٩٨٠ ص ٧٥.

(١٢) نهاد شريف. قاهر الزمن، روايات الهلال. القاهرة ١٩٧٢ ص ١٢٣.

وقد رأى الدكتور حليم صبرون أن السبات الطويل سوف يمكن أبطاله وأبناء البشرية من عبور أزمنة مختلفة بعد حفظه فى أجهزة تسمى " **حليم رقم** .. " وهذه الأجهزة تتطور تبعا للهدف المنشود منها .

ولأن الكثيرين من أدباء الخيال العلمى طوبويون ، فإن نهاد شريف يصنع عالما وأفكارا طوبوية للمستقبل من خلال تجارب الدكتور حليم صبرون لتبريد الأجسام البشرية ولتصوير حلم البشرية الأزلى .. فليس المقصود من تجاربه هذه هو فقط إثبات أنه يمكن تبريد الأجساد البشرية فترة من الزمن ، ولكن الاستفادة من هذه التجارب لتحقيق حلم البشرية من خلال عصر يسمى " **عصر حليم** " نسبة إلى الدكتور حليم صبرون . وذلك بإيداع الجسد البشرى فى جهاز مبرد لعدد من الأعوام ثم إيقاظه كل ربع قرن لمدة عامين يعاد بعدها إلى سابق سباته .

والفكرة تبدأ من إحساس الدكتور حليم أننا قادمون إلى عصر مليىءٍ بالمسئوليات والأعباء والأعمال الدقيقة المضنية .. وهروبا من معاناة هذا العصر فإن السبات الطويل يمكن أن يحل الكثير من المشاكل التى نعانيها فى عصرنا . سوف يتغير أسلوب كافة المخلوقات الحية فى الحياة . وخاصة البشر. سيتغير الطب ، والتعليم ، والعواطف ، وطرق البحث والاكتشاف ، وطرق الحرب ، والسفر الملاحى فى الكون . بل حتى عمر الإنسان نفسه وكيفية حياته .

ولاننا نهتم بجانب التخيل العلمى عند نهاد شريف ، فإن كاتبنا يطوف بفكره إلى يوتوبيا يتلذذ بوصف وقائعها وأسلوبها وصفاً تقريريا فى منتهى الدقة .. وهو يربط هذا الجانب من التخيل بالجانب الواقعى .. فآجلا أو عاجلا سوف يتم إحداث السبات العميق . سواء من خلال حليم صبرون أو غيره .. وسواء بأجهزة مختلفة أو مشابهة لما وصفها نهاد شريف . ومن خلال هذه التخيلات يصنع تصوره حول المستقبل .. كل شئ فى حياتنا سوف يتغير تغيرا جذريا .. وكما يقول الدكتور صبرون متحدثا عما سيحققه السبات الطويل فى علوم الطب كمثال أن الأمراض التى لاعلاج لها الان سوف يمكن شفاؤها شفاء تاما نهائيا . وعلى رأسها السرطان ، فسوف يكون السبات الطويلُ العلاجَ الأمثل لكافة الأورام الخبيثة والالتهابات الحادة والقروح الباطنية

والحروق والالتهابات الجلدية.. كما أن الدكتور صبرون يأخذ فى وصف تخيلاته من خلال علاج الأمراض المستعصية.. وسوف يمكن " بالفعل مستقبلا تغيير المجرم إلى رجل عادى مسالم بتغيير أفكاره الباطنية بدلا من إلقائه فى السجن". وهذه الفكرة بالفعل قد سبق لتوماس مور أن صاغها فى كتابه "**يوتوبيا**"، ورسمها كُتّاب اليوتوبيا والمدن الفاضلة الآخرون مثل ويلز وصموئيل بطلر بأن فى مثل هذه المدن سوف يتم علاج المجرم من مرض اسمه الجريمة.. وسوف يوضع فى المستشفيات، أما المرضى فسوف يتم القضاء عليهم.. كما أن السبات العميق الطويل سيمكّن الإنسان من تسهيل عمليات الجراحات الخطرة، ونقل الأعضاء البشرية للمرضى كالأذرع والسيقان والقلوب والأمخاخ وبقية أعضاء الجسم. وكان نهاد شريف سبق فى مثل هذه الفكرة من كتاب عديدين أمثال مايكل كرايتون فى "**الغيبوبة**".

وفى حديث بين كامل ودكتور حليم حول تصور المستقبل يأخذ هذا الأخير فى وصف عالم المستقبل.. فسيارات الإسعاف مزودة باللاسلكى وبأجهزة مبسطة للتبريد تنتشر فى أنحاء المدينة، فإذا ماتلقت إخطارا بوقوع حادث لشخص فإنها تسارع وتلتقطه ثم تبرده بداخلها على الفور.

ومن مزايا عصر حليم اليوتوبى أن عمر البشر سيكون متوسطه حوالى مائة وخمسين عاما.. وأن التعليم سيتغير شكله التقليدى المعروف حاليا .. فالمتعلم سيتم تلقينه الدروس بوساطة موجات أو ذبذبات لاسلكية معقدة تخاطب العقل الباطن وتشحنه بمواد الدراسة والمعلومات الحديثة.. وذلك أثناء السبات بداخل الأجهزة المبردة. وسوف تلغى الامتحانات، وسيتم تعليم الإنسان فى أربع سنوات فقط من حياته كى ينال شهادة الدكتوراه.. وسوف تختفى معالم الطفولة التقليدية. وستتغير أشياء كثيرة مثل أساليب التاريخ وبعض العلوم الطبيعية.. الطريف أن نهاد شريف الذى شغف بعالم الفضاء، وكائنات العالم الآخر، لم يتحدث كثيرا عن شكل العلاقة بين سكان الأرض وسكان الفضاء إلا من خلال تصوره أن عصر حليم يمكنه أن يستخدم آلات التبريد حينما يأتى غزو فضاء على الأرض. وليس مطالبا من نهاد شريف أن يغوص بتعمق داخل يوتوبياه.. ولعل تلك الإغفاءة الطويلة التى انتابت «كامل» هى حلم

رائع مصور ليوتوبيا دكتور حليم صبرون فى المستقبل وبالضبط فى عالم ٢٠٥١ .. أى بعد مائة عام من تلك الأحداث التى تدور فيها الرواية.

فى هذه اليوتوبيا نرى القاهرة ذات الخمسة والعشرين مليون نسمة .. المبانى الزجاجية الشفافة والسحابة الصناعية فى لون البنفسج والواقية من عواصف الجو وتقلباته .. والأنوار الفوسفورية التى تلف كل الشوارع وكل ميدان وكل بناء. اصبحت القاهرة عاصمة العالم ؛ لأن عالم حليم بدأ منها منذ سنوات. واللغة العربية تسود العالم. أسلوب المعيشة يختلف فى المدينة ، وهناك وسائل مواصلات جديدة .. والتاكسيات التى تسير بسرعة الصوت. والسفر بين الكواكب الذى يتم بصواريخ كونية تنطلق بسرعة تبلغ نصف سرعة الضوء.

وفى هذا الفصل يهتم الكاتب بوصف أكثر لمعالم يوتوبياه. حتى البشر الذين أصبحوا يتسمون بطول القامة .. كبار الرءوس. السرعة هى السمة الغالبة فى سلوكهم. عندما يتكلمون ويتحركون ويأكلون. الطفولة تنتهى فى الثامنة ، والشباب فى سن العشرين. وتمتد الرجولة من العشرين حتى إلى مابعد المائة أو إلى مالانهاية. كادت الكهولة أن تختفى تماما. ثم انتشرت عمليات التبريد الشعبية.

ولعلنا لم نقم باستعراض حدوتة هذه الرواية .. لأن عامل الحدوتة لايهمنا فى إلقاء نظرتنا حول جانب الخيال العلمى فى أدب نهاد شريف .. رغم أن هذا الجانب يهم الكاتب كثيرا ، فمن المعروف ان نهاد شريف يجيد صياغة أعماله فى إطار من التشويق إلى درجة أنه فى بعض الاحيان يأخذ طابع الروايات البوليسية ، ونجد القارئ مصابا باللهاث وراء أبطاله من صفحة لأخرى بحثا عن مصير كل واحد منهم .. وهذه السمة تبرز فى رواياته أكثر منها فى كتاباته القصيرة .. وسوف نرى أنه قد استفاد من تجربة إيان فلمنج وتيرنس يونج فى فيلم "**الدكتور نو**" DR. NO عن العميل جيمس بوند .. ليحول كامل الصحفى إلى شخصية شبيهة ببوند حين يذهب إلى حصن الدكتور (نو) ذى التجارب الإجرامية كى يستطيع وحده وبذكائه إنهاء هذا العالم ، والعودة وحده أو مع حبيبته .. مع الخلاف أن كامل قد أصابته لوثة لأن حبيبته قد اختفت جثتها

المبردة تحت الأنقاض فى حين عاد السيد بوند سليما معافىً كى يقوم بالتجربة مرة أخرى فى قلعة أخرى.

تدور الرواية حول الطبيب المصرى حليم صبرون الذى يحاول أن يتغلب على الزمن، بأن يخترع جهازا اسماه باسمه وأعطاه أرقاما متباينة من واحد حتى رقم ٢٠ حسب أهمية كل رقم منهم. فلكل منها كفاءة عمل. فالجهاز المسمى حليم رقم ٢٠ بلا شك أكثر كفاءة من حليم رقم ١٢، حليم هذا يقيم فى ڤيللا فى أحضان جبل قريبا من مرصد حلوان حيث يعمل الصحفى الذى يتفرغ لمدة عام لتأليف كتاب عن بعض الظواهر الفلكية. وهو يحاول استقطاب كامل إلى ڤيللته كى يقوم بتأريخ أبحاثه لأن ابنة أخيه زين قد تعبت من ممارسة التأريخ والكتابة.. ويبدو كامل شغوفا بهذا العالم. فالدكتور يقوم بتجارب غريبة غامضة.. هى كما قلنا تجميد أجسام البشر والحيوانات، وهو يهدف من وراء ذلك إلى المشاركة فى صنع المستقبل بنفس الصورة التى يريدها الإنسان. وينجح المؤلف فى تصوير شخصية حليم صبرون، فهو تارة شريرة غامض مثل تجاربه، تارة أخرى عالم طيب يعمل لخدمة البشرية، وسوف يذكره أبناء الأجيال القادمة بكل إجلال واحترام ومحبة.

ولأن الرواية تمزج بين الشخصية والحدث، فإنه يهمنا جدا أن نركز على الملامح الأساسية لكل من الدكتور حليم وكامل.

فالدكتور حليم صبرون أشبه بالكونت دراكيولا فى أول الأمر.. تخرج من ڤيلته عربة تجرها جياد. سوداء. قاتمة.. نذيرة شر. تجوب الأسواق.. وتكاد تقتل (كامل) فى إحدى الليالى.. إنها تحمل التوابيت إلى الڤيللا.. ويقول كامل إنه استطاع أن يجمع بعض الحقائق حول الدكتور حليم صبرون.. "فعرفت أنه سليل إحدى الأسر الألبانية الفقيرة. وقد هاجر والداه منذ أكثر من ربع قرن إلى مصر.. وبموتها تربى الصغير حليم فى كنف أحد الباشوات من أثرياء الإسكندرية حتى كبر وتزوج من ابنة الباشا.. ثم سافر إلى أوروبا لاستكمال دراسة الطب التى تعلق بها.. ولكن الزوجة ماتت بالخارج فى ظروف مريبة، وحين عاد حليم إلى مصر ليزاول مهنته فى الإسكندرية، فوجئ الناس بالباشا

يلحق بالابنة فى ظروف أكثر غموضا بعد أن ترك وريثا وحيدا لكل أملاكه فى الثغر هو حليم صبرون[١٣] .

وكامل من خلال روايته يعطينا تصورا أن الدكتور حليم شخصية شريرة .. فهو غير صريح . يتصرف بحكمة ويحيط نفسه بقوم من الأشرار مثل مرزوق الهارب من العدالة إلى هذا المكان البعيد والذى نعرف فيما بعد أنه عالم . كذلك هناك امرأة غامضة مثل الجميع .. وكلاب شرسة تحيط المكان ، وعلى أتم الاستعداد لأنْ تفتك بالاعداء .. وفى بعض الأحيان نرى هذه الكلاب تستخدم حيوانات فى عملية التبريد .. ومما يزيد الإحساس بأن حليم هو إنسان شرير تلك التخوفات التى تحسها زين التى نعرف فى حين أنها ابنة أخيه . ثم هو فى حين آخر يبوح لها بمشاعر حب . أى أنه ينافس (كامل) على قلبها .. ولكن فى أحيان أخرى تراه إنسانا رقيقا ينافس (كامل) على الفوز بها ويبكى .. وفى حين ثالث يتألم كثيرا مدافعا عن (كامل) .. ونفهم لماذا يحبه كثيرا ويدافع عنه وعن أخطائه .. فقد مات أخ له يشبهه كان يحبه كثيرا منذ عدة سنوات .. هذا الأمر يجعل كامل يدافع عن حليم بكل مايمتلك من قوة ، ويحاول الكاتب فى نهاية الرواية أن يبرئ حليم من كل مظاهر الشر .. فالذى قتل عالم الإرصاد هو مرزوق ، ولم يكن الدكتور يعرف شيئا بالمرة حول هذا الموضوع .

والدكتور بالفعل قد تحول من جانب الشر إلى جانب آخر ملئ بالخير مع مرور الزمن . ففى أول الأمر كان عليه أن يجلب من مستشفاه بعض المرضى الميئوس من شفائهم إلى ڤيللته كى يجرى عليهم أبحاثه ، وقد مات كل من جاءوا إلى الڤيللا . ولكنه فى النهاية يعلن أن ما فعله كانت فترة مجنونة من أبحاثه وقد انطوت هذه الفترة دون رجعة . ولذا فإن حليم صبرون عندما يموت يبدو أحيانا أشبه بشهيد .. وأحيانا أخرى يكون قد دفع ثمن بعض هذه الجرائم الصغيرة .. أو لعل الكاتب يقتل هذا العالم كى يذهب حاملا سره ، مثلما يموت فى العادة كل هؤلاء العلماء الذين اخترعوا أشياء غريبة أو سبقوا أزمنتهم ، مثل الكابتن نيمو مخترع الغواصة نوتيلوس الذى دمره فيرن مع غواصته .

وأحلام الدكتور حليم صبرون تبلغ أقصاها فى الوصول إلى صناعة سلام عالمى على

---

(١٣) المصدر السابق ص ٥٧ .

وجه الأرض من خلال اختراعاته الرائعة .. وسوف نرى أن تحقيق السلام هو قضية ملحة للغاية عند نهاد شريف ، خاصة فى روايته الثانية "**سكان العالم الثانى**" . فلا بد من حفظ طليعة من الجنس البشرى تجدد حياة الجنس البشرى على الأرض ، وتعيد للحياة وجهها الحقيقى عن طريق العلم.

والكاتب يميل فى أول الأمر إلى إعطائنا بعض السمات الكاريكاتورية فى ملامح الدكتور. وجهه مستدير مكتنز. يميل إلى الحمرة. عيناه نفاذتان ، جبهته عريضة وأنفه انسيابى شامخ. أما فمه فيكوّن خطا رفيعا بدون شفتين.

"والغريب أن رأسه إلى عنقه لم تكن به شعرة واحدة نامية ، لا حواجب ولا رموش ولا شارب ، اللهم سوى خط رفيع من الزغب الأشيب امتد خلفا بين أذنيه" .

"كما بدت هناك آثار حروق طفيفة حول عينه اليسرى وجزء من جبهته وأذنه بامتدادها ، على الصلعة . وآثار الحروق . لم تكن لتخفى وسامة الرجل وتناسق قامته . ولم تكن لتقلل من عمق الكبرياء ولمعان الذكاء المشيعين من حدقتيه" .

"إذن فهذه هى صورة الدكتور حليم على حقيقتها" [(١٤)] .

والدكتور حليم فى باطن (كامل) فى النهاية . إبان تلك الإغفاءة اليوتوبية قد جنى ثمرة كفاحه وتفانيه .. واستطاع أن يحقق أكبر معجزات العلم التى عرفتها البشرية .. فقد وفق إلى تحقيق الحلم البعيد عن التصديق ألا وهو ، قهر الزمن" [(١٥)] .

وإذا كانت هذه هى سمات الدكتور حليم صبرون ، فإن (كامل) فى صوره للبطل الكلاسيكى هو شخص بطولى. ولا نغالى إن قلنا إنه نحو رجل بوندى .. ولا نقصد بجيمس بوند هنا ذلك الرجل الذى يعمل لصالح المخابرات الانجليزية والأمريكية . ولكنه ذلك المغامر شبه المتكامل .. فهو يصف نفسه بأنه "رياضى متناسق البدن ، وأجيد إلى حد ما النزال بالمصارعة اليابانية – الجودو" [(١٦)] .

---

(١٤) المصدر السابق ص ٥١ .

(١٥) المصدر السابق ص ٥٧ .

(١٦) المصدر السابق ص ٥٤ .

وهو كما يقول له الدكتور فى أول تعارفهما "واع وأمين" .. ويقول له أيضا فى نفس اللقاء إنه قد اختاره لأن به سمة هامة هى الطموح . فقد قرأت لك بعض كتاباتك وآخرها رواية "**الأبواب السبعة**" ، وهى كلها دون استثناء تتميز بطموح أبطالها وقدرتهم على تحقيق طموحهم .

"وضحك كامل ساخرا :

"بقى أن تضيف إلى ميزاتى الشجاعة .. والذكاء .."

"هما فعلا لاينقاصانك .." (١٧) .

وسلوك كامل بهنسى الصحفى طولَ الرواية يؤكد مثل هذه الصفات .. فهو يدافع عن الحق . وهو يستطيع أن يقف فى مواجهة الشر المتمثل أول الأمر فى الدكتور صبرون ، ثم تجئ هذه الوقفة فى مواجهة مرزوق وشره المستطير .. وهو أخيرا الشخص الذى نجا من حادث انفجار الفيللا .. لكن عقله لم ينج بعد دفن جثة حبيبته فى باطن الجبل . إلى درجة أنه يتحول فى النهاية إلى ولىّ يتبرك به الناس ويمدونه بالطعام والزاد ويستمعون إلى قصته التى لم يكف يوما عن ترديدها فى نفس الحرارة والصدق والإخلاص .

ونهاد شريف يميل دائما إلى تحديد تواريخ رواياته حتى لايشطح بالقارئ بعيدا . فهنا تدور الأحداث فى عام ١٩٥١ .. وتدور روايته الثانية "**سكان العالم الثانى**" فى العام الأخير من القرن العشرين . وهو بذلك يضع مسحة من الواقعية على روايته . فيستطيع القارئ أن يحدد أين هو بالضبط .. ومثل هذه التجربة قدمها كتّاب مثل جورج أورويل وأنتونى بيرجيس ، حيث كتب كل منها رواية تدور أحداثها بالضبط فى عام ١٩٨٤ .

كما أن المكان محدد بالضبط .. فهناك فى مرصد حلوان الشهير .. قريبا منه فى حضن الجبل . قريبا من المقطم توجد ڤيللا أصبحت الآن أطلالا بعد تدميرها . ويعيش فى هذه الڤيللا أشخاص نمطيون فى أسلوب حياتهم . زين الفتاة الرقيقة . والكتور حليم . والشرير الهارب من العدالة مرزوق ، وكل مايفعله صبرون فى هذا المكان هو محاولته اكتشاف أشياء جديدة مثلما يفعل الكثيرون من العلماء فى كل العصور الحديثة والقديمة .

---

(١٧) عصام بهى . رواية الخيال العلمى ورؤى المستقبل . مجلة الفصول . القاهرة ، يونيه ١٩٨٢ .

ويمكن تصوير سلوك العلماء هنا أشبه بسلوك أى من العلماء المعروفين. باستور. كوخ. ولكن إذا كان هؤلاء قد نجحوا فى تجاربهم ، فإن الأضواء لم تلق جيدا على اختراعات صبرون ، الدكتور حليم هو أحد هؤلاء الذين يموتون فى سبيل تجاربه أشبه بطائر الطريق الذى يصنع بعض أفراده جدارا من أجسامهم فى مواجهة العاصفة الثلجية ، ويظل الجدار صامدا أمام الريح الصرصر والصقيع المتراكم ساعات وساعات حتى يهلك أصحابه من أجل الإبقاء على بقية القطيع .. فإن صبرون ومرزوق وكامل وزين وعم عبده يصبحون طيوراً بطريق يموتون فى سبيل العلم ويظل الزمن كما هو لغزا محيرا .. فترى هل الزمن هو المعروف لدينا بالساعة واليوم. والشهر .. والسنة؟ وهى كلها مصطلحات أوجدناها لنرمز إلى دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس .. أم هو أهم أبعاد الإنسان على الإطلاق. أم هو ذلك الذى نقيسه بمفاهيمنا؟ أم هو الزمن المرن الذى صنعه كل من جويس وفوكنر وبروست؟ على كل حال فإن الدكتور حليم لم يستطع أن يقهر الزمن .. لم يقدر أن يجتازه مثلما فعل بطل هـ . ج ويلز الذى سافر بآلة الزمن نحو المستقبل وعاد بها إلى الماضى.

ونهاد شريف يمزج بين فكرتين كلاسيكيتين من أفكار أدب الخيال العلمى .. هما التبريد وآلة الزمن .. فبلاشك أن الرحلة الرائعة التى قام بها كامل بهنسى فى غفوته هى رحلة مع آلة الزمن ، لكنها تخلو من الصراع الدرامى الذى شهدناه فى رواية ويلز.

ولعل هناك اختلافا شديداً بين فكرة التجميد عند نهاد شريف واجتياز الأزمنة من خلال أجهزة حليم وبين آلة ويلز التى هى فى غالب الأمر آلة للهو واجتياز أزمنة وقيام صاحب الآلة بالعديد من المغامرات .. وبين عمليات تجميد مشابهة قدمتها أفلام السينما الأمريكية فنهاك أجهزة مشابهة فى فيلم " **قبّل أىَّ فتاة ثم اقتلها** " KISS ANY GIRL AND KILL HER الذى قام ببطولته مايكل كونرود ودورثى بروفان عام ١٩٦٧ فهناك رجل يحاول السيطرة على العالم من خلال تجاربه المختلفة التى من بينها عملية تجميد فتيات جميلات لفترة زمنية معينة ، ثم إعادتهن للحياة مرة أخرى بعد فترة كى يعملن لصالح هذا الرجل فى تجاربه ورغباته نحو السيطرة على العالم. وهو أيضا يعيش فى مكان معزول داخل قلعة محصنة من الأجهزة العلمية المتطورة .. وهذا الفيلم من نوع أفلام الجواسيس التى انتشرت فى سنوات الستينات. وقد عرض فى مصر بعنوان " **عصابة الشيطان** ".

وإذا كان نهاد شريف قد بدا شغوفا بالمستقبل فى رواياته وأقاصيصه . فإنه قد رحل إلى هذا المستقبل بأساليب عديدة . لكنه فى هذه الرواية لم يسافر مع أى من أبطاله إلى هذا المستقبل ، ولكنه ترك هؤلاء الأبطال يتخيلون مثله شكل هذا المستقبل وكيف سيقومون بتغيير هذا المستقبل وتشكيل صورته ، لكنهم لايرحلون إليه قط إلا من خلال الرحلة التى شاهدها كامل فى غفوته المؤقتة . لكن الرحيل هنا نموذجى أكثر لكنه صعب التحقيق . والطريف –كالعادة– أن الجانب الشرير فى الإنسان يعمل على تحطيم كل هذه الآمال .. ويبقى الإنسان دائما عاجزا فى الرحيل نحو الغد ليس إلا أنه عاجز من داخله على تحقيق الخير اليوتوبى داخل نفسه مثلما هو يريد أن يحقق هذه اليوتوبيا من الخارج . بمعنى أنه يفكر فى القضاء على الأمراض وعلى مظاهر التخلف وإقامة عالم رائع . لكن اليوتوبيا الأخلاقية صعبة التحقيق .

ومن خلال هذا الصراع بين الخير والشر ، وبين وجود اليوتوبيا من عدمه ، وبين الإنسان والزمن والمكان الذى يحيطه ، يعطينا نهاد شريف رأيه المتشائم إلى حد ما بأن الزمن سوف يقهر الإنسان مثلما قهره دائما .. رغم أن نهاد شريف كاتب يمزج بين التفاؤل والتشاؤم فى رواياته . فالزمن هنا هو " الذى انتقم لنفسه من هؤلاء الذين حاولوا تشويه الحلم به وإيقاف تدفقه الازلى . غير أن أحدا لايستطيع أن يجزم بأن الدكتور حليم لم ينجح فى قهر الزمن والوصول ببعض الناس إلى المستقبل ، بعد " تأجيل " حياتهم ووقف تأثير تيار الزمن عليهم ، فآخر فقرة فى الرواية تحمل هذا الأمل من جديد حيث يشير " الباحث التاريخى " المستقبل من خلال علامات عثر عليها . **قد تكون هى الطريقة " لغفلة النائمين " غير ان هذا ايضا غير مؤكد! "** [18] .

الطريف ان كامل يستيقظ فى نهاية حلمه الطويل خلال مدينة حليم اليوتوبية وهو يشعر بالجوع داخل الحلم . . ثم يتنبه أنه وسط سجنه يشعر أيضا بالجوع فيلعق شفتيه وينقض على الباب كالحيوان الشرس . كى يأكل ويشبع غريزة الاكل فى داخله .

---

(١٨) نهاد شريف ، سكان العالم الثانى ، مطبعة الأمانة – القاهرة – ١٩٧٧ .

طوبوية الكابتن نيمو

لايمكن أن نقول إن مدن اليوتوبيا التى شغف بها الفلاسفة والأدباء ووصفوها فى كتاباتهم هى من قبيل الخيال العلمى.. ولكن الكثير من أدباء الخيال العلمى قد صنعوا يوتوبياهم الخاصة من خلال تخيلاتهم الممزوجة بالوقائع والنظريات العلمية وتقنيات هذه النظريات.

ونهاد شريف شغوف جدا بفكرة الطوبوية.. وهو يستمد هذه الفكرة من جذور الواقع فى أغلب الأحيان. بمعنى أنه ينظر إلى النظريات العلمية على أنها حلّ جبرى ولازم - من خلال ماتفسره هذه النظريات من تقنيات - لمشاكل الإنسان المتعددة، مثل زيادة النسل والإسكان والحروب والمجاعات والموت والأمراض واتصاله بالعالم الذى يحيطنا..

ويميل الكاتب إلى تصوير الطوبوية من خلال كتاباته المختلفة خاصة روايتيه اللتين نشرتا فى سبعينات هذا القرن.. الأولى تدور مع العام الأول من النصف الثانى من القرن العشرين، أما الثانية فتدور فى العام الأخير من هذا النصف. فى هذا القرن..

والخيال يستبد بكاتبنا ويسيطر عليه تماما ليصنع اليوتوبيا فى هاتين الروايتين، فكامل يسافر من خلال غفوته الطويلة إلى يوتوبيا القاهرة فى عام ٢٠٥١. وأحلام الدكتور حليم صبرون هى أحلام يوتوبيا علمية.

ونهاد شريف متأثر أدبيا بكلاسيكيات أدب الخيال العلمى .. وخاصة بجول فيرن وسوف نرى أن هناك تقاربا واضحا بين رواية جول فيرن الشهيرة المعنونة "**عشرون ألف فرسخ تحت البحار**" وبين رواية نهاد شريف الثانية "**سكان العالم الثانى**"(١٩). ولذا فاننا سوف نحاول التركيز على رواية نهاد شريف هذه من خلال مقارنتها برواية فيرن.

فبالرغم من أن رواية نهاد شريف تدور أحداثها فى أواخر القرن العشرين، وأن رواية جول فيرن تدور فى الربع الأخير من القرن الماضى.. فإنّ هناك تشابها بين الروايتين لايمكن إغفاله.

---

(١٩) المصدر السابق ص ١١٤.

تبدأ رواية " **عشرون ألف فرسخ تحت البحار**" بالحديث عن ذلك الوحش الكاسر الذى يجوب البحار والمحيطات يطفو فوق سطح المياه أحيانا ثم يغوص تحتها مرة اخرى .. هذا الوحش يهدد الملاحين وركاب السفن. فترسل الحكومة الأمريكية سفينة للبحث عن هذا الوحش كى تقضى عليه .. لكن هذا الوحش يقوم بتحطيم السفينة ومن عليها فى ليلة موحشة .. وإذا استثنينا مقدمة طويلة فى رواية نهاد شريف فسوف نرى فى البداية أن هناك أحداثا غريبة تلقى الرعب فى أذهان سكان العالم أجمع من شمال فرنسا فالإسكندرية وأوكلاهوما ولندن. هناك برقيات من قوة مجهولة قد تبدو شريرة تهدد العالم بأنه سوف يتم – فى وقت ما – تحطيم أكبر قطعة بحرية فى الأسطول الأمريكى والروسى والصينى. وذلك نوع من إظهار عضلات هذه القوة وقدرتها ، ومدى ماتتمتع به .. وبالفعل فإنها كى تؤكد على قوتها تقوم بتحطيم أكبر قطع من الأساطيل الثلاثة دون إيذاء لأى من العناصر البشرية فيها. وإذا كانت الولايات المتحدة قد أرسلت سفينة للقضاء على الوحش فى رواية جول فيرن الفرنسى الجنسية الذى عاش فى أواخر القرن التاسع عشر، فإن نهاد شريف الذى يعيش فى أواخر القرن العشرين قد أسند أيضا القوة العليا إلى الولايات المتحدة فى نهاية هذا القرن.. بالرغم أنه ينظر إلى الاشياء بمنظور سياسى واجتماعى أكثر وضوحا مما فعل فيرن.. وذلك بالطبع ، لأن السياسة فى عالمنا المعاصر لها نفس أهمية الطعام والشراب والهواء..

قام فيرن بإرسال سفينة يرأسها العالم أروناكس الذى نجا مع اثنين من أتباعه. أما القوى الغامضة عند نهاد شريف فقد حطمت سفينة من أسطول أمريكا أولا ثم روسيا فالصين ، وطالبت بحضور ثلاثة من العلماء يمثلون أقطاب دول عدم الانحياز: مصر والهند ويوغسلافيا الذين أبحروا فعلا إلى مكان فى المحيط الهادى قريبا من جزرجالاباجوس. وكما يروى الدكتور أروناكس أحداث رواية فيرن ، فإن شادى يروى أيضا الجزء الأغلب من أحداث رواية نهاد شريف .. والمؤلف هنا يفعل نفس الشئ الذى سبق أن فعله فى " **قاهر الزمن**" فكامل يروى أحداث نصف الرواية .. والكاتب نفسه يروى على لسانه الأحداث الأخرى.. وكل من الأحداث التى يرويها شادى وكامل بهنسى مصاغة وأورناكس ليس أمريكيا بل صينى .. وأن الشخصية الثالثة المحورية هى لانت الكندى

الجنسية .. بعد غرق السفينة الامريكية يجد الثلاثة أنفسهم أمام ذلك التنين الذى يتضح أنه ليس سوى غواصة الكابتن نيمو ..

الكابتن نيمو إنسان نباتى يعيش تحت أعماق البحار. يأكل طعامه من اعشاب البحر، سجائره وشرابه.. وقد أنشأ مسكنا نموذجيا فى غواصته :. وهرب من قسوة المجتمع الذى يحيطه كى يتخلص من قسوة الإنسان.. كذلك فإن صناع مدينة المحيط فى العالم الثانى عند نهاد شريف أيضا قوم نباتيون من العلماء الذين اختفوا عام ١٩٧٩ حيث بحث المجتمعون مصير الإنسان فى ظل تلوث البيئة والتسابق نحو التسلح والحروب المحدودة ، وضغوط ازدياد السكان وقلة الموارد. لقد اتفقوا أن ينشئوا المدينة النموذجية (اليوتوبيا) أسفل المحيط من خلال تقدمهم التقنى وأفكارهم العلمية واختراعاتهم كى يصنعوا جنة خاصة أسفل أعماق البحار التى ذهب اليها لزيارة مؤقتة كل من علماء دول عدم الانحياز الثلاثة.. وسوف نرى أن نهاد شريف يصف نفس الإشياء من خلال مشاهدات أبطاله بأسلوب أقرب إلى مافعله فيرن. بل إن نهاد شريف يغرق فى وصف تفاصيل غواصته التى لم يسمها مثلما استغرق فيرن فى وصف نوتليوس .. مثلما يصف تفاصيل أخرى بعد ذلك فى روايته ورحلة أبطاله إلى عالم مدينة ماتحت المحيط الواسع. وكما أن كلا من العالم أروناكس وتابعيه يعتبرون أنفسهم – طيلة الرواية – كأنهم أسرى لدى الكابتن نيمو، فإن الرجال القادمين من دول عدم الانحياز يعتبرون أشبه بالأسرى فى هذه المدينة. فهم يذهبون هناك باختيارهم. وبالرغم من أن شادى يقول فى نهاية الرواية إنه لم يشعر بالفترة التى عاش فيها فى هذا المكان، فقد اشتاق إلى شعاع من الشمس، وإلى رؤية المحيط من أعلى[٢٠].

ولعل التجربة العاطفية التى عاشها شادى مع إحدى بنات هذه المدينة هى أساس لباعث قوى لديه أن يظل مرتبطا بهذا المكان بعد أن غادره بفترة.. وذلك مثلما ارتبط كامل بهنسى فى " **قاهر الزمن** " بمنزل الدكتور صبرون من أجل ربيبته زين التى أحبها.. الا أن مثل هذه العلاقة غير موجودة قط فى رواية فيرن التى خلت تماما من العنصر النسائى. ولكن فيرن نفسه يصنع امرأة هندية لبطله فيلياس فوج فى رواية أخرى هى " **ثمانون يوما حول العالم** ".

---

(٢٠) المصدر السابق ص ١٢٥.

ومايجمع بين نيمو وأتباعه وبين سكان مدينة نهاد شريف تحت البحار هو أن صناع هذه المدينة هم علماء . قد يكونون مجانين أو من العقلاء. لكن الباعث إلى هروب نيمو إلى عالم البحار هو نفس الذى دفع العلماء إلى بناء هذه اليوتوبيا.

ففى الفيلم الذى أخرجه ريتشارد فليشر RICHARD FLISHER عام ١٩٥٤ نعرف أن نيمو قد هرب من السجن بعد أن عومل معاملة قاسية.. فهو برئ من تهمة نسبت إليه. وقد رأى قسوة الإنسان على أخيه الإنسان فى معاملة السجان للمساجين كما روى يوما لآروناكس. ويرى نيمو أن الإنسان مخلوق يسكنه الشر بأكمله ولذا فهو يؤثر العزلة. ويسعى للانتقام من بعض البشر من خلال غواصته، وقاعدته عندما يشعر بالخطر يدنو منه.. وفيرن لم يتحدث عن أصل الكابتن نيمو فى هذه الرواية، ولكنه تناول هذا الموضوع بإسهاب فى روايته "**الجزيرة الغامضة**" التى قدمتها السينما أيضا فى عام ١٩٥٩ حيث يروى لغزاة الجزيرة الخمسة أنه أمير هندى لم تجذبه شئون الحياة، بل وهب نفسه للعلم والفن.. واشترك فى عملية تمرد ببلاده. أدت إلى ذبح أبناء أسرته فلجأ إلى جبل فى ولايته.. ثم فكر فى الحياة تحت الماء حيث لايمكن لإنسان أن يطارده فصنع نوتليوس وأطلق على نفسه اسم نيمو.. وبدأ يجمع ثروات البحر وكنوزها وأخذ يستخدم ثروته الطائلة لمساعدة الدول المغلوبة على أمرها التى تكافح ضد الدول الاستعمارية، ويموت نيمو فى الرواية بأسلوب طبيعى ويتم دفنه فى غواصته...

أما فى رواية نهاد شريف فقد بدأت الأحداث باختفاء مجموعة من العلماء ١٩٧٩ فى ظروف غامضة.. وظهورهم بعد عشرين عاما وقد أنشأوا مدينتهم.. هم أيضا يسعون إلى مساعدة الدول الفقيرة.. إن لم يحاولوا مساعدة دول العالم كله فى عقد معاهدة سلام عالمية بعد أن قاموا باستضافة ثلاثة من أبناء دول العالم الثالث لديهم: "نحن نرفض الأوضاع السائدة على كوكبنا الأرض بعد أن وعينا مدى اتساع الهاوية المخيفة التى يسعى الجنس البشرى إلى التردى طواعية وبحمق بالغ فى أعماقها.. من أجل ذلك تفاهمنا وقد تلاقت أفكارنا قبلا.. وقررنا أن نفعل الشئ الذى تأخر فعله مدة قرن أو يزيد من الزمان.. قررنا أن نتخذ خطوة إيجابية تمنع وقوع الكارثة مستخدمين فى سبيل تحقيقها شتى الوسائل والطرق بما فيها اللجوء إلى العنف[٢١].

(٢١) المصدر السابق ص ١٩٠.

لقد قرر العلماء الشبان البحث عن مكان سرى أمين يختبئون فيه لمدة من الزمن بغرض العمل جديا بكافة الطاقات المتاحة من أجل خدمة الجنس البشرى وإسعاده.. وعندما لجأوا إلى قاع المحيط الهندى اكتشفوا أن المحيطات مستودع لاينضب لانه يحتوى على الكثير من الكنوز الصالحة لفائدة الإنسان.

ومثلما شغف نهاد شريف بوصف مدينته الفاضلة فى "**قاهر الزمن**" وكيف يمكن قهر الأمراض، وماهى أساليب التربية والحكم والسياسة العامة.. فإنه هنا يبدو كذلك شغوفا بوصف السمات العامة والأساسية لمدينة القاع. فالجهاز السياسى يتكون من ثلاثة مجالات حاكمة، على رأسها مجلس الحكماء الذى يتكون من أربعة أفراد يتم اختيارهم بالانتخاب. وفترة حكم هذا المجلس أربع سنوات يتولى أحدهم رئاسة المجلس فى كل عام من هذه الأعوام الأربعة. وصوته يكون بصوتين عند الاقتراع. ثم هناك المجلس الاستشارى (ثلاثون عضوا منتخبا). ثم هناك اللجان التنفيذية وتضم بقية أفراد الجماعة وتنبثق منها اللجان الفنية والاجتماعية. أما عن الدين فى المدينة فلاتوجد آية تفرقة فى الدين واللون والجنس، والقانون السائد هو مزيج من أحكام الشريعة الاسلامية والقانون الفرنسى.

وبالرغم من أننا لم نر فى رواية نهاد شريف كابتن أشبه بنيمو، فيمكن أن نعتبر أن كل علماء مدينة القاع هم كابتن نيمو.. فهم هاربون من فوق اليابسة. وقادمون من بلاد مختلفة من أجل تحقيق فكرة السلام العالمى الذى لم يدم سوى أشهر قليلة إن لم يكن أسابيع.. فالدافع لهروب كل من نيمو وحكماء مدينة القاع واحد.. بل المصير المحتوم واحد أيضا عندما تمت لعبة غادرة للتخلص من مدينة القاع وسكانها وحكمائها، بعد أن فكروا فى إقامة بعض المنشآت الجديدة فى أستراليا..

ونحن فى كل من روايتى فيرن ونهاد شريف لم نعرف الجانب الإنسانى الخاص لكل أبطاله ماذا حدث فى ماضى كل من شادى وراجى وأروناكس؟ بل بدا كل أبطال الروايتين مشدوهين بعالم ماتحت البحار.. إلى درجة أن كلاً من الكاتب الفرنسى والمصرى نسى صفته روائياً وبدأ يحكى تفاصيل أشياء كثيرة تدور تحت البحار. عن المخلوقات والكائنات التى تعيش هناك.. كيف يمكن للإنسان أن يتغلب على أشياء مثل الضغط

الاسموزى كى يتمكن من الحياة فوق الجبال التى تعلو البحار.. كيف يمكن تجنب حدوث مثل هذه الزلازل المحسوب حسابها".

وكما قلنا فإن كل الملامح الخاصة بالأبطال الهامشيين فى الروايتين قد اختفت تماما.. عكس مانعرف عن الدكتور صبرون.. ولكننا أيضا نجد أنفسنا أمام شخصيات شبه مجهولة الماضى فى "**قاهر الزمن**" مثل كامل الذى لانعرف سوى أنه صحفى طموح. أما زين فليست سوى شقيقة الدكتور صبرون ولانعرف اشياء كثيرة عن ماضيها.. ويقوم نهاد شريف بتسمية سكان مدينته بأرقام تؤكد أننا فى عالم (الأسماء بالأرقام) الذى بدأ منذ سنوات وجربته ألمانيا الغربية فكانت بذلك أول دولة فى العالم، إلا أننا رأينا الأرقام هنا صغيرة ومحدودة فهى تتراوح بين الواحد والثلاثمائه أما الأرقام والأسماء المعروفة حاليا فهى تأخذ فى طياتها تاريخ الميلاد والجنس وأشياء أخرى... وربما أن الكاتب يريد أن يصبغ روايته بصبغة غربية ولهذا فقد تفادى ذكر الأسماء التى قد تجئ من بلاد العالم.. وجعل بطل روايته مصريا يروى القصة بلسانه. وتعمد أن يختفى راجى الهندى طيلة أجزاء الرواية بحجة العملية الجراحية التى تمت له. كما أن جوزيف – أو يوسف كما يحب أن يسميه– اليوغسلافى كان مجرد شخصية هامشية أو مجرد صحبة لها وظيفتها الاجتماعية لاأكثر مثل كان التابعون لأروناكس.

الطريف ان الكاتب يقدح خياله الرائع كى يتصور علاجاً أمثل لأمراض الكلى – التى يعانى منها نهاد شريف نفسه– كما يبدو مشغوفا كذلك بمثل هذا الأمر فى إحدى قصصه التى ضمها فى "**الماسات الزيتونية**".

ومثلما قامت علاقة ودودة للغاية بين أروناكس والكابتن نيمو.. تقوم علاقة وثيقة بين الحكماء وخاصة زعيمهم وبين أبطالنا الثلاثة.. وأروناكس لم يكن يميل قط إلى التخلص من هذا العالم أو الهروب منه.. فهو يتعلم. ويحاول أن يستزيد من هذا الرجل الذى سبقه. إلا أنه فى النهاية وتحت إلحاح من زميله وبعد تعرض الغواصة للأخطار يقرر الهروب. فقد حاصر الجليد الغواصة وكاد الأكسجين أن ينفد يوما، لذا يوافق على الهروب. بعد ان شعر أنه قد تعلم الكثير من الكابتن نيمو.

أما النهاية فقد جاءت على أيدى الأمريكيين (رمز لهم بأنهم قوى مجهولة) فى كل من

رواية نهاد شريف والفيلم الذى أخرجه ريتشارد فليشر. فبعد أن قام البحار الكندى بإلقاء مجموعة من الزجاجات فوق سطح البحر ووجدتها السفن العابرة ، تمكنت من معرفة سر الغواصة والمكان الذى تتجه إليه .. عندئذ تهاجم القوات الأمريكية القاعدة البعيدة . أما النهاية فى رواية نهاد شريف فتتم بأسلوب مقارب إذ يعرف شادى وتتحدث إليه محبوبته ماهيتاب فى إحدى الرسائل الخمس التى تبادلاها رغم أن شادى لايعرف هذه النفاثات المجهولة التى هاجمت المدينة والقاعدة .. ومثلما نظر الكثير من الناس إلى الكابتن نيمو على أنه مجرم شرير ، فإن بائع الصحف وهو يردد العنوان الأحمر فى الصحيفة : " **أخيرا .. قد قضى على الوباء** "[٢٢] .

ولأننا نتناول رواية " **سكان العالم الثانى** " بالمقارنة مع رواية جول فيرن ، فإن هناك تقاربا آخر بين مايحدث فى هذه المدينة ومدينة أخرى صنعها المخرج السينمائى الأمريكى جاك آرنولد فى فيلمه HELLOW DOWN الذى قام ببطولته تونى راندال وجانيت لى عام ١٩٦٨ . وفى هذا الفيلم رأينا مدينة نموذجية أخرى تحت أعماق البحار من خلال فرقة موسيقية من الشباب تعيش فى هذه المدينة .. ومثلما يحدث فى هاتين الروايتين فأنه يتم القضاء على المدينة ذات الغطاء الزجاجى المقامة فى أعماق المحيط من خلال قوى خارجية خاصة رمز إليها هنا ببعض الأخطاء التقنية ..

أما جوانب التخيل الأخرى الهامة فى الرواية والتى ركز عليها المؤلف كثيرا فتتمثل من خلال الرحلة البحرية التى قام بها شادى مع إحدى أبناء مدينة القاع . والسؤال المطروح : **هل البحر مصدر خير للبشرية أم مصدر شر مستطير؟** فهو يرى أن قاع البحر سيكون ميدانا لحل مشاكل الإسكان . كما أن موضوع التربية هام للغاية . ففى الحضانة يتربى الصغار بأسلوب أقلمة النشء ، وتثبيت واقع الحياة الجديدة فى أعماق وجدانهم بأحدث الطرق العلمية .

* * *

وإذا كنا قد تناولنا بالمقارنة رواية " **سكان العالم الثانى** " ، فإنه لايجب أن يفوتنا أن نتناول جانب الخيال السياسى فى هذه الرواية .. وسوف نرى أن الفكرة العامة التى يتناولها الكاتب هى فكرة سياسية ، وهى فكرة التعايش السلمى العالمى من خلال معاهد

---

(٢٢) المصدر السابق ص ٣٠ (الملزمة الثانية) .

عالمية تفرضها ظروف سياسية أوقوى أقوى .. إماً غزاة من الفضاء .. أو من قاع المحيط .. ويقوم العلماء فى رواية نهاد شريف بدور سياسى فى المقام الأول .. فكبير الحكماء فى مدينة القاع يعلن أن كل همه أن يسود السلام . وهو بذلك يتحول من عالم مكانه المعمل إلى رجل سياسة يشارك فى صناعة السياسة العالمية : " فلتكن مهمة البشرية المعاصرة فى خلق الفكر الروحى الأساسى لوحدة كل البشر.. الذين خلقهم الله بالفعل على ظهر كوكب واحد. من صلب آدم واحد" (٢٣) .

وقد استطاعت مدينة القاع أن تحقق للإنسان الذى يعيش فيها كل ألوان التقدم التقنى من أجل رفاهية الإنسان وبعد ان تم عقد معاهدة دولية للسلام يتم بناء قاعدة ملحقة قريبا من غرب أستراليا .. وتنص المعاهدة الدولية على ضرورة اتلاف المخزون النووى من قنابل ذرية وهيدروجينية متباينة ، وكذا القنابل الغازية والميكروبية والكيمائية مع التوقف عن إنتاج كل ما هو محرم دوليا مستقبلا .. ومع العمل فورا على فك أجزاء المفاعلات الذرية ومصانع المياه الثقيلة والاقتصار على استخدام الذرة فى المجالات السلمية فقط .. كما أن المعاهدة قد فرضت استخدام عقار (الحب) على نطاق عالمى . بحيث يتناول جرعاته الأطفال منذ عامهم الأول حتى سن ١٤ عاما .

ولعل مثل هذه الطريقة التى يمكن أن نتناول بها هذه الرواية من أدب خيالى علمى الكلاسيكى إلى رواية تنتمى إلى المرحلة الثالثة التى يشهدها أدب النوع منذ ثلاثين عاما تقريبا ، ولكن الكاتب فى كثير من الأحيان كان يشعر أنه ليس أمام عمل روائى وإنما عليه أن يكتب بأسلوب علمى تقريبا أشياء ينفذ منها إلى فكرته التى يود مناقشتها . مثل الحديث عن حل القضايا الملحة التى على الإنسان المعاصر أن يوجد لها حلولا ..

وقد تصور الكاتب فى روايته أن مصر فى نهاية القرن العشرين ستكون ثالث دولة من حيث إنتاج البترول والغاز الطبيعى .. وأن مشروع منخفض القطارة سيكون قد تم إنجازه وأن البلاد ستستفيد منه على خير وجه . وهو يرى أن الإذاعة ستلعب الدور الإعلامى الرئيسى فى هذه السنوات . وسوف تكون الصحافة لها نفس الأهمية رغم أن التليفزيون والفيديو بعد خمس سنوات من كتابة هذه الرواية سيكونان أهم الأجهزة إعلاميا .

---

(٢٣) المصدر السابق ص ٩٨ (الملزمة الثانية) .

وسوف نرى ما هو أكثر أهمية فى السنوات القليلة القادمة.. كما أنه يرى أن المستقبل دائما سيكون لدول العالم الثالث.[٢٤].

هو وكائنات الفضاء

شغف كتاب أدب الخيال العلمى دائما بالعلاقة بين الكائنات الحية فى كل من الكرة الأرضية والكون المحيط بهم. ومن المفروض فى أغلب الكائنات الحية التى شغف بها هؤلاء الأدباء أن تكون مخلوقات عاقلة تتمتع بالصفات البشرية، حتى وأن زادت حدة بعض ماتتسم به هذه المخلوقات من سمات ومزايا.. فهى أقل أو أكثر ذكاء. على البشر أن يدركوها بصفاتهم الإنسانية وأن يكسبوها نفس صفاتهم. كأن تكون لهذه الكائنات لغة للتخاطب فيما بينها وفيما بينهم وبين سكان الأرض.. فإذا كان الكاتب من بلد ما ويتكلم لغة معينة، فإن على الكائنات التى تحط فوق أرضه أن تتكلم لغته هو - فى أغلب الأحيان أو لغة الإشارات وهى لغة مفضلة لدى بعض الكتّاب. وهكذا الحال إذا رحل بعض سكان دولة ما إلى كوكب قريب أو بعيد فإذا كانت هناك كائنات حية فإن الكاتب يجعلها تتكلم فى أغلب الأحيان بلغة وطنه هو..

هذا بالنسبة للغة. وهناك كذلك العديد من الأمور والاعتبارات، عندما يتخيل الكاتب وجود مخلوقات بشرية أو كونية تسكن العالم الذى يحيط بنا. فعليه أن يقدح خياله لتصوير أحجام هؤلاء الكائنات. ومشاعرهم ومايتفوقون به على البشر أو مايقلون به عنهم. وبعض هؤلاء الأدباء يقومون بإعطاء مثل هذه الكائنات صفات كونية لم نألفها. ولكن الأغلب أنه يكسبها من صفاتنا نحن.. حتى تلك العقول الاليكترونية أو الإنسان الآلى، فإن عليها أن تتعامل مع الإنسان بنفس لغته وأحاسيسه وأفكاره.

وقد شغف نهاد شريف بسكان الفضاء، سواء القادمون منهم إلى الأرض أو الموجودين فى الكواكب المجاورة. وكان شغفه أشبه بشغف أكثر أدباء الخيال العلمى. وقام بإكساب أبطاله وشخوصه نفس الملامح التى أشرنا إليها. ورغم أهمية هذا الموضوع فإن الكاتب لم يقدم أيًّا من هذه الكائنات فى أى من رواياته. لكنه شغف بها بوضوح فى مجموعة من الأقاصيص التى نشرها فى أماكن متناثرة. وبدا مدى شغف نهاد شريف بهذا

(٢٤) أقصوصة امرأة فى طبق طائرة. من مجموعة أنا وكائنات الفضاء ص ٩.

الموضوع حين قام بجمع هذه الأقاصيص التى سبق أن ضم الكثير منها فى مجموعات أخرى ، جمع أكثر هذه الأقاصيص فى كتاب صدر بعنوان **" أنا .. وكائنات الفضاء "** صدرت فى مايو ١٩٨٣ عن كتاب اليوم.

كما أشرنا ، كان عليه أن يُكسب هذه الكائنات صفات آدمية. فالنساء حسناوات .. وأكثر هذه الشخصيات من النساء. ولهن مشاعر فياضة .. ذوات مشاعر رومانسية .. نقيات .. وعلينا أن نبدأ هنا بتصوير النساء القادمات من الفضاء فى كتب نهاد شريف.

" هى غالبا جميلة[٢٥] .. ساحرة العينين .. بشرتها فى لون الخمر المعتقة .. متوردة الشفتين. دقيقة الأنف. تتسع عيناها فى انحناء لأعلى قرابة الأذنين اللتين غطاهما بدورهما موج من الشعر الفاحم يتطاير خلفها مع هبات الهواء .. ".

ومثل هذه الصفات هى التى أكسبها المؤلف لشخصية أقصوصته **" امرأة فى طبق طائر .. "** وبقية أقاصيصه ، فهى امرأة ذات قوام متناسق متوج بنهدين كاملى الامتلاء والاستدارة .. وهى تتكلم اللغة العربية الفصحى فى مقاطع رتيبة التنغيم أشبه بدقات البرقيات. وهى امرأة رقيقة المشاعر تحمل الجميل لصاحبه .. فالراوى قد أنقذهم من خطر شديد حاق بهم. لقد جاءت فى بعثة مع طبق طائر بحثا عن معدن غازى فى كوكبنا الأرض .. والراوى يعجب بهذه الزائرة العابرة ، وهو يتحسر ويتمنى لو أن سكان الأرض اتسموا بنفس الحكمة والاتزان التى يتسم بها سكان هذا القمر المسمى جانيميد قمر كوكب المشترى .. ويفيق على قبلة ساخنة. ظمأى تعتصره ، ظل الراوى يستدفئ بلهيبها حتى ارتفع الطبق الطائر إلى الفضاء مرة أخرى ..

أما الراوى فى **" وتوقفت عقارب الساعة "** .. فهو يؤمن بوجود مخلوقات حية عاقلة تسكن الكواكب الأخرى ، وأن هذه الكائنات تحاول الاتصال بسكان كوكبنا وأن ظهور الأطباق الطائرة فى سماواتنا بهذه الكثرة واختفاءها ثم العثور على اناس منها تؤكد ذلك.

ومادمنا بصدد تصوير نساء نهاد شريف القادمات من الفضاء ، فإن هناك امرأة

---

(٢٥) المصدر السابق ص ٨٢.

أخرى فى هذه الأقصوصة.. قادمة من كوكب يدعى "**نوش**". بل هناك عدة نساء جئن فى طبق طائر إلى الأرض. وهن يقمن بأدوار ثانوية للغاية..

أما "**حفيدة خوفو**" - فى قصة بنفس العنوان - القادمة من الفضاء فيعطيها نفس صفات الأنثى القادمة من جانيميد والتى لانعرف اسمها - لاحظ أن أكثر هذه الكائنات لا أسماء لها قط - فهذه المرأة ذات عطر شجى. طويلة القوام كأنها مصنوعة من المطاط. تتمتع بطراوة لحمها وتآلف روحها. تحتضن الراوى مثلما فعلت امرأة أخرى. إنها حفيدة الملك خوفو.. فقد غزت سفن الملك خوفو الكونية رحاب الفضاء حتى حطت على كوكبهم الصغير، لتحمل إلى السكان البدائيين وقتذاك كافة ما كان قوم خوفو يتمتعون به من تقدم فى العلوم والتقنيات. وفيما بعد، تعرض الكوكب للعديد من الكوارث الفلكية والانتكاسات الحضارية"[٢٦].

والمرأة هنا تختلف. فالراوى لاينظر إليها نفس النظرة الشهوانية التى ينظرها عادة إلى النساء فى بعض القصص. فخطيبته أمينة أشبه بالأميرة هيسكا القادمة من أعلى من أجل العلاج، والراوى لاينظر إلى خطيبته بالطبع بنفس النظرة التى نظرها راو آخر إلى الفتاة القادمة من جانيميد وإلى التى سنراها فى أقصوصة أخرى هى "**مندوبة فوق العادة**".

والأميرة هيسكا أصابتها حساسية من تسلل ذرات الأكسجين إلى بشرتها، ويتم علاجها، وعندما نراه يصفها فإنه يقول: "بذلك الشعر القصير المحمر.. والعينين المسبلتين فى قد. الأنف الرقيق الانحناء وهو يشمخ. زهوا وكبرياء.. وتعاليا.."

أما "مندوبة فوق العادة" فهى أيضا فتاة قادمة من الفضاء وترتدى لباس البشر جاءت إلى الأرض من أجل العلاج. ليس علاج بشرتها. بل علاج زوجها وبعض زملائه. إنهم يسعون للحصول على مصل أيضا.. فقد أصابت سفينتهم كارثة.

وهذه المندوبة القادمة من الفضاء تسمى نفسها "**عبير**"، يحبها الراوى الطبيب عبد العزيز.. ويصفها فى بعض الأحيان نفس الوصف المألوف الحسى الذى يصف به

---

(٢٦) المصدر السابق ص ١٢٨.

الراوى بعض النساء فى مثل هذه المواقف ، "رحت أضم جسدها الرمضى إلىّ فى عاطفة جياشة وأنا أناجيها بأعذب كلمات الحب وارقها .. وشفتاى الواهتان تغمران كل ثنية فى وجهها وعنقها بالقبلات المجنونة "[٢٧] .. وهناك مشاعر حب صادقة يكنها كل من الطرفين نحو الآخر.. ورغم أن هذه الفتاة متزوجة فهى تبوح له أنها تحبه .

وقد بدأنا الحديث عن المرأة فى هذه الأقاصيص لأن نهاد شريف يهتم بوصف السلوك الأنسانى من خلال جو خيالى علمى .. والعواطف الجياشة لدى أبطاله أهم من الأحداث العلمية فى نظر الراوى . فإذا كانت هناك فتاة تحب رجلا من الفضاء فإن مايهتم به الرجل هو المشاعر الجياشة الرائعة التى يحملها الرجل تجاه المرأة القادمة من الفضاء . (لم تشر أى من هذه الأقاصيص إلى وجود امرأة من كوكبنا تقع فى حب رجل قادم من الفضاء ..) . والنساء هنا آدميات مثلنا يشعرن نفس المشاعر.. والكاتب يعطى الإيحاء بأنّ هناك كواكب وأماكن أخرى فى الكون فيها بشر وحياة مثل حيوات الكرة الارضية .

وهذه المخلوقات القادمة إلى الأرض جاءت من أجل مهمة إنسانية . فهم يبحثون عن مغامرة علمية فى الأرض . البحث عن مصل أو عن اكتشاف يفيد أهل الكون الذى يعيشون فيه . لكن كيف يعيشون هناك . وما هى وسائل معيشتهم ؟ . فإذا كان الكاتب قد أكسب أكثر مخلوقاته صفات البشر.. فإن الكثير أيضا من هذه المخلوقات غير آدمية بالمرة . ففى اقصوصة "**تقرير عاجل**" يصف الكاتب أجسام كائنات الكوكب الثالث من مجموعة الشمس وكما تراها مخلوقات الفضاء .. هى ذات دروع ثقيلة متينة محكمة . يطير بعض منها بزوائد أفقية على جانبيه ، أو زوائد رأسية أعلاه ، والبعض يسعى على الأرض وحده بأرجل دائرية رائعة .. أو يجر معه عددا على شاكلته فى طابور طويل فوق مسارات ثابتة فى التربة ، أو هو له زوائد من أعلى متصلة بأسلاك ضمن شبكة جهد طويلة مدورة من أسفل .. وهناك مخلوقات أخرى ذات أجسام إنسيابية رشيقة مدببة من طرفيها . أو يغوص تحت اللجة فى أحجام أقل ضخامة .. ثم نكتشف أن هذه المخلوقات ماهى إلا وسائل المواصلات على سطح كوكبنا الأرضى ذاته .. فهكذا اختلط الأمر على مخلوقات الفضاء حين رصدت الكوكب الثالث ، وهكذا يمكن أن يختلط علينا نحن الأمر حين نرصد سطح كوكب قصى عن الأرض .

---

(٢٧) المصدر السابق ص ٤٨ .

وسكان الفضاء يجيئون إلى الأرض فى أقاصيص عديدة مثل "**امرأة فى طبق طائر**" و"**توقفت عقارب الساعة**" و "**مندوبة فوق العادة**" و "**اللقاء الرهيب**" و "**رقم ٤ بأمركم**". و "**لقاء مع حفيد وخوفو**".. لكن سكان الأرض لايصعدون إلى هذه الكواكب الأخرى. صعودا جسديا.. وهناك حالة صعود كأنها صعود أثيرى تمت بالنسبة لعالم الالكترونيات الشاب سميح الفاضلى فى أقصوصة "**الكوكب الغامض**".. فقد استطاع أن يقوم بالاتصال بأحد الكواكب البعيدة من خلال تلسكوبه المتطور فى المرصد الذى يعمل فيه.. تدور الأحداث فى النصف الأول من عام ١٩٩٩ وهو نفس العام الذى تدور فيه أحداث "**سكان العالم الثانى**" فى هذه القاعدة الجوية يتمكن سميح من اكتشاف وجود كوكب دخيل على معلومات العلماء الكونية. إنه الوحيد الذى يستطيع رؤيته.. ويرى أثيريا كل مايدور على سطحه.. إنه يصف ماحدث ومايرى.. هناك مخلوقات تشبه الإنسان. وهناك حيوانات طليقة لها دروع تغلفها وهى ترعى الكلأ. هناك قردة متطورة تخرج من الكهوف فى أعلى الجبل. هذه القردة هى الحلقة المفقودة فى سلسلة التطور. يسيرون منحنين على قوائمهم الخلفية ويستخدمون مخالب قوائمهم الأمامية كالأيدى. بينما تضوى فى أعماق عيونهم الغائرة وتحت الحواجب العريضة البارزة وجباههم المنحسرة نظرات ذكاء حيرى.

يحاول نهاد شريف أن يؤكد أن الحلقة المفقودة فى التطور بين الإنسان والقردة موجودة فى هذا الكوكب السيار البعيد.. وإذا كان البشر القادمون من الفضاء عقلاء فى بعض الأقاصيص، فإن هذه القردة لم تعرف بعد اللغة ولا النار ولا الزراعة. ولم تتوصل لشئ من اسلحة الدفاع البدائية عن النفس وهى أول مقومات البقاء والسيادة.. لم تكتشف النار بعد، وعليها أن تنتظر ثلاثة ملايين عام كى يكتشفوها.

أما الزعيم فيمثل الحلقة المفقودة من أجدادنا فى أولى درجات سلم النشوء البشرى. أنه هو الذى اكتشف النيران.. وهو أول من يضيع فى آتونها حين يلقيه أتباعه فى تلك النيران.

ونهاد شريف فى هذه الأقصوصة يعالج العديد من الجوانب الخاصة بأدب الخيال العلمى. فهناك زمن قادم فيه يصبح فى القاهرة مركز أبحاث فضائى متطور.. وهناك

كوكب سيار عابر.. وهناك عودة إلى ماقبل ملايين السنوات حيث حضارة البشر البدائية.. ثم هناك ظاهرة الانسلاخ أو التداخل التى تحدث أثيريا حين يموت العالم سميح فى نفس اللحظة التى يتم فيها حرق زعيم قبائل القردة.. ورغم هذا فإن نهاد شريف يفترض فى أكثر أقاصيصه أن الحضارة فى كل الكون هى حضارة بشر سواء فى حالة تقدم علمى على الأرض أو فى مرحلة علمية بدائية[٢٨] . ولعل أطرف هذه الأقاصيص أقصوصة "**رقم ٤ يأمركم**" فى المجموعة المعنونة بنفس العنوان "**رقم ٤**" هنا تعنى الكوكب التالى للأرض فى المجموعة الشمسية "**المريخ**" يتحدث عن الكوكب الذى تم فناؤه على إثر حرب نووية أشبه بتلك الحروب التى من المتوقع حدوثها بين لحظة وأخرى على كوكبنا الأرض. ولنا عودة أخرى لهذه الأقصوصة.

* * *

وإذا كان نهاد شريف قد صور مخلوقات الفضاء بهذه الصورة، فإنه أيضا يذكر أن هذه المخلوقات تجئ الأرض فى أطباق طائرة.. وموضوع الأطباق الطائرة شغف به كتاب الخيال العلمى.. وصوره السينمائيون فى السنوات الأخيرة من خلال روايات وأفلام معروفة تتحدث عن سفن الفضاء الراحلة من الأرض فى أزمنة متعددة إلى الفضاء.

ولعل أبرز كتاب صدر باللغة العربية فى هذا الشأن هو كتاب بعنوان قصة "**الأطباق الطائرة**" لدونان كيهو الذى صدر فى سلسلة كتب للجميع عام ١٩٥٥. وفى دول العالم الخارجى صدرت مئات وآلاف الكتب العلمية فى هذا المضمار، من أبرزها "**الحلقة الزرقاء**" تأليف إلبرت ديكروك الذى صدر بمناسبة إخراج وعرض فيلم "**لقاءات عن كثب من النوع الثالث**". وفى هذا الفيلم رأينا الأطباق الطائرة من الخارج فقط، ولم نعرف ماذا تضم من الداخل ولا ماهى هويتها.

وعن موضوع الهوية.. فإن هذه المركبات الفضائية التى يتحدث البعض عن وجودها وينكر البعض الآخر ذلك قد ألهبت خيال العلماء.. وسميت فى أول الأمر "**أطباق طائرة**" أوكما جاءت ترجمتها باللغة الفرنسية LES SOUCOUPES VOLANTES، وحينما كثرت

---

(٢٨) المصدر السابق ص ٣٤.

الأقاويل حول هوية هذه المركبات الفضائية سميت بـ " U.F.O. أو O.V.N.I. " الأولى انجليزية والثانية اللغة الفرنسية. وهى اختصارات لجملة طويلة تعنى " **الأجسام الطائرة المجهولة الهوية** " وأصبحت معروفة باختصاراتها.

إذن ماذا عن هذه الأجسام المجهولة الهوية القادمة من أعلى.. نهاد شريف يقدمها دائما بنفس الاسم القديم الذى اعتدنا عليه وهو " **الأطباق الطائرة** " .. ولايكتفى فقط بتصوير هذه الأجسام من الخارج. بل أن الراوى فى أقصوصة " **امرأة فى طبق طائر** " يدخل هذا الجسم ويصفه وصفا دقيقا فى صفحة (١٠) من طبعة كتاب اليوم الصادر فى مايو ١٩٨٣ .. كما أنه يقوم بوصف مماثل فى أقاصيص مثل "**وتوقفت عقارب الساعة**" : " ووجدتنى فى النهاية أجلس منكمشا وسط اكبر حشد من الآلات والعدد والمفاتيح واللعبات الضوية بشتى الألوان، فى حين لايصل سمعى غير تردد أنفاسى الواهنة.. أما الجدران المحيطة فى نقاء الفضة وبريقها، فقد بدت خلفية تلائم غرابة المكان إلى أقصى حد " [(٢٩)].

وإذا كانت هذه الصورة قد تكررت فى العديد من أقاصيص نهاد شريف فإن هناك رحلة صعود من الأرض إلى الفضاء فى " **وجهان لعملة واحدة** "، انهم مجموعة من الأشخاص يبتعدون عن الأرض.. يرسلون إلى القاعدة الجوية فى الأرض تقارير متتالية عما يحدث فى الرحلة.. تقارير عن أحوال السفينة ومايجرى فيها : السرعة. وصف الظواهر الفلكية حول الأرض التى تركوها، ثم حول المريخ أو الكوكب رقم (٤) وتسجيل للنيازك ورصد للمجرات. والراوى هنا يقول إن كل هذه الأشياء كأنها أعمال رتيبة مألوفة سبق القيام بها فى رحلات مشابهة.

ويصور الكاتب فى هذه الأقصوصة ظاهرة كسوف الشمس من خلال كوكب المريخ إنهم يبحثون عن الحياة خارج الأرض.. سواء فى الكوكب الأحمر. أو المشترى.. يقول الراوى : " الطبيعة لاتكرر نفسها مرتين " ويتساءل الكاتب عن وجود مخلوقات أخرى حية تعيش فى هذا الكون. الراوى يتساءل دائما عن وجود الحياة هنا. هذا الموضوع يؤرقه، الإنسان المعاصر هو مشكلة الوجود والعدم.

---

(٢٩) نهاد شريف. الذى تحدى الإعصار، دار المعارف، ١٩٨٠ ص ١٧٢.

بعد رحلة بحث طويلة.. هى رحلة بحث داخلية وخارجية .. يتم العثور على كتلتين من الجيلاتين المتماسك لاملامح لها ولاحدود. تعلوهما قمة رفيعة وينتهيان فى أسفل بقاعدة ثقيلة منفصلة من منتصفها على هيئة صخرتين. إنها أشياء غريبة أشبه بالغريب الذى يغزو الفضاء فى فيلم قدمه ريدلى سكوت عام ١٩٧٩ بنفس العنوان "**الغريب**" .

والكاتب يغلف روايته بغموض لايتضح قط.. فلم يكشف لنا عن هوية هذه الجسيمات ولامدى خطورتها أو أى مجال هى ملتصقة بالحياة.. فهو ينتقل من عوالم مألوفة وأجواء تقليدية إلى جو آخر بعيد غامض. جديد. غير مألوف. ويبتعد فيه عن المباشرة الواضحة. ويترك النفس البشرية تغوص فى كينونة الشئ أكثر من الحديث عن حقائق علمية قد لايكون القارئ فى حاجة إليها. وإن كانت ترشده.

ونهاد شريف يقدم -كما سبق القول- أدب خيال علمى عربى.. أى متعلق بنا. بالمنطقة التى نسكنها، مشاكلها ومعاناتها.. فهو يتخيل القاهرة وقد أصبحت مركزا هاما فى العالم لأبحاث الفضاء، كما صور القاهرة من قبل منطلقا للدكتور صبرون.. وهو يصبغ كل هذه الأعمال بالطابع العربى وأشخاصه عربية، فرغم أن نهاد شريف تلميذ وفى لمدرسة ويلز وفيرن، فإنه يصنع خيالات تخص وطنه وحده، بل إنه يرجع فى بعض هذه القصص التطور العلمى إلى التاريخ المصرى القديم، وأعتقد أنه فى ذلك قد تأثر بكتب أنيس منصور فى هذا المجال حول "**الذين هبطوا من السماء**" أو الذين صعدوا إليها".

وإذا كان نهاد شريف ينتقل فى أعماله إلى أطراف مدينة القاهرة أو الاسكندرية مثل حلوان، فإن هناك أقصوصة بعنوان "**عين السماء**" حول جريمة وقعت بشارع محمد على وسط القاهرة. وتم رصد هذه الجريمة من خلال أحد الكواكب المارة فى لحظة وقوع الجريمة قريبا من كوكب لألارض. يقوم هذا الكوكب بإرسال رسالة باللغة العربية.. هذه الرسالة ترسل تفاصيل هذه الجريمة عن القاتل. وكيف تمت عملية القتل؟. والفكرة طريفة أيضا يبتعد فيها الكاتب أيضا عن كلاسيكيات الخيال العلمى.. لكنه لايزال يؤمن تماما أن المخلوقات الموجودة فى الكون حولنا هى كائنات عاقلة للغاية. فالتطور العلمى على الأرض لايزال فى بداياته حتى الآن وأمامه الكثير جدا من الخطى والمراحل والأعوام بل القرون، والمثال فى أهل السماء.

وفى اقصوصة "**رقم ٤ .. يأمركم**" فإن نهاد شريف يسعى للعثور على اتلانتس فى الفضاء .. لقد ضاعت أتلانتس وسقطت نتيجة للصراعات فى داخلها .. ودمرت عن آخرها كما تقول الأقاصيص والأساطير بعد ان بلغت مبلغا رائعا من التقدم العلمى . هناك كوكب يتصوره نهاد شريف وسط الكواكب السيارة حول الشمس ، بجوار كوكب المريخ .. اندثر. وانفجر لأسباب مشابهة لاختفاء أتلانتس . سكان كوكب المريخ يتنبؤون بأن الأرض نفسها – كلها هذه المرة وليس قارة فيها – يمكنها أن تكون أتلانتس جديدة إذا قامت حرب نووية .

سكان المريخ أو الكوكب رقم ٤ يقومون بتهديد وإنذار سكان الأرض بما سيحيق بهم إذا قامت حرب نووية .. وإذا زاد مخزون السلاح ، لاحظْ أن هذه المشكلة العالمية تؤرق كاتبنا كثيرا ، وأنه قد عبر عن تمام أرقه فى روايته سكان العالم الثانى فإذا كان المدركون للأخطار التى تحيق بالبشرية على الأرض هم من سكنوا قاع البحر. فإنهم هنا أهل المريخ الذى يفترض فيهم – كاتبنا – أنهم بلغوا درجة من العلم والمعرفة زادت عن الحد بالنسبة لما وصل إليه أبناء الأرض .

الكوكب رقم ٥ أو أتلانتس الفضاء كانت أجمل من الأرض ، وكان أكثر كواكب المجموعة الشمسية بهاء ووفرة فى ثرواته وخيراته . كانت الحضارة بالغة التقدم .. قامت حرب نووية مباغتة بين مخلوقات الكوكب الخامس فشملت سطحه بأكمله .. "ونتيجة لهذه الحرب انفجر الكوكب رقم ٥ ."

وهنا تنتهى علاقة الكاتب بأتلانتس الفضاء . ثم ينحو إلى تحذير سكان الأرض أنه من الممكن أن تكون هناك نهاية محتملة إذا قامت حرب نووية على سطحه . ويجئ النداء هنا – كما ذكرنا – من قوى خارجية أكثر علما وذكاء وقدرة .. وهذه القوى تستطيع بقوتها الأشد بطشا أن تسيطر على الموقف وأن تمحو ترسانات الأسلحة النووية المنتشرة فى أيدى القوى الأرضية .

وهناك تشابه واضح بين مايدور فى هذه الأقصوصة . والرواية التى قدمها الكاتب فيما بعد . فالعالم كله يتكاتف لمنع الخطر. ويتعاطفون مع هذه القوى التى استطاعت أن تنشر الأمان بعد أن تصوروا أنها مبعث خوف . فنداء المريخ يجئ لسكان العالم كلهم . الدول

الغنية والفقيرة معا . والنداء تسمعه كل دولة بلغتها الخاصة . ولازلنا نذكر أنه قد تم اختيار ثلاثة من علماء العالم الثالث فى رواية **"سكان العالم الثانى"** واهملت دول العالم الثرى المتقدم . كما أن هناك الكثير من الاتهامات التى دارت بين أمريكا والاتحاد السوفيتى عن اسباب هذه الأخطار.

ورواية نهاد شريف تدور فى الأشهر الاخيرة من عام ١٩٩٩ ، وتدور أحداث هذه القصة القصيرة فى أواخر ١٩٩٠ . ومن الواضح أنها مكتوبة عام ١٩٦٩ ، وأن الرواية قد كتبت عام ١٩٧٦ وهو ما يوضح المسافة الزمنية بين ما كتب الكاتب والزمن الذى يتخيل أحداثه فيه .

القوى الخفيــة

سبق لنا أن تناولنا الظواهر الخفية التى ارتبطت بالعلم فاعتبرت امتداداً له وشغف بها الكتاب مثل ستيفن كنج ودافيد سلتزر وفرانك دولافيتا وآخرون . هذه الموضوعات وغيرها لم يعد من الممكن فصلها عن أدب النوع بأسلوب أو بآخر.. وقد تناول نهاد شريف بعض هذه الموضوعات فى العديد من القصص القصيرة التى كتبها ونشرها فى مجموعات متعددة . فى قصة قصيرة له بعنوان **"الذى تحدى الإعصار"** فى المجموعة التى تحمل نفس العنوان يتحدث عن عامر صابر. الرجل الذى يحتضر. إنه يموت بعد حادث . ولكنه لم يلفظ روحه بعد . هناك قوة أثيرية تدفعه للحياة .. القوة الكامنة داخله تبقيه .. إنه هيكل بشر. لم تعد له أسنان ، ولافم ، ولا وجه . تفتت عظامه وتهرأ لحمه وخلاياه . لكنه يستطيع التعرف على بعض المعالم التى حوله . فهو راقد فى غرفة انعاش . بها منضدة . بل ثلاث مناضد مستطيلة .. تتراص عليها عشرات القوارير والأكواب وقد ملأتها سوائل متباينة القوام والألوان .. وهناك شخص . رجل قصير مكتنز ، يرتدى معطفا أبيض اللون . يمسك قنينة مثنية العنق . إنه يقوم بتجربة . ينفجر المعمل الذى يقوم فيه بالتجربة . هذا الرجل هو أيضا عامر صابر. هذا الانفجار يطيح بعامر.. لكنه لايموت كما أشرنا .. فهناك أمل بسيط فى أن يظل على قيد الحياة . يردد الطبيب :

الله هــو الــذى يهــب الحيــاة . . .

يردد الجميع أن الأمل ضئيل .. لكن الرجل يردد داخل نفسه أن عليه أن يبدأ

التصدى لهجمات الخوف والفزع الذى تلاحقه.. هكذا تبدأ حالات التلكنسس. إنها لاتظهر إلا عندما يرغب صاحبها فى الاستحواذ عليها وفى السيطرة على نفسه أولا.. ثم التركيز على الأشياء التى حوله وتحريكها حسب مشيئته. "لاتمهل فى استخدام تلك الخلايا الهلامية الرخوة التى أثق فى وجودها بمكان محدد لدىّ.. ولأساعدها رغم انتهاك طاقتى ووهنها. لأساعدها بما تبقى عندى من قوى. لتنهض.. فتقوم بتجديد أستار الظلام الملقاة علىّ. ولتتألق.. فتفحص ما ألم بى.. كفانى مالحقنى.. بميزانها الكهربى الدقيق"[٣٠].

ولأننا نميل إلى عقد المقارنة بين أشكال الأدب، فهناك رواية قريبة إلى حد ما من هذه الرواية كتبها بيتر فان جرينواى بعنوان "**لمسة ميدوزا**" (MEDUSA TOUCH) وقدمتها السينما الانجليزية فى فيلم بنفس العنوان أخرجه جاك جولد وقام ببطولته كل من ريتشارد بيرتون ولى ريميك ولينو فنتورا. فجون مورلار يمتلك هذه القوة منذ طفولته.. ويصاب بحادث لايموت على إثره.. ولكنه يرقد على سرير المرض جثة فارقتها الحياة إلا من بعض البصيص. وعندما أوصلوا دماغه بالآت الرسم الاليكترونى تحمل الشاشة الرسوم مايدل إنه لم يمت. إنه قادر على إحداث الدمار فيما حوله وهو فى هذا الوضع.

ومثلما فعل مورلار، فهاهو ذا عامر صابر.. لكن قوى الدمار عند مورلار تتحول إلى رغبة فى البناء والعمار لدى عامر.. والملاحظ أن أدباء الغرب قد جعلوا أبطالهم دائما يستخدمون قوتهم هذه فى عمليات الهدم.. أما عامر فإنه يحاول أن يلم أشلاءه الداخلية رغم هذا العذاب الذى تعانيه خلاياه..

والبطل هنا يستخدم كل هذه القوى كى يروى حادث الانفجار الشنيع.. إنه يدخلنا معه إلى أعماقه، فالجسد مات، والعين لم تعد قادرة على التمييز. لكن الذكريات تنساب من الماضى البعيد. أو مايسميه هو الزمن الثانى "ياالهى لقد تعبت.. لم يعد فى استطاعتى بذل مزيد من الجهد، لقد نفد معينى.. نفد مابقى لدىّ من قوة. من حيوية. وتلاشت قدرتى مرة أخرى على تذكر المزيد."[٣١].

---

(٣٠) المصدر السابق ص ٢٠٢.

(٣١) المصدر السابق ص ١٩٨.

ومثلما كانت هناك علاقة بين الطبيب والمريض فى "**لمسة ميدوزا**"– فإن هناك علاقة مقاربة بين الطبيب وعامر صابر.. فهما صديقان.. عاشا معا أحلى أيام الصبا والشباب.. ويرى صديقه قد احترق وجهه. وبترت ذراعه وإحدى ساقيه، وأن عامراً قد فقد حواسه نهائيا إلى غير رجعة.. فقد بصره. وسمعه وقدرته على الشم والتذوق واللمس.. وأيضا القدرة على الكلام. لكن ضربات القلب تعبر عن قوة مجهولة تقف وراء خفقات هذا القلب. وليس مايحدث أمام الطبيب رغبة من المريض فى البقاء حيا. لكنها نفحة من الإله – كما يرى الكاتب – تقلب كل موازين الطبيعة من أجل أن يظل الجسد المسجى بمنأى عن الموت.

أما المريض فإنه يرى أن مايحدث ليس سوى نوع من مزاولة رياضة اليوجا الذهنية ويقرر أن يزاولها بنظام أشد كى يستمر فى الإحساس الداخلى..".

"ولأرتب أفكارى فى المبدأ ..."

"لأستخدم عقلى بتؤده وبطء ... وفى منتهى الرفق"

كل وسائل الاتصال منعدمة بين عامر وبين العالم من حوله. لكنه يرغب فى الاتصال الأثيرى مع هذا العالم "يتحتم علىّ أن أعثر على الطريق الصحيح قبل أن أفقد اتزانى.. قبل أن أجن.. يتحتم علىّ وبكل السبل أن أكسر قيدى. أن أفر من سجنى"[٣٢].

ومثلما عاد بنا جرينواى إلى طفولة بطله وشبابه ليؤكد أن هذه القوى الخارقة تكمن فى أعماقه منذ هذا الزمن البعيد، فإن عامر يتذكر سنوات الصبا حين كان يقرأ عن الظواهر الخارقة لدى الإنسان.. يقرأ فى الكتب الصفراء التى تعلن عن وجود قوى خارقة وفوق الطبيعية تنبثق من الكائنات الحية. تتدفق من أعماقها. وبعد تدريب طويل استطاع أن يوفق أكثر من مرة إلى تخمين صيغة جانب كبير من أسئلة الامتحان.

وهناك بعض الفروق بين التلكينسس وبين مايتمتع به عامر. فالتلكينسس ظاهرة موجودة فى أعماق الإنسان، أما مايتمتع به عامر فهى أيضا قوى داخلية يقوم المرء بموالتها وتنميتها.. فإذا كانت الحواس الغير واضحة مثل الحاسة السادسة تتضح فى الإنسان إذا

---

(٣٢) المصدر السابق ص ١٧٠.

انعدمت حاسة من الحواس الملموسة كالشم أو اللمس والسمع والرؤية .. فإن هذه القوى برزت داخل عامر عندما فقد كل أحاسيسه وقواه الخارجية . وهو يستغل هذه القوة أولا محاولا إحداث اتصال أثيرى بينه وبين الطبيب .

يجد عامر نفسه مهيئا ليأمر ملايين الخلايا بمخه ، وآلاف المراكز العصبية بأنحاء بدنه بالاستعداد ، سوف يحاول أن يتصل بالعالم الرابض على بعد خطوات منه .. وأخيرا يستطيع أن يجمع شتاته ويمكنه أن يشكل ملامح الكائن الذى يجلس قبالته مرتكنا على جسم مسطح ويمسك قلما للكتابة .

ويتم الاتصال بين الإثنين .. الطبيب يكتب على الورقة .. ويشعر بأثيرية من صديقه الذى يحتضر .. هل حقا توصلت إلى جانب من القوة الهائلة الكامنة بداخلى هل عرفت مكانها وحركت مفاتيحها . أخضعت جزءا ولو يسيرا منها لإرادتى .. لمشيئتى ؟ .

" أى جهد خارق بذلت لأركز كل خلجة فى نفسى .. كل ذرة فى عقلى . لأحرر روحى من قيد جسدى .. فتناول اتحادها الأعظم مع قوى أعماقى .. المستمدة من قوى الكون اللانهائية " .

ويقول الكاتب على لسان مريضه إن الإنسان قد توصل فيما قبل التاريخ إلى استدعاء الطاقات غير العادية لجسده .. إلى السيطرة عليها ومن ثم التحكم فى الموجودات عن طريقها ، لكن مع قدوم الالة وعصر التقنيات ، أندثرت قدرات الإنسان الداخلية فأعلن عجزه الروحى ونبذ طاقاته الروحية ، واستسلم لما يحيطه من مادة منظورة ملموسة .

وتبدأ القدرة الداخلية فى عامر أولا فى تحريك القلم فى يد صديقه الطبيب ليكتب ماقصد أن يعبر به عن لسانه . وذلك مثلما استطاع المريض مورلار أن يهدد بتحطيم الكاتدرائية فأحس الدكتور بذلك دون أن ينطق ببنت شفة . حيث يدور حوار بين الطبيب على الورق وداخل عقل المريض .. وفى هذا الحوار يتحدث المريض عن الكتب الأربعة والأربعين الصفراء الورق ، التى تتكلم عن قدرات الإنسان الخارقة للطبيعة تتحدث هذه الكتب عن التنبؤ والإدراك المسبق . والتحكم فى أعضاء الجسم . وتهتم أكثر

بالقدرة على تحريك المائدة وإطلاق الطاقات الكامنة ، والتأثير بالخير والشر على الكائنات البعيدة .

" أنشد التوصل إلى القوى التى تحرك المادة على بعد عشرات الأمتار .. تنقل شجرة ، تطلق سيارة ، تشفى مريضا ، تجلب النقود ، تبنى جدارا [٣٣] .

ويقرر بالفعل أن يبنى جدارا ..

يطلب شراء حمولة سيارة كاملة من طوب البناء الأحمر .. وعدد عشرين كيس إسمنت ، وحمولة عشرة أمتار رمل أصفر .

ويتم أحضار المطلوب بناء على أمر المحتضر الذى يتساءل : " هل أتوصل لله الأعظم الذى أفقدنا إياه تعاقب المدنيات المغرقة فى ماديتها . البالغة التشيع فى اليتها . يعيش انسان اليوم وسط غابة من أبراجه الحديدية والمعدنية ، وعدده ومنشآته الشاهقة السامقة . وفى قلب محيط من أقمار السماء الصناعية .. والكترون الأرض المذهب .. وموجات اللاسلكى التى تتقاذفها هوائيات العالم فى إيقاع واحد وزمن واحد .. " [٣٤] .

ولا أعرف لماذا روى الكاتب حكاية رحلة عامر مع أبيه وهو فى الثامنة من عمره إلى ذلك الرجل الذى له قواه الخارقة والذى استطاع أن يرتفع نحو متر ونصف .. فما فعله الشيخ النجيدى هذا ليس من قوى الإنسان الداخلية التى يقرها العلم . خاصة هذا الشيخ قد نأى عن الخلق وكافة متع الدنيا . يقول الأب :

" إن فعلة الشيخ محصلة سنين طويلة من إيمان مطلق ، وصبر وجلد راسخين ، ثم وقدة من شجاعة نادرة . فيشتعل العقل بأقصى طاقاته وقدراته ، محرر الإرادة لتصبح دقائق موحية تنفذ فى الأثير .. إلى بعيد .. إلى بعيد . إلى الأقاصى . وعندئذ فلاتسألنى عما فى مقدور الشخص أن يفعل " [٣٥] .

وكما استطاعت كارى المراهقة أن تنتقم من هؤلاء الذين سخروا منها وأسالوا دماء الخنازير فوق رءوسها أثناء الحفل فسلطت عليهم قوتها الداخلية وسادت الحرائق وانتشر

---

(٣٣) المصدر السابق ص ١٨٢ .

(٣٤) المصدر السابق ص ١٩٣ .

(٣٥) المصدر السابق ص ٢٢٨ .

الموت ، فإن عامر قبل أن يموت يقرر أن يتخلص من حماد ابن خالة زوجته والذى كان يحبها .. والذى دخل الغرفة عليه لينفرد به وليقول له كلاما كثيرا مفاده أنه هو الذى دبر حادث انفجار المعمل كى يتخلص منه . ويخبره أنه وزوجته متحابان . وأنها سيتزوجان بعد أن يموت ..

ويموت عامر فى ظروف غريبة .. وعندما تصعد روحه يلاحظ الجميع أن الحائط قد تم بناؤه وأصبح جداره سميكا ، ثم استقام فى نفس الموقع المخصص للبناء رشيقا منسقا منضبط الجوانب والزوايا . إنه يرتفع بارتفاع قامة الرجل وبعرض قامتين ، ويمتد إلى نحو عشرين قامة معتدلة متجاورة .(٣٦)

داخل هذا الجدار تصلبت جثة حماد الشرير.. أى أن عامر رجل خير يمتلك هذه القوى الكامنة ، يستخدمها فى أعمال الخير وليس فى أعمال الشر.. لكن مورلار يستخدمها فى الشر.. فهو قد قتل والده ويكاد أن يقتل ملكة انجلترا .

وقد يحدث نوع من اللغط فى مثل هذا النوع من الكتابات .. فقد انتشرت خلال السنوات الأخيرة ظاهرة الخوارق من خلال التقمص .. سواء تقمص روح شريرة أو شيطان لطفل صغير.. أو يتقمص روح شخص مات حديثا لآخر ولد حديثا .. وقد اختلطت هذه الأنواع إلى درجة لم يعد من الممكن التمايز بينها . أما نهاد شريف فكان محددا كعادته .. لم يخلط الخيال العلمى بالفنتازيا بالتقمص بالتلكنيسس .. واختار جانبا واحداً .. وتلك ميزة فى هذه الأقصوصة .

آلـة الزمـن

القارئ لأدب نهاد شريف لاشك سيلاحظ مدى شغف الكاتب الشديد بالرحلات التى يقوم بها أبطاله إلى أماكن عديدة... والرحلات إلى عوالم جديدة .. وهذه سمة استمدها الكاتب من إعجابه بأدب الخيال العلمى الكلاسيكى .. فالرحلات هى القاسم المشترك الأعظم فى هذا اللون من الأدب .. وما الخيال إلا رحلة ، وهو أيضا شغوف إلى حد بعيد برحلات أبطاله عبر الزمن .. ورغم أنه قد سافر مع أبطاله إلى

---

(٣٦) نهاد شريف. الذى تحدى الاعصار، دار المعارف – ١٩٨٠ – ص ٤٢ .

أماكن عديدة فإن أبرزها رحلته عبر الزمن. وما رحلة الدكتور حليم صبرون فى "**قاهر الزمن**" سوى رحلة زمنية خاصة فى الفصل الذى يتخيل فيه كامل العالم مع مطلع القرن القادم، وكيف سيكون شكل مدينة القاهرة.. وكيف سيتحقق حلم صبرون. والعودة ثانيا إلى واقع مدينة القاهرة عام ١٩٥١.

وأكثر قصص نهاد شريف تدور فى المستقبل رغم أنه ليس شرطا لأدب الخيال العلمى أن يدور فى المستقبل.. لكن نهاد شريف يعطى دائما مسافة زمن تقدر بحوالى عشرين عاما أو خمسة وعشرين عاما بين الزمن الذى يكتب فيه قصصه وبين الزمن الذى تدور فيه أحداث هذه القصص.. وأكثر هذه الأعمال كما ذكرنا تدور أحداثها فى فترات قصيرة جدا من أعوام العقد الأخير من القرن العشرين.

وهناك بعض الأقاصيص تدور فى القرن الثانى والعشرين وأخرى تدور فى القرن السادس والعشرين.. لكن أبرز مايتسم به الكثير من أعمال الكاتب هو رحلته عبر الزمن من خلال آلات زمن.. وهى ليست قريبة الشكل بالطبع من كتابات ويلز.. ولكن بلاشك أن الكاتب قد استفاد من قراءاته لأعمال ويلز فى هذا المضمار، وسوف نقوم هنا بتناول بعض هذه الأعمال التى تغزو الزمن.. حتى وإن كان التخيل الرئيسى فيها هو آلات الزمن.. ولعل أبرز هذه الرحلات تلك التى قام بها رجل فى أقصوصة "**السينكرفينا**".

فى حى الدقى يقع مبنى السينكر فينا الذى يدخل إليه الرواد ويرحلون عبر زمن يختارونه كما يشاءون.. سفينة الزمن هنا ليست جهازاً تدوس عليه فيسافر بك عبر الزمن.. ولكنه أقرب إلى شاشة سينما تسمى بسينما الذاكرة الدفنية، أو ما يختصرونه بالسينكر فينا.. ويصف الكاتب فكرته عن هذا العالم بأسلوب فى غاية البراعة.. فهو لايكشفه لنا بصورة مباشرة، ولكن الراوى يتحدث إلى الدكتور عوكل أن معلوماته شحيحة عن هذا الابتكار.. فهو يدور حول مقدرة المخ الفذة على تخزين مليون بليون معلومة، أو ما يزيد، وهذا ما يجعله أكثر أعضاء الأجسام الحية إثارة لعدد ضخم من علماء العالم. وقد تم التوصل إلى مكان الذاكرة المنسية أو إرشيف ذكريات الماضى القصى فى بؤرة داخل مخ الإنسان.. فيمكن للإنسان ان يستعيد ذكريات فترة زمنية معينة. فى أول الأمر أمكن استدعاء ذكريات العام بطوله، لكن العلماء فشلوا فى تحديد زمن أكثر تحديدا.. زمن

صغير مثل ساعات أو يوم أو شهر بذاته .. وعلى الشخص الذى يود أن يتذكر حدثا ما دار حقيقيا فى زمن من الماضى ان يضع اجهزة معينة فوق رأسه التى تقوم بعملية التداعى هذه .. فالراوى يود أن يعود بالذاكرة إلى زمن معين .. هو بالتحديد اليوم الرابع من شهر نوفمبر عام ٢١٢٨ كى يقوم باكتشاف الظروف التى قتل فيها أبوه .. وعلى الكاتب أن يعرض أبطاله لبعض المشاكل والمعاناة . فبعد العديد من التجارب المتواصلة يتمكن من تحديد البؤرة الزمنية المعينة التى يفتش عنها الراوى فى السينما التى تغزو الذكريات . ومن البراعة هنا أن ينفلت الشخص بجسده وفكره وكل حواسه داخل الماضى .. وليس الأمر مجرد رؤية فقط ..

" انفلت .. تسلل .. من أعماق أعماق شئ مبهم غير مرئى .. وعدت خفيفا .. منتشيا .. منطلق الأنفاس .. أعمل من السنوات أربع عشرة فحسب .

" وإذا نفذت إلى خارج جسدى أو إلى داخل المنظر الذى انفتح أمامى ووجدتنى فى لمحة الطرف جزءا منه ..

" بدوت صبيا نحيفا ضامر الوجه .. وكنت أركب حوامة فردية خفيفة من تلك التى

تصنعها ورش أسيوط ..

ويستغرق الكاتب بعد ذلك فى وصف ماحدث فى تلك الليلة .. وبما أنه فى القرن الثانى والعشرين .. فعليه أن يتجاوب مع العصر .. فطلقات الرصاص هى من الأشعة .. والتليفونات مرئية .. وهناك ممر لمزروعات كوكب المريخ .. لكن العملية البوليسية التى يصفها الكاتب فى اكتشاف القاتل لاتهمنا هنا فى تناولها قدر اهتمامنا بجوانب التخيل العلمى فى هذه الأقصوصة . أما الكاتب فإنه يخيب الظن إذا اعتقد المرء أنه قد انهمك فى العملية البوليسية والكشف عن القاتل .. لأنه يقوم بالتوصل إلى هذا القاتل – أو بالاحرى القاتلة – من خلال نفس الجهاز، حيث يتم استدعاء زوجة الأب إلى دار السينكرفينا بحجة أن الدار تقدم " نوعا مبتكرا من استعراضات التجوال فى أنحاء الذاكرة البشرية " . وفعلا تذهب المرأة إلى فخ قدرها .. وهنا تتضح أهمية ارتباط المخترعات العلمية فى المستقبل بخدمة البشرية فى المجالات المختلفة .. مثلما يحدث فى كل عصر .. وهنا

فإن السينكرفينا تقوم بمكافحة الجريمة .. وكان الكاتب بارعا فى وصف الأجواء البوليسية التى تكشف لنا أن زوجة الأب ليست هى القاتلة وبل شقيق الراوى.

* * *

والكاتب شغوف جدا بالتركيز على العلاقة بين البشر وبين الزمن .. إنه يود أن يغزو الزمن .. وأن يقهره .. أو أن يجعله أداة لخدمة أغراضه .. لأن الزمن هو العدو الأول للإنسان أكثر منه صديقا ولأن عمر الإنسان محدود الزمن غالبا .. فإن نهاد شريف شغوف بالتركيز على هذه النقطة فى رواياته وأقاصيصه جميعها .. حتى وإن لم تتناول هذه الأقاصيص موضوع آلة الزمن بصورة مباشرة .. وقبل أن نركز على هذا الموضوع علينا أن نذكر أسماء بعض هذه الأقاصيص منها : " **الهجرة إلى المستقبل** .. " و" **توقفت عقارب الساعة** " و" **المارد الفضى** " و" **عين السماء** " و" **العقد** " و" **ثقب فى جدار الزمن** ".

فالكاتب يحلم بالخلود فى هذه الأقاصيص دون توقف .. وماحلم الدكتور حليم صبرون فى " **قاهر الزمن** " إلا أول هذه الأحلام الطويلة التى تؤرق الكاتب دوما .. وفى " **الهجرة إلى المستقبل** " يتساءل الكاتب من خلال أبطاله : " ترى .. هل حقيقة .. لم يعد الموت هو النهاية المحتمة لتواجد البشره .. وإن دوام الشباب بديل آمن على الدوام ؟ " ويقول : " رغبة الإنسان فى إطالة عمره أو فى التعلق بالحياة لن تتوقف ".

والكاتب فى هذه الأقصوصة يعود من جديد إلى موضوعه المفضل حول التبريد .. والقصة تدور أحداثها فى عام ٢٠٦٥ .. ولكن من علامات هذا الزمن أن هناك مدينة بها مليون ناطحة سحاب هى عاصمة وادى النطرون .. وبالطبع .. فالزمن ليس قريبا .. بل اعتقد أنه بعيد إلى حد كبير .. وفى هذا الزمن توصل العلماء إلى إجراء عمليات التبريد التجارية .. وهى التى كان ينادى بها حليم صبرون ..يمكن تبريد جزء من الإنسان. أو كله. الشباب هنا فى سن الثمانين. الفروق بين الناس هى فروق فى الحيوية والنشاط وليست فى السن .. ينسلخ الناس من الشيخوخة نحو الصبا – سوف نرى الكاتب شغوفا أيضا بهذا الموضوع فى القصة – فشيوخ الأمس هم شباب اليوم .. ويمكن الآن أن يقوم البشر بتجميد أنفسهم عدد من المرات والحياة أكثر من حيوات ... فإحدى النساء قد

بلغ بها الأمر أن جرت عليها تجربة التجمد مرات خمس بلغ مجموعها مائة وخمسة وثمانين عاما .

والتجميد كما يرى الدكتور صبرون ليس مجرد قهر الزمن .. بل هو قهر للأمراض . والتغلب على المستعصى منها .. وهنا أيضا فى وادى النطرون ينظر الكاتب إلى التجميد بنفس النظرة .. فهو " لابد وأن يفتح الباب على مصراعيه أمام التوصل إلى الفرد الكامل الخالى من عيوب النفس والجسد .. على المستوى الشعبي العام وليس الخاص .. "

ويقدم الكاتب هنا رأيا لأحد الأشخاص يعلن عدم إعجابه بالتبريد .. صاحب هذا الرأى يرى أنه قد قضى على الروابط والتقاليد العائلية .. فكلمة الأسرة قد محيت من قاموس البشر منذ أن بدأ عصر التبريد .. والكاتب يسوق حوارا بين اثنين من المعارضين .. يقول المؤيد أن التبريد قد حقق حلما من اغلى الاحلام البشرية .. فقد قام التبريد بخدمات منها إطالة الحياة والتعلم وتلقى المعلومات أثناء ثبات التجميد والعلاج عبر الزمن .. والتأريخ واقعيا .. والسفر بين الكواكب والهرب من كوارث الطبيعة وأهوال الحروب .. واتقاء المجاعات والأوبئة .. والحفاظ على العلماء والنوابغ وذوى الطاقات المميزة .. والسياحة والهجرة عبر الحضارات . عبر المستقبل .

وقد كان يمكن لنا أن نتناول هذه القصة ضمن حديث عن السبات الطويل . لكن هناك حدود غير فاصلة بين كتابات أدب الخيال العلمى . فآلات الزمن هنا هى أجهزة التبريد . وكما قلنا وأشرنا إن مايقوله الكاتب هنا لايتغير كثيراً عن كلام الدكتور حليم صبرون .

وفى هذه الأقصوصة يقوم الكاتب بوصف عملية تبريد أحد أبناء عائله النطرونى . وسط أحتفال بعض أفراد العائلة بهذا الأمر .. وإقامة مراسم التوديع . سوف يتم توديع علوى لمدة الف عام تَبدأ من العام الذى تدور فيه أحداث هذه القصة وحتى عام ٣٠٦٥ .

والكاتب الذى تؤرقه مشكلة الخلود .. لايود أن يقع مع نقاده أو قراءه فى مجادلات حول الدين والموت .. وإرادة الله ومشيئته فى الموت .. وهو يهرب دائما من هذه القضية الأزلية بأن يقف فى السطور الأخيرة من أعماله إلى جانب الرأى الذى يعضده الدين .

وذلك بأن الإنسان سيموت حتى لو طال به الأمد إلى مليون عام ، ومثلما قتل نهاد شريف حليم صبرون وقتل معه هذه التجربة .. فإنه يؤكد فى اقصوصته ان " **الختام هو الختام** " ويعنى به الموت .. وكأن الكاتب الذى حلم لنا بانتهاء الأمراض وبخلق عصر قهر فيه الزمن والشيخوخة ومقومات الموت .. إنما يوقظنا على حلم آخر – إنه أيضا حقيقة مخيفة – ان الموت موجود .. وإن كل هذا ليس سوى خيالات أو أحلام كاتب .. وربما من هنا جاءت فكرة تسمية هذه الكتابات بالخيال .. وإن كنت أرى أن أدباء هذا النوع يمزجون مشاكل العصر الذى يعيشونه .. ومشاكل الوجود والعدم التى تؤرق الإنسان والفلاسفة منذ بدء الخليقة حتى اليوم ليسوقها فى إطار رائع .. يود التغلب على هذه المشاكل التى تؤرقه وأهمها الموت . والزمن بالطبع .. ولذا فإن الكاتب لاتهمه كثيرا المشاكل التى تجرى من حوله قدر اهتمامه بالمعاناة التى تهمه وأرقت الآخرين ، فمهما كانت المشاكل التى يعانى منها البشر من زيادة النسل والجوع والمرض والحروب .. فإن مشكلة الوجود والعدم وهو أعمق هذه المشاكل .. لأنها القضية التى تنصب فيها كل القضايا .

* * *

وإذا كان نهاد شريف قد قهر الزمن فى بعض الأحيان بالتبريد .. فإنه فى أحيان أخرى يحاول أن يقوم بهذه العملية من خلال بعض المشروبات الطبية التى يتناولها البشر .. ويسميها أكسير الحياة .. هذا الأكسير موجود فى اقصوصة " **المارد الفضى** " و " **العقد** " وسوف نتناول القصة الأخيرة ضمن موضوع آخر هو مجالات الطب لدى نهاد شريف .. لكن هناك تشابها واضحا أيضا بين هذين العملين ، مثلما حدث التشابه بين " **قاهر الزمن** " و " **الهجرة إلى المستقبل** " .

فى " **المارد الفضى** " تم التوصل إلى سر أكسير إطالة الحياة .. الكاتب هنا يختار مكان يسميه دولة جزيرة المعمرين .. الزعيم هناك يسمى الكبير أو المعمر الأكبر فقد تخطى سنه المائتين والثلاثين عاما .. أما الثانى أو الحاكم الروحى لدولة جزيرة المروج الخضراء – تدور الأحداث فى القرن الثلاثين – فهو أيضا من المعمرين ، رغم أن الكاتب لم يشر إلى حقيقة سنه .

بعض أدباء الخيال العلمى يميلون إلى التخصص فى كتابة موضوعاتهم .. كأن يتناولون موضوعا واحدا فقط فى كتاباتهم.. ويدققون فيه. وفى كتابات الخيال العلمى المتعددة قد يختارون واحدا من بين موضوعات مثل غزو الفضاء، أو الطب أو عالم ماتحت البحار.. أو الفيزياء أو الخيال السياسى.. وبعض هؤلاء الكتاب يميلون إلى الكتابة – وهم أكثرية، فى الموضوعات المختلفة التى يمكن أن يتناولها أدب الخيال العلمى.. ومن هؤلاء الكتاب نهاد شريف..

فرغم أن نتاج نهاد شريف قليل فى مجال الإبداع الروائى – ثلاث روايات – فإن الكاتب قد خاض مجالات عديدة فى مجموعاته القصصية الأربع التى عرفت طريقها نحو النشر ظهرت فيها قدرته على التنوع والاهتمام بمختلف المجالات الخاصة بأدب هذا النوع.. وإذا كان البعض يتصور أن أدب هذا النوع هو غزو المستقبل فقط أو الصعود إلى الفضاء أو ركوب آلات الزمن.. فأدب النوع يمكنه أن يغزو الحاضر.. والماضى فى بعض الأحيان.. وهناك علاقة لهذا الأدب بكل من مجالات العلم المختلفة ولاسيما الطب.. ولعل مجال الطب يعد من أهم المجالات التى يمكن أن يخوضها أدب النوع.. وماغزو الزمن وقهره إلا محاولة من عالم طبيب لقهر هذا الزمن.. وأبطال هذه الأعمال دائما هم من الأطباء الذين لهم دراية كبيرة بعلوم الطب.. وهم أيضا يفكرون فى هندسة الطب، ولعل أبرز مثال على ذلك الدكتور حليم صبرون.. كما أن أبطال رواية "**سكان العالم الثانى**" هم من العلماء.. من بينهم الطبيب والفيزيائى.. وهناك صلة خاصة بين الأطباء وبين أبطال نهاد شريف.. فهناك الطبيب فى "**مندوبة فوق العادة**" وطبيب آخر فى "**الذى تحدى الإعصار**" و "**أطباء فى العقد**" و "**الماسات الزيتونية**" و "**عندما يفشل العلم مرة**".

وسوف نتناول الآن خيال نهاد شريف فى مجال الطب.. وقد رأينا أن الطبيب فى "مندوبة فوق العادة" هو أحد المتخصصين فى الأمراض الجلدية. لكنه يدرس العلاقة بين الفيروسات ومرض السرطان أو مرض الخلايا، لأن الخلايا هى التى تتأثر وتخرج عن النظام العام للجسم فى الميلاد والتغذية والنمو والموت.. ولذا كانت أبحاثه تنصب فى مجال سرطان الجلد.. أنه يود أن يصل إلى تركيب مصل مضاد لسرطان الجلد.. فهو يرى أن

السبب هو فيروس .. وعليه أن يكتشف نسبة عالية من عناصر المقاومة فى أجسام بعض المصابين بهذا المرض ..

وبالفعل فإنه بعد العديد من التجارب المتكررة وبمعاملة مزرعة الفيروس المعزول بمستخلصات نباتية معينة ، ونوع من المضادات الحيوية الحديثة لايكشف الكاتب عن اسمها ثم بعد تعريض المزرعة لإشعاعات بالغة التركيز يستطيع أن يصنع المصل .. وهنا يكمن التخيل فى أدب الكاتب .. فالعلم لم يصل بعد إلى مثل هذا المصل وإنْ كنا لانشك فى أن هذا الأمر سوف يحدث فى فترة زمنية قريبة .

ونهاد شريف يستفيد من هذا الأمر ليروى قصة امرأة قادمة من الفضاء تبحث عن علاج لزوجها الذى أصيب فى الفضاء .. وليربط بين الطبيب صاحب الاختراع وبين هذه المرأة التى أحبها .

ولعل الفكرة التى قدمها نهاد شريف فى أُقصوصته " **العقد** " قريبة إلى حد كبير من روايته " **قاهر الزمن** " ، فكلا العملين حول إطالة العمر .. الرواية عن طريق التبريد .. والأقصوصة عن طريق تناول أكسير الحياة .. والغموض الذى يكتنف حوادث كل منها حول مايدور فى هذا القصر القديم المعزول .. والطبيب الذى يتولى التجارب لإطالة عمر البشر .. وكلاب الحراسة الشرسة والتوابيت التى يتم فيها نقل الأجساد والتى يتم الاختبارات عليها . ورجال قبيحو الخلقات يتولون عمليات الحراسة وآنات وصراخات صاخبة يتخللها عزف موسيقى .

ومثلما يتحدث كامل عن نفسه فى أحد فصول الرواية بأنه سوبرمانى الصفات ، فإن الراوى فى أقصوصة " **العقد** " مولع بأفلام المغامرات السينمائية كما أن " خبرتى البوليسية تساعدنى على الحكم الصائب لاختيار أنسب مخابئ ملوك الظلام والعالم السفلى .. "

أما متولى باشا أو الصورة المقاربة للدكتور حليم صبرون ، فهو طبيب للأمراض الباطنية ذائع الصيت . كان على ثراء فاحش . يبدو نشطا على الدوام رغم التجاعيد التى تملأ وجهه وبشرته ، وقد كان محسنا لايرد مريضا فقيرا ..

وكما قلنا فإن هناك كلابا شرسة تنبح خارج كل من القصر وڤيللا دكتور صبرون .. وكما أن كامل يتسلل ذات ليلة إلى الڤيللا ليحاول ان يستطلع مايحدث بداخلها ، فإن الراوى

فى " **القصر**" يتسلل ليلا إلى هناك لمعرفة مايدور بالداخل.. خاصة بعد أن علم أن عم له يدعى متولى (٦٦ عاما) يتردد على القصر بصفة منتظمة ليلا .. وأيضا هناك التابوت الذى يخرجونه من اعماق الظلمة . فى الرواية يوضع التابوت فى عربة تجرها جياد . لكن التابوت هنا يوضع فى سيارة .

ومثلما اقتحم كامل الفيللا ، يدخل الراوى (نصرى عبيد) القصر للسؤال عن عمه . " قبعت بجوار أقل الأسوار ارتفاعا إلى أن مر على هبوط الظلام ساعات ثلاث . حينئذ ألقيت فى هدوء قطع اللحم الممزوجة بالمخدر.

" استلقى الكلب يلهث فى حشرجة ..

" اعتليت السور وبعد مهلة قفزت إلى الحديقة "[٣٧] .

وعندما يدخل القصر يفاجأ أن هناك أجسادا تتحرك كالأشباح فى القصر. " لها قسمات دب فيها نتن القبر قبل الأوان .. متقلصة ومشوهة وكريهة .. تملأ التجاعيد كل ثنية فيها .. وتنتشر القروح والبثور غائرة فى أنحائها .. وكانت الرءوس كلها صلعاء تماما " اشبه بصلعة الدكتور حليم صبرون .

ويكتشف نصرى مايدور فى القصر. خيال الكاتب هنا مزيج بين علم الطب وعلم الصيدلة . فالباشا قد اكتشف معجزة علمية فريدة .. هى تركيب أكسير يؤخذ كشرابا يطيل الحياة البشرية إلى مايزيد على ضعف قدرها الحالى.. والدكتور الذى يبدو فى الخمسين هو أول من استعمل أكسير الحياة وهو فى حقيقة الأمر قد تجاوز المائة والعشرين عاما .. ونهاد شريف لايؤكد كثيرا فى هذه الأقصوصة على بعض التفاصيل العلمية حول هذا الاكسير أو تركيبه الكيماوى مثلما يفعل فى بعض الأحيان ، حين يصف وصفا تقريريا الفكرة العلمية التى يتحدث عنها .. فهو يتصور هنا أن هناك أكسيراً لإطالة الحياة وكل مايحاول أن يقوله عن هذا الأكسير إنه نوع نادر من الفطر أمكن تحضيره بعد تجارب تنقية وعزل وتسخين شاقة .. وهذا الفطر يهاجم التحللات وأخطار الاتزان فى الأجهزة الداخلية الحيوية بالجسد البشرى.. ولعل هذه فكرة صحيحة علميا .. إذ أن الموت الطبيعى

---

(٣٧) نهاد شريف. الماسات الزيتونية ، دار المعارف ، سلسلة اقرأ. ١٩٧٩ ص ٢٩ .

يحدث عندما يكون ، هناك خلل فى دورة كربس الحيوية ، ويصبح معدل الهدم أكبر من معدل البناء داخل الجسم .. ولعل الدكتور متولى قد تنبه إلى ذلك .. لأن إيجاد معدل دائم بين معدلّ الهدم والبناء يمكن بها السيطرة على مرض الشيخوخة تماما وتأجيل سريانها لسنين أخرى عديدة .. وهذا معناه أن أجهزة الجسم المختلفة تظل تعمل طبيعيا مادام المرء يتناول هذا الأكسير الذى يقوم بإحداث التعادل فى دورة كربس .

ويقول الكاتب على لسان أحد أبطاله : " شيوخ كانوا على حافة القبر .. تناولوا الأكسير فلم يموتوا .. بقوا أحياء سنين طويلة وإن استمرت أنسجتهم الخارجية فى الموات دقيقة بدقيقة ببطء شديد .. لذلك فالرجال لايجسرون على مبارحة القصر وترك أسواره ، فلو رآهم الناس بهيئاتهم المزرية هذه لتجنبوهم أو نفروا منهم ..

وكما أشرنا فإن نهاد شريف يحاول أن يقهر الزمن من جديد .. ينظر إلى أعماق سنين الشيخوخة .. ويحاول أن يهرب بها . فيتخيل هذا الأكسير بعد أن تخيل عملية التبريد ، وينكمش متألما وهو يتذكر مايحدث للإنسان وهو فى سن الشيخوخة .

وهناك أجزاء من هذه الأقصوصة تذكرنى بفيلم **" ثوانى "** SECONDS أخرجه جون فرانكنهايمر وبطولة روك هدسون .. ويدور هذا الفيلم حول إحدى المؤسسات التى تتمكن من تغيير هوية الإنسان تماما .. حيث تقوم باستقطاب بعض المسنين وتحولهم إلى شباب يصبحون أشخاصاً جدد .. يحملون أسماء جديدة .. ويظلون قابعين فى مبنى المؤسسة .. لكن أحد هؤلاء الاشخاص لايتقبل وضعه الجديد .. إنه يحن إلى بيته القديم . ومن الداخل تسيطر عليه شخصيته الحقيقية .. وعندما تجد المؤسسة أنها قد فشلت فى تغيير هويته الداخلية أيضا تقوم بقتله .

ومثل هذه الفكرة يستخدمها نهاد شريف فى هذه الأقصوصة . فصادق ومتولى اسمان لشخص واحد . والشخصيات التى يتم تصغيرها والاحتفاظ بشبابها يعيشون فى القصر بصفة دائمة يتناولون أشهى الأطعمة ، ويلبسون أغلى الثياب ، ويتمتعون بمباهجهم المحلية من موسيقى والعاب للتسلية وكتب ومجلات للقراءة .. والمؤسسة فى الفيلم تظل موجودة تقضى على كل من يعترض أمرها وهى بالغة السرية .. كما أنها لاتنتهى فى **" القصر "** .

وجدير بنا أن نشير من جديد إلى وعى الكاتب بما يمكن أن تسوقه مثل هذه الأفكار من معارضة المعارضين فيؤكد من جديد أن الخاتمة هى الخاتمة واحدة.. ولو بعد ألف عام واحدة ولامهرب منها. ويؤكد أيضا أن كل هؤلاء المسنين الشباب سيودعون الحياة بعد عمر طويل.

أما الأقصوصة الثانية التى تناول فيها نهاد شريف مجال الطب فهى **"الماسات الزيتونية"** والتى فيها يتخيل موضوعا طريفاً للغاية.. فبدلا من أن تقوم الكلية بفرز حصوات.. فإنه يمكن للطبيب أو باحث أن يجعلها تفرز ماسات.. وكأن كلية الإنسان أشبه بالمحار الذى يفرز اللؤلؤ.. وفى هذه يبيعها – بعد استخراجها – لأحد محلات الجواهر بخان الخليلى.

والدكتور عبد اللطيف شوقى يقول أنه قد اهتم بحصى الإكسالات التى يكونها ذلك الراسب الملحى المتبلور والتى تمتاز بالأطراف الحادة القاطعة فى ضراوة. وكان كلما أمسك بواحدة من هذه الحصوات الملعونة ليحاول سحقها فيفشل. يتساءل عن الفارق بين هذه الحصوات وبين حصوات الماس. ويقتنع أن عليه أن يعمل على إنبات حصوة ماس حقيقية بكلية شخص مريض.. يقرأ الكثير عن الماس.. عن نظريات تكوينه وأنواعه.. فالماس ليس سوى كربون نقى متبلور، يحتاج إلى نوع من المعالجة الحرارية الساخنة والباردة.. ويقوم بتجارب على الحيوانات، ينجح فيها باستخراج نماذج من خام الماس فى حجم رءوس الدبابيس: "ابحث بين الكلى المريضة عن تلك التى ترسب ملح الاكسلات.. فإذا ما وجدت كلية فى بداية تكوينها للحصاة، بحيث لايزيد حجم الحصاة عن مجرد رملة بحجم مليمتر مكعب أومليمترين، التقطت الخيط وبدأت العمل الفورى"[٣٨] وهذه هى الفكرة.

إنه يتمكن من تكوين الحصاة وينزلها من الجسم بمساعدة توسعات الحالب ومدرات البول المعروفة، أو عن طريق الجراحة. وتتكرر التجربة. تخرج الماسات زيتونية ويقوم ببيعها على طوال سنوات لأحد تجار الماسات. والكاتب يجعل بطله يقوم بإجراء التجربة

---

(٣٨) نهاد شريف. الماسات الزيتونية، دار المعارف، سلسلة اقرأ. ١٩٧٩ ص ٢٩.

على كليتيه الواحدة بعد الأخرى. إحدى التجارب تسفر عن سبع حصوات، والأخرى تأتى عليه تماما.

وهذه الفكرة من الأفكار المرتبطة للغاية بنهاد شريف.. فالكاتب يعانى منذ فترة من مرض الكلى. ومن خلال هذه المعاناة الدائمة المستمرة للكاتب مع هذا المرض ومن خلال تفكيره الدائم فى الوجود والعدم، تطارده الفكرة وتجعله يؤكد دائما العزف على هاتين الفكرتين فى أعماله.

الفصـل التاسـع

السـينما وأدب الخـيال العلمـى

السينما وأدب الخيال العلمى

لايمكن رصد اتجاهات ومدارس أدب الخيال العلمى دون الحديث عن سينما الخيال العلمى ؛ خاصة المرتبطة منها بالرواية المكتوبة ، وليس الأعمال السينمائية المكتوبة مباشرة للشاشة . فمثلما دخل على نوع هذا الأدب العديد من مسببات الهامشية . حدث أيضا فى السينما بصورة مكثفة .. وإذا كان أدب النوع قد وجد فرسانه الذين يكتبون له ، ويكرسون كل الجهد والوقت لتقديم روايات جديدة تنتمى إلى أدب النوع ، فإن هذا لم يحدث فى السينما . بمعنى أنه لايوجد مخرج سينمائى متخصص فقط فى إخراج أفلام الخيال العلمى وحدها ، بل هو يعمل فى كل النوعيات ، من أفلام الوسترن إلى أفلام البوليسية والمغامرات والخيال العلمى . وسوف نرى أن أغلب أبطال أفلام الخيال العلمى ليسوا سوى رجل الغرب بصورة أو بأخرى .. وأنه بدلا من حمل مسدس وامتياط جياد ، فإنه يحمل أسلحة أكثر تطورا ويجوب الفضاء فى سفينة تقوم غالبا بدور الحصان . كذلك فليس هناك كاتب سيناريو متخصص فقط فى كتابة سيناريوهات هذا النوع حتى وإن لم يعتمد على نص أدبي، حتى المخرج والكاتب جورج لوكاس Georges LUCAS صاحب ثلاثية «حروب النجوم» STAR WARS.

وعند الحديث عن سينما الخيال العلمى – خاصة الأفلام المأخوذة عن روايات أدبية – يثار أيضا السؤال حول المنهج الذى يمكن للباحث أن يتبعه فى تتبع هذه الظاهرة . فهل يمكن تتبع تاريخ الخيال العلمى فى السينما منذ أن تبناه جورج ميليه GEORGE MEILES فى أوائل القرن .. أم يمكن تتبع الموضوعات التى اهتم بها هذا النوع السينمائى مثلما عمل دينيس جيفورد DENIS GIFFORD فى كتابه " **فيلم الخيال العلمى** " SCIENCE FICTION FILM الذى صدر منه حتى الآن أربع طبعات . أم نكتفى بالحديث عن أهم الظواهر والأفلام التى ظهرت فى السينما عبر التاريخ خاصة فى السنوات الأخيرة وهى الأقرب إلينا والأكثر تطورا فى سينما النوع من كافة الجوانب .. ؟

على كل ، فلكل جانب من هذه الجوانب البحثية عيوبه ومميزاته .. وسوف نعمل بقدر الامكان ان نمزج هذه المحاولات وغيرها فى محاولة واحدة .

من المهم أن نشير إلى أن أدب الخيال العلمى بصورته المعاصرة ليس سعيد الحظ كثيرا – مثلما يتصور البعض – قياسا إلى المرحلة الكلاسيكية منه . وهى المرحلة التى جذبت انتباه السينمائيين طوال عمر السينما . وكما يقول رولان لاكورب إن " محصلة الخيال العلمى السينمائى هى أبعد ما تكون عن هذا التطور الثرى للخيال العلمى الأدبى . فقد ظل الجانب الأكبر من السينما والجمهور واقفا عند المرحلة الأولى ونعنى بها مرحلة " جول فيرن " و هـ . ج . ويلز .. نجد جول فيرن فى مركز الصدارة بعدد رواياته التى اقتبست للسينما : **" عشرون ألف فرسخ تحت البحار "** و **" رحلة فى منتصف الارض "** و **" سيد العالم "** و **" الجزيرة الغامضة "** الخ ... ويتبعه هـ . ج . ويلز فى **" حرب العوالم "** و **" الحياة فى المستقبل "** و **" الرجل الخفى "** و **" جزيرة الدكتور مورو "** و **" آلة الزمن "** .

أما " كونان دويل " فيتبوأ المركز الثالث . فروايته **" العالم المفقود "** لايحصى عدد المرات التى ظهرت فى السينما ، وكل الأفلام التالية التى صورت المناطق المفقودة حيث تعيش حيوانات عملاقة من قبل التاريخ ترتبط بهذا الموضوع "[1] .

ويمكن أن نتحدث أولا عن فيرن من خلال أشهر رواية له ظهرت فى السينما وهى **" عشرون ألف فرسخ تحت البحار "** التى كتبها عام ١٩٠٥ وبدت عملا هزيلا ينأى عن أفكار فيرن الحقيقية وتصوراته العلمية المدهشة . واهتم الفيلم فى المقام الأول بإبراز حدوته الوحش المائى الخرافى .. وإذا كان أشهر الأفلام التى تم إنتاجها هو الذى أنتجته ستوديوهات والت ديزنى عام ١٩٥٤ ، وأسندت إخراجه لمخرج جيد قدم لسينما النوع أفلاماً أخرى هامة منها **" الشمس الخضراء "** SOLYENT GREEN عام ١٩٧٣ وهو ريتشارد فلايشر RICHARD FLISHER . ولم يخرج الفيلم كثيرا عن النص الذى كتبه فيرن . ولكن المهم فى هذه التجربة أن شخصية الكابتن نيمو التى ابتدعها فيرن فى روايته قد أصبحت شخصية شعبية سينمائية . حيث اهتم المخرجون بتصوير عالم الكابتن نيمو من

(1) Roland La Corbe. Le Cinema De Science Fiction, Ecran, Juillet 1977 P. 36.

فيلم لآخر. وهذا العالم الذى استطاع اختراع سفينة نيوتولوس التى تجوب العالم من تحت البحار، هو إنسان وقور متزن. وثورى ومناضل وصاحب فكر. وعالم يسبق عصره. وهو يعيش فى جو فنتازى يمثل اليوتوبيا بالنسبة للكثير. لذا قدح السينمائيون خيالاتهم لتقديم الكابتن نيمو بصور متعددة. فبعد أن جسد هذه الشخصية جيمس ماسون رأينا العديد يقومون بنفس الدور فى أفلام مختلفة، منهم هربرت لوم فى فيلم **"الجزيرة الغامضة"** MYSTERIOUS ISLAND عن رواية أخرى لفيرن ومن إخراج جون اندفيلد عام ١٩٦١. أما روبرت ريان فقد قام بنفس الدور فى فيلم **"كابتن نيمو ومدينة تحت سطح الماء** CAPTAIN NEMO AND THE UNDER WATER CITY من إخراج والتر هيل عام ١٩٧١. وفى نفس العام جسد الدور أيضا عمر الشريف فى فيلم **"الجزيرة الغامضة"** من إخراج جون باروبم. هذا بالطبع غير أفلام عديدة قدمت الكابتن ينمو نفس الصورة. ورغم تعدد هذه الأفلام فإن الصورة التى قدمها فلايشر فى فيلمه هى الأصل دوما. فلم يكن الكابتن نيمو بالمغامر. وقد اجتمعت لهذا الفيلم عناصر نجاح كبيرة منها الإنتاج الضخم الذى حمله والت ديزنى على عاتقه لإنجاز الفيلم.

ومثلما حدث لهذا الفيلم فإن شركة يونايتدآرتست قد رصدت الكثير من أجل أن يخرج فيلم **"حول العالم فى ثمانين يوما"** لمايكل أندرسون عام ١٩٥٦ بالصورة التى نعرفها.

ومن أعمال فيرن الأخرى التى ظهرت فى السينما **"غزو القطب"** THE CONQUEST OF THE POLE لجورج ميليه عام ١٩١٢ فى فرنسا. وفيها أيضا تم إخراج رواية ميشيل ستروجوف. أما بريطانيا فقد أنتجت **"رحلة إلى منتصف الأرض"** عام ١٩٦٠ من إخراج مارك ليفين، وفى روسيا تم إنتاج رواية **"أبناء الكابت جرانت"**.

أما هربرت جورج ويلز فقد ظهرت أعمال كثيرة له فى السينما منها **"حرب العوالم"** و**"آلة الزمن"** التى أخرجها جورج بال عام ١٩٦٠ فى فيلم يعد من كلاسيكيات السينما. إلا أن أهم أعمال الكاتب التى وجدت طريقها إلى الشاشة هى **"جزيرة الدكتور مورو"** التى أسماها الكاتب حين نشرها عام ١٨٩٦ **"جزيرة الأرواح الضائعة"** ISLAND OF LOST SOULS. وفى عام ١٩٣٣ قام الممثل المشهور شارلز لوتون بدور الدكتور مورو فى فيلم يحمل نفس الاسم من إخراج بول كينتون. ثم أسند الدور مرة أخرى إلى بيرت

لانكستر عام ١٩٧٧ فى فيلم أخرجه دون تايلور، ومن المعروف أن الفيلم الأول قد منع فى بلاده بريطانيا لاعتباره مجافيا للذوق العام. ولكن مع تغير المفاهيم والظروف تقبل الناس النسخة الجديدة ببساطة النظرة إلى نوع الخيال العلمى. وهناك فارق كبير بين مورو فى الفيلمين. فى الفيلم الأول كان الطبيب مجنونا وشاذا، أما فى الفيلم الثانى فهو متعال أكثر منه مجنوناً. وهو يريد إثبات تفوقه وعقدة الكبر، وذلك باخضاع الآخرين، وسلبهم آدميتهم وإرادتهم .

وقد أضاف كاتبا السيناريو جون هيرمان شاير وآل هوبر إلى الفيلم شخصية لم تكن أصلا فى الرواية التى كتبها ويلز، ولا فى الفيلم الأول، هى ماريا التى أحبت البطل وهربت معه. وقد أرادا بهذا أن يضيفا لمسة جمالية إلى الفيلم لأن أغلب أبطاله مشوهون. فأضافا قصة حب إلى أجواء هى بالدرجة الأولى قاتمة.

هذه هى أهم الأفلام التى أخرجتها السينما عن المرحلة الكلاسيكية فى أدب النوع. وهى كما عرفنا تتناول موضوعات محدودة فى هذا الأدب قياسا إلى ماعرفناه فيما بعد. وفى الكتاب الذى نشره جيفور عام ١٩٧١ بمناسبة هبوط أول إنسان فوق القمر ذكر إن سينما الخيال العلمى قد انتجت حتى عام ١٩٧٠ خمسمائة فيلم[٢] . إلا أن المقال الذى نشرته آن لويد ANN LLIYD فى كتابها سينما السبعينات MOVIES OF THE SEVENTIES قد أكد أن هذا الرقم قد تضاعف فى السبعينات التى شهدت رواجا منقطع النظير لأدب وسينما النوع.

وتجئ صعوبة الحديث عن سينما الخيال العلمى نتيجة لتداخل أنواع أخرى مع أدب النوع، وقد تنبه رولان لاكورب إلى هذا الأمر فيقول إن الكثير من القصص قد صورتها السينما على أنها خيال علمى زائف مثل رواية " **رحلة إلى مركز الأرض** " و " **العالم المفقود** ". وهى روايات مغامرات تخضع لمتطلبات حبكة تقليدية لديكور أكثر شموخا. وإذا ما انطلقنا من هذا المنظور فسوف تتضح حقيقة عدد كبير من الأفلام المماثلة، فمترو بوليس METRO POLIS و " **الحياة فى المستقبل** " LIFE IN FUTURE هما فيلمان ينتميان إلى اليوتوبيا السياسية التى تشدد ليس على وصف مجتمع محتمل فى المستقبل

(2) Dennis Giford, Science Fiction Film, Studio Vista, London 1971, Page 12.

وإنما على صراع اجتماعى يقدم أصداء معاصرة ، وفيلم **"كوكب القرود"** PLANET OF APES هو أقرب إلى القصة الفلسفية منه إلى الخيال العلمى . وحتى فيلم **"اليوم الذى توقفت فيه الأرض"** الذى هو عمل خصب ومن الأعمال الناجحة للنوع ، ليس إلا فيلما من أفلام الالتزام السياسى (بالنسبة لعصره) بالاضافة إلى كونه من أفلام الخيال العلمى الذى يرى فيه المتخصصون فيلما يخلو من الجرأة .

وإعادة النظر فى هذه الأعمال التى تتناول التنبؤ هى شئ يخلو من أى تلاعب عقلى . بل تفرضها فى الواقع الروح التى تعالج بها الموضوعات من قبل السينمائيين . فلم يكن الخيال العلمى لعقود كثيرة نوعا ناضجا بما فيه الكفاية لكى يكون جديرا باقتباس سينمائى فى المقام الأول . فكان لابد من إعطاء شرعية للمشروع بإدخال بعض الاعتبارات الفلسفية والسياسية أو حتى التجارية . فمختلف الاقتباسات فى سلسلة **"فرانكنشتين"** مهما كانت براعتها هى جميعا ، وقبل كل شئ ، حبكات قصصية تتيح المجال لخلق جو الرعب .

أما **"الرجل الخفى"** THE INVISIBLE MAN و **"الدكتور سيكلوب"** DR. SYCLOPE فالهدف منها ليس سوى إبراز الحيل السينمائية . أمّا أفلام مثل **"هى"** ، **"تارنتولا"** ، و**"الوحوش الصخرية"** ، و**"فرسة النبى المميتة"** ، و**"جاء من أعماق البحار"** فهى أيضا مجرد حجة لإبراز تمويه خاضع لرمزية سياسية تتميز بالسذاجة . ولايبرز من هذه المجموعة سوى فيلم **"جزيرة الدكتور مورو"** وهو حكاية مجازية رصينة ومقنعة ، وإن كان المتعصبون للنوع يرفضون ربطه بالخيال العلمى [٣] .

من الواضح أن سينما الخيال العلمى قد جرت وراء المخترعات ، فأخذت تتفنن فى تقديمها بصورة متطورة تعطى شكل المستقبل . وقد راح العلماء يقدمون مخترعاتهم فى شتى ميادين الحياة ؛ سواء فى صناعة آلات ضخمة عملاقة ، أو فى المطارات أو المركبات الهائلة الصنع أو الغواصات أو الأنفاق ، أو الإنسان الآلى وأجهزة الحاسبات الآلية COMPUTERS والإشعاعات وغيرها .

فالآلات الضخمة التى بدأت تجد لها مكانا فى عالمنا ومصانعنا لم تعد ضربا من

---

(3) Roland La Corbe, Le Cinema De Science Fiction, Ecran Juillet 1977 P. 42.

التخيل مثل الآلة العملاقة التى تقوم "**بصناعة السجق**" التى ظهرت فى فيلم يحمل نفس العنوان عام ١٩٠١ . لم تعد سوى آلة بدائية فى المصانع التى تعتمد على صناعات اللحوم . أما الأجهزة الضخمة التى صورها جورج ميليه فى فيلمه "**رحلة إلى القمر**" عام ١٩٠٢ فتبدو الآن شديدة البدائية إلى جانب تلك الأجهزة العملاقة فى محطات الفضاء بالولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . ومن أشهر الآلات التى تخيلها صناع السينما ما رأيناه فى فيلم "**العصور الحديثة**" MODERN TI MES لشارلى شابلن و "**متروبوليس**" لفريتزلانج .

ولأنّ متروبوليس مدينة ضخمة فلابد أن تخدمها آلات بالغة الضخامة من أجل أن تمد ناطحات السحاب بما يلزمها من كهرباء ووسائل راحة عصرية . وهذه الآلات يعمل عليها عمال كثيرون لابد من السيطرة عليهم وأن يعملوا بنظام السخرة ، ولابد من قهرهم حتى لايفكروا مثلما يفعلَ الصفوة التى تسكن المدينة . ولو أن فريتزلانج قد أمكنه أن يخرج فيلمه عام ١٩٧٤ لاختلف الأمر .. ففى فيلم البرج الجهنمى TOWRING INFERNO لجون جيلرمين يرى أن الآلات التى تخدم ناطحة السحاب الضخمة لايلزمها كل هذا العدد من البشر بل مجموعة بسيطة من الأزرار، وأجهزة أكثر بساطة وتطورا ..

ومن بين الأجهزة العلمية التى ظهرت فى تاريخ السينما هناك "**مخبر الراديو**" RADIO DETECTIVE عام ١٩٢٦ . وفيلم عن "**الشرطى الكهربى**" ELECTORINC COP الذى ظهر فى الولايات المتحدة عام ١٩١١ . وفيلم "**فهرنهايت ٤٥١**" لفرانسوا تريفو الذى تنبأ بسيادة عصر التلفاز الذى ينهى عصر القراءة ، ويمكّن الحكام من السيطرة على البشر من خلال برامج تافهة يمكن بثها فى أجهزة التلفاز.

وعن أفلام المركبات . سوف نرى أن هناك مراكب صعدت إلى القمر على شكل قطار. وذلك فى فيلم "**دورة حول العالم**" AROUND THE WORLD عام ١٩٠٤ وفيلم ، "**صانع المواتير**" MOTOR, SMARER عام ١٩٠٤ . والعربات الغريبة الشكل فى فيلم "**حروب النجوم**" لجورج لوكاس . و "**سوبرمان**" لريتشارد دونر.. وفيلم

" **الغريب** " ALIEN لريدلى سكوت عام ١٩٧٩ . وأيضا فى فيلم " **٢٠٠١ أوديسا الفضاء** " لستانلى كيوبريك . وفى الفيلمين الأخيرين مثلا رأينا سفن فضاء بالغة الضخامة . فنوسترمو فى " **الغريب** " تزن عشرين مليون طن . يتحكم فى دورانها وحركتها عقل اليكترونى هائل يعرف باسم " **الأم** " وهذا العقل يتحدث ، ويفهم ، ويحس ، ويسيطر على الجميع مثلما كان يفعل العقل الإليكترونى هال فى فيلم كيوبريك . وهو يبلغ عن أعطال السفينة السابحة فى الفضاء الواسع ، ويلتقط الإنذار ، ويعرف جميع الحلول لكنه لايبلغها إلى طاقم السفينة الذى كان فى سبات طويل إلا إذا شاء هو. فهو إذن عقل " **لئيم** " . ويمكن للسفينة نوسترومو أن تظل سابحة فى الفضاء سنوات طويلة ، لذا فهى تضم كل مايمكن لملاحيها أن يطلبوه . وفيها الردهات الطويلة الواسعة . ويبدو أن صناع السينما قد اعجبوا بهذا النموذج فكرروه أكثر من مرة منها فى فيلم " **زحل ٣** " SATURN 3 لستانلى دونن عام ١٩٨١ . ثم فى الجزء الثانى من فيلم ALIENS لجيمس كاميرون عام ١٩٨٦ .

والمركبات الضخمة فى سينما الخيال العلمى لاتطير فقط خارج دائرة الأرض . بل يمكنها النزول إلى أعماق المحيطات مثل غواصة الكابتن نيمو. ومثل غواصات أخرى ظهرت فى أفلام أخرى منها مارأيناه فى فيلم " **الهوة السوداء** " THE BLACK HOLE عام ١٩٧٩ . وهى مركبات سهلة القيادة . جميلة الشكل مريحة لراكبيها . ومن أشهر هذه المركبات تلك السيارات المتطورة التى يقودها العميل السرى الانجليزى جيمس بوند فى أغلب أفلامه .

وهناك أيضا أفلام عن الأنفاق العملاقة . تعيش تحت هذه الأنفاق مجموعة من الناس تقوم بتجارب علمية بعضها لخدمة الإنسان والبعض الآخر لمحاولة تدميره والسيطرة عليه . مثل النفق الهائل الذى صوره لويس جيلبرت فى فيلم " **إنك تعيش مرتين فقط** " YOU ONLY LIVE TWICE ومن هذا النفق الهائل تحاول عصابة الشبح السيطرة على العالم ، فهناك محطة فضاء أرضية ضخمة يمكن من خلالها إطلاق صاروخ يتجه إلى الهدف الذى تسعى إليه هذه العصابة .

وإذا كان الكاتب التشيكى كارل تشابك أول من اخترع كلمة إنسان آلى

ROBOT فى مسرحيته R.A.R فإن السينما قد سبقته لتصوير الإنسان الآلى .. كما أصبح هذا الروبوت الموضوع المفضل فى أغلب سينما الخيال العلمى . فهو فى كثير من الأحيان خادم مطيع للإنسان فى مجالات مختلفة من حياته . لكنه قد يتحول إلى عدو شرير يطيح به ويقتله . من هذه الآلات فيلم " **الخادم الكهربى** " ELECTRONIC SERVICE الذى ظهر عام ١٩٠٩ . أما أشهر إنسان آلى ظهر فى السينما فهما الثنائى ووكى وديدو. وهما تابعان للأميرة ليا وللرجلين الذين يسعيان إلى إعادتها لعرشها المغتصب لوك سكاى ووك وهان سولو. وأهم مايميزهما هو المشاعر الإنسانية التى يحسها كل منها ، إما تجاه الآخر أو إزاء الآخرين . ويتمتع ديدو بنفس صفات صاحبه الآدمى سكاى ووك . فهو أرعن مثله . يندفع وراء أشياء مجهولة لايعرف كنهها وهو ما أدى به إلى أن يفكوه ويلقوا به إلى الأتون قبل أن ينقذه صديقه ووكى . ويمثل الثنائى الآلى هنا روح الفكاهة والدعابة فى الفيلم وقد صرح لوكاس أنهما تجسيد خيالى علمى لكل من لوريل وهاردى . وهو اختيار يمكن به إثبات أن الحيوان يمكنه أن يبدو بشريا مثل الإنسان(٤) . كما قال لوكاس أيضا : " لقد بلغت هدفى . وذلك أن اكشف للشباب أن اكتشاف الفضاء لايعد مغامرة علمية فقط ، ولكنه اكتشاف عاطفى وشاعرى . فإذا رحل أحد الملاحين يوما إلى المريخ فسوف يردد : لقد فعلت هذا لأننى آمل أن أقابل ووكى . وعندما سيحدث هذا سأكون سعيدا "(٥)

أما أشهر نماذج الإنسان الآلى الشرير. فهو أقرب فى صورته إلى البشر. وذلك فى فيلم " **الغريب** " فهو آش ASH الرئيس الفعلى لسفينة الفضاء نوسترومو. فهو الذى طلب الاحتفاظ بالحيوان الغريب عندما أتوا به من كوكب مويوء فى أول أطواره بدعوى فحصه ودراسته . وهو يهاجم الدكتورة ريبلى ويضربها لأنها بدأت الارتياب فيه . وهى التى تكتشف حقيقته فى النهاية عندما يصطدم بالحائط فتنفصل رأسه عن جسده . فهو إنسان آلى مصنوع من أسلاك كهربية . وعندما يعيدون أسلاك آش تتكلم رأسه قائلة إن الغريب جسم مثالى ، فهو قادر على الحياة الأبدية وهو كائن بلا ضمير أو أوهام تفسد عليه سلوكه . وهو سيعيش أبدا ، ويخبرهم أنه إنسان آلى صنعته إحدى الشركات التى أنتجت

(4) Francois Forestier, Les Fastes De L'Empire, L'Express 16 Aout 1980 PAGE 21.

(5) Ibid.

نوسترومو كى تجلب من الفضاء أشياء غريبة يمكن بها التحكم فى الأرض واستغلالها فى حروب العوالم.

كما أن هناك إنسانا آليا آخر مصنوع فى صورة إنسان فى فيلم " **رجل الغرب** " WEST WORLD الذى أخرجه مايكل كرايتون عام ١٩٧٣. وتدور الأحداث هنا فى مدينة دبلوس الأقرب إلى ديزنى لاند. وهى مشروع معمارى كبير أنشئ بهدف الترفيه عن الزوار مقابل ألف دولار يوميا. أى أن المترددين هنا ليسوا سوى النخبة . والبرنامج فى ديلوس اختيارى، فالزائر قد يعود إلى القرون الوسطى فى أوروبا أو يمكنه الذهاب إلى إحدى مدن الغرب فى عام ١٨٨٠. والمدينة مليئة بنماذج الإنسان الآلى. وجرلنجر الإنسان الآلى يمكنه ان يرفع مسدسه ويشهره فى وجه الزوار. وعندما يصاب يذهبون به إلى ورشه الإصلاح.. ومثلما تم برمجه آش فى " **الغريب** " فإن الأمر يحدث لجرلنجر الذى تخطئ برمجته فيصبح من الصعب السيطرة عليه أو التحكم فيه، فيطارد أحد الزوار داخل كل العصور التى يمكن الذهاب إليها فى ديلوس.

فى كتاب دينيس جيفورد عن فيلم الخيال العلمى وضع القسم الأول تحت الآليات الضخمة التى ظهرت فى سينما النوع. أما القسم الثانى فهو حول الاكتشافات العلمية وينقسم بدوره إلى موضوعين. الأول حول الغزو الخارجى لكوكب الأرض. أما الثانى فهو عن غزو الإنسان للفضاء الخارجى. ويعتبر الغزو الأرضى من كائنات أخرى عاقلة أو غير عاقلة قادمة من الفضاء أكثر الموضوعات انتشارا فى سينما الخيال العلمى. فالعلم يحاول إثبات أن هناك عوالم أخرى حولنا. تعيش فى مجرات بعيدة أو قريبة. عليها مخلوقات تحاول الاتصال بنا. وقد قدمت السينما كل تصوراتها حول هذا الاتصال. وحول أشكال هذه المخلوقات. فبدت هلامية فى فيلم " **لقاءات عن كثب مع النوع الثالث** " CLOSE ENCOUNTERS OF THE THIRD KIND عام ١٩٧٧ ثم E.T. عام ١٩٨٢. حيث بدت هذه المخلوقات بشعة الشكل جميلة المشاعر طيبة القلب. وهذه الشخصيات ذات قوى خارقة بالطبع مثل " **سوبرمان** " الذى يستمد قوته من معدن الكريبتون اسم الكوكب القادم منه.

وقد نوقش موضوع الأطباق الطائرة أوكما تسمى ببعض اللغات الأوربية بالاشياء

الطائرة المجهولة الهوية U F O و O V N I فى العديد من المحافل العلمية وهو موضوع الساعة فى الدوائر المختصة . وقد اختلفت حوله الآراء ولكن أغلب العلماء يؤكدون أن هناك عوالم أخرى غير عالمنا تعيش فيها مخلوقات أخرى تحاول التعرف على مايحدث فى الأرض . وقد صدرت مجموعة من الكتب حول هذه الظاهرة تدافع عنها وتحللها وتؤكد أن هناك اتصالا فضائيا بسكان الأرض مثلما قال البير ديكروك فى كتابه **"الحلقة الزرقاء"** إن هناك أجهزة قد رصدت إشارات تصدرها كائنات حية تعيش فى عوالم أخرى وأن طريقة التخاطب مع هذه الكائنات هى الصور المشعة . وهناك نوعان من هذه الصور: البطاقات التى تضم صور إنسان أو حيوان. أما الصور الثانية فهى إشارات رمزية وهى التى يزيد استخدامها الآن[٦] .

ونحن لانريد الإسهاب فى التأكيد على وجود هذه الكائنات ، لأن الذى يهمنا هو كيف قدح السينمائيون خيالاتهم لتصوير هؤلاء الغزاة . فالبروفسور لاكومب ينتقل بين عدة بلدان بحثا عن تفسير لظواهر كونية حدثت فى الأرض . ففى المكسيك تهتدى بعثته العلمية إلى العثور على سرب من الطائرات العسكرية الأمريكية اختفت قبل ثلاثين عاما فى ظروف غامضة . وعند فحص هذه الطائرات يجدون الخزانات مليئة بالوقود وأن المحركات تدور بالضغط على مفاتيحها ، إذن فالطيارون لم يقتلوا وانما اختفوا . يردد هندى عجوز أنهم ذهبوا إلى السماء .

وفى الهند تواصل البعثة دراستها . فهناك قبيلة يترنم أفرادها بنغمات غريبة على الآذان كأنها قادمة من عالم آخر. يقول قائد الجماعة ان مصدر هذه الإشارات يجئ من أعلى . وفى معمله يسجل لاكومب إشارات صوتية يحولها إلى إشارات بالأيدى فتصبح اشبه بما كان يفعله الهنود . وفى الولايات المتحدة تحدث أيضا أشياء مشابهة . استيقظ الطفل بارى على صوت موسيقى بدأت تحرك كل الأشياء فى منزله . مثل قطاره الآلى وعلب المشروبات التى تفتح من تلقاء ذاتها . يخرج بارى إلى الطريق وكأن شيئا يشده لرؤياه . وعندما تخرج أمه جيليان للبحث عنه يسود المدينة ظلام دامس غير معروف السبب . وعندما يستقل خبير الكهرباء (روى) سيارته بحثا عن السبب يروعه حدوث أشياء غريبة . أشياء تتحرك بجانبه

(6) Albert Decore, Le Crlie Blgu Afu, Af, Albin Michel, Paris 1979 Page,7.

كأن قوى غريبة تحركها. أضواء غريبة تملأ المكان. آجسام مضيئة تعبر السماء بسرعة وسيارات الشرطة تفشل فى اللحاق بها. وبعد هذه المطارد تعود الأضواء وحدها كما انقطعت من قبل.

كل من شاهد هذه الاجسام المضيئة يُصبغ جزء من وجهه بلون قرمزى كأنه نام طويلا تحت أشعة الشمس. مثل جيليان وابنها وروى الذى يتصرف بغرابة بعد هذا الحادث. أما جيليان فتتعرض لموقف آخر أكثر إثارة عندما تحوط بمنزلها من جديد ظواهر غريبة. ضوء قرمزى قوى فى الليل. ومسامير البالوعة تنزع. ثم يختفى بارى من أحد الأبواب، وكأن يدا قوية تشده وتصبح الأم منجذبة لشئ ما لاتعرفه. فهى ترسم بلا إرادة صورا لجبل ذى قمة بركانية. أما روى فيجمع الطين من حديقته كى يجسد جبلا مشابها داخل منزله بعد أن هجرته زوجته لسلوكه الغريب. ويرى يوما فى التلفاز نفس الجبل من خلف المذيع الذى يعلن أن مدينة ويومنج – القريبة من الجبل – قد هوت بها طائرة تحمل شحنة من الغاز الخانق، وأن السلطات أصدرت أمرا بإخلاء المنطقة.

وعندما يذهب روى إلى ويومنج يلتقى بجيليان التى جاءت تبحث عن ابنها ويقرران معا الصعود إلى الجبل حيث يريان فى القمة أشياء غريبة. فهناك محطة فضاء أرضية كبيرة تتصل بكائنات أخرى عن طريق إشارات ضوئية أشبه بالتى سجلها لاكومب. هذه النغمات هى وسيلة التفاهم مع ساكنى هذه الأجسام التى تحط على الجبل وتنزل منها كائنات صغيرة الحجم. بها بعض ملامح البشر. الرأس المستديرة الصلعاء. والأجسام البشرية والعيون. إلا أنه من الصعب تحديد هويتها. تتبادل التحية مع لاكومب. تصعد إلى الطبق الطائر مجموعة جديدة من العلماء كى تذهب لزيارة عالم آخر عن كرتنا الأرضية.

وقد تحدث ستيفن سيبلبرج عن هذه التجربة قائلا: " ولدت عام ١٩٤٧. فى نفس العام الذى ابتدع فيه كينث آرنولد لفظ " **أطباق طائرة** ". وبعد عشرين عاما من هذا التاريخ لم أكن أصدق زملائى الذين يشاهدون جسما طائرا. وقبل أن أكتب فيلمى. كنت أشك فى صحة هذا الموضوع. فبدأت أقرأ كل الكتب التى كتبت عنه. كنت أكثر جنونا وجدية. وقابلت الكثير من شهود العيان والعلماء والمرشدين، ومعهم الدكتور هاينك

أكبر خبراء الفضاء فى العالم . أيقنت الآن أن هناك بعض الظواهر تظل غير قابلة للتفسير . وبدأت أقتنع بأن الأطباق الطائرة التى يقودها الرجال ذوو البشرة الزرقاء سوف تمر يوما على كوكبنا . وهذا ما اتمناه " (٧) .

أما غزو الإنسان للفضاء الخارجى ، فقد ذهب فيه الإنسان إلى أماكن بعيدة راح فيها يتصور أنه يمكن الحياة فى هذه النجوم والكواكب والمجرات . وأنه يمكن أن ينقل إلى هناك صراعاته ووسائله المعيشية ويحولها إلى أرض أخرى . ومنذ أن سافر أبطال جورج ميليه إلى القمر عام ١٩٠١ ورواد الفضاء والمغامرون لايكفون عن شق حاجز الأوزون . وقد سافرت إلى الفضاء الخارجى كل من بارباريللا ، وآبوت وكوستيللو وإسماعيل يس وجيرى لويس . ولكن أشهر أفلام الذهاب إلى الفضاء الخارجى كانت " **٢٠٠١ أوديسا الفضاء**" و "**الغريب**" . **ثم ثلاثية** "**حروب النجوم**" **التى أنتجها جورج لوكاس . وخماسية** "**رحلة إلى النجوم**" STAR TREIPالتى جاءت من التلفاز إلى السينما بعد نجاحها الذى حققته . ويعود نجاح هذا العمل إلى جين رود نبرى JANE RODENBRY الذى كتب السيناريو ، وأنتج هذا العمل للتلفاز الأمريكى فى حلقات طويلة عديدة . وابتدع الشخصيات التى يضمها المسلسل ورباعيته السينمائية والتى حولها يتحدث قائلا : " الربان : رجل يحب الحركة . ويعى كل المسئولية التى نتجت عن عزلته فى الفضاء . أما رقم ٢ فهى امرأة تمتلك رأسا مبرمجة كالعقل الاليكترونى . الطبيب : رجل تملأه الرقة للاجانب المسافرين . والسيد سبوك صاحب السفينة المنافسة ذو أذن حادة ونظرة ثاقبة . والمهمة فى هذا العالم هى غزو العالم حتى أطرافه " .

" وعندما تبدأ الرحلة يشرحون لسكان الأرض أنهم أمام مليون كوكب ، توجد نظم شمسية أخرى . لذا فمن الموضوعى أن يقابلوا أنماطا من الحياة تماثلنا . وهذا يسمح لى بالاحتفاظ بعمل مقنع ليس فيه الديكورات الغريبة " .

"كانت المشكلة الأولى هى اختراع سفينة فضاء مقنعة . ذات شكل جديد . يظل فى المقدمة رغم كل التقدم التقنى . وبعد الاستعانة بآراء العديد من المتخصصين ، اخترنا نموذجاً يشبه نحله تخترق فلتر سجائر . أعجب بشكلها العلماء المتخصصون فى سفن

---

(7) **Robert Benayoun,** Le noël des extra-terrestres, Le Point, 13 Février 1978 - p.111.

الفضاء. هذا الهيكل موجود فى المتحف الجوى. أما الأجهزة الاليكترونية فتباع فى محلات اللعب وتمثل أفضل اللعب عن مثيلاتها خلال السنوات العشر الأخيرة" [٨].

ويقول الكاتب أيضا إنه بفضل الخيال العلمى قد تناول مسلسل **"رحلة إلى النجوم"** موضوعا محرما، ففى إحدى الحلقات تقابل أبطال المسلسل- رواد الفضاء- مع كوكب يعيش بنظام حكم ولايات الجنوب الأمريكى حيث يعيش البيض فى مقدمة المجتمع. أما الزنوج فيعملون فى المناجم دون أن تكون لهم سلطة الخروج منها. وعندما يتم القبض على الملاحين فإنه يزج بهم إلى المناجم: "فليس من المدهش أن تقرر شركة بارامونت PARAMOUNT أن تعدها فيلما فى البداية قدم لها الفيلم". فى مشروع صغير وبعد نجاح **"حروب النجوم"** قررت الشركة إنتاجه كفيلم ضخم الإنتاج يتكلف ثلاثين مليون دولار. وكان يمكن لهذا الفيلم أن يتكلف أكثر. وقد أهمل الفيلم كل أجواء أفلام الغرب التى كانت تملأ المسلسل [٩].

اما القسم الثالث من الأقسام التى تحدث عنها جيفورد فهو حول المستقبل. هذا المستقبل الذى سنراه من خلال آلات الزمن وسلسلة كوكب القرود وحروب النجوم والانفجار النووى، ومايمكن أن يحل بالأرض إذا اندلعت الحرب العالمية الثالثة. ونستطيع أن نقول أن أغلب أفلام الخيال العلمى تتحدث عن سنوات المستقبل. وتعتبر القنابل النووية هى عماد هذا النوع من الأفلام. فالخوف من الانفجار النووى قد ألهب خيالات السينمائيين مثلما فعل مع الأدباء. مثلما حدث فى فيلم **"على الشاطئ"** ON THE BEACH لستانلى كرامر عام ١٩٥٨، حول مايمكن أن يحدث حين تندلع إحدى الحروب الذرية وتأتى تماما على البشر من السكان. وذلك من خلال مايدور فى إحدى الغواصات التى تبحر فى أعماق المياه، وبينما هى تغوص فى البحار فإن الحرب الذرية تندلع وينتهى العالم. ويخرج ربان السفينة ليجد الفناء قد سادالعالم إلى هذا الفناء جاء رجل إلى مدينة خالية تماما من السكان إلامن رجل وامرأة. المدينة مات كل سكانها عقب اندلاع الحرب الذرية وذلك فى فيلم عالم وجسد وشيطان THE WORLD, THE FLESH AND THE DEVIL من إخراج رونالد ماكدوجال عام ١٩٥٩. وفى هذه

---

(8) Chtrine Laporte, Star Trek, Express, 15 Mars 1980 P. 42.

(9) Ibid.

المدينة يقوم بين الرجلين الباقيين على قيد الحياة صراع من أجل امتلاك المدينة الساكنة والمرأة التى ترقب الصراع بهلع ، فيموت الإثنان وتكون الحرب الذرية قد تحققت بالفعل بانتهاء الحياة . وفى فيلم "**يوم أن طفت الأسماك**" THE DAY THE FISH COME OUT لمايكل كوكاينيس نرى حكاية قرية صغيرة تأتيها مجموعة من السائحين ليرقصوا فيها ليغنوا ويقضوا وقتا ممتعا ، إلا أن قنبلة ذرية قد انفجرت أسفل المياه فتركت آثارها التدميرية حيث قتلت الأسماك . وبدأت تهدد بتلوثها الذرى الحياة فى المكان كله . وحول نفس الموضوع قدم روبرت وايز ROBERT WISE فيلمه "**خلية اندروميدا**" THE ANDROMEDA STRAIN عام ١٩٧١ حول مرض آت من الفضاء الخارجى يهدد البشرية الأمر الذى يعنى أن نهاية العالم المقترحة ليست من صنع القنابل الذرية . بل هى قادمة من عالم آخر يسعى للسيطرة على العالم ، سواء كان المرض أو المخلوقات العاقلة أو النيازك . مثلما حدث فى فيلم "**النيزك**" METOR لرونالدنيم عام ١٩٧٨ . وقد تجئ نهاية العالم من "**تجمد مياه العالم**" ١٩٥١ ، أو من انحراف الأرض عن محورها ، أو من أشياء قريبة من هذا القبيل .

وستكون نهاية العالم مغايرة الشكل فى عام ٢٠٢٠ فى فيلم "**الشمس الخضراء**" SOLYE NT GREEN لريتشارد فلايشر عام ١٩٧٢ . وهو فيلم مأخوذ عن رواية لهارى هاريسون HARRY HARRISON وفيها يصور الفيلم أن مدينة نيويورك وحدها قد بلغ عدد سكانها أربعين مليونا . وأنه فى هذا الزمن أصبحت الخضرة شيئا من فعل الماضى . وبالتالى فقد أصبح الطعام الطبيعى شيئا غير موجود إلا فى بعض بيوت الصفوة من علية القوم ، مثل الرجل الذى مات لأنه كان ينوى افساد سر السولينت الأخضر وهو الطعام الوحيد الذى تأكل منه المدينة . أما المفتش الذى يجرى التحقيق فإنه محظوظ لأنه يدخل بيت هذا الرجل ويتمكن من التقاط قطعة لحم أو قطعة صابون يغتسل بها . ويمكنه ايضا الاستحمام بماء .. وعندما يكتشف أن المؤسسة الحكومية خلف أستاذه الذى مات لتوه ، يفاجئ أن الغذاء الصناعى ليس سوى قطع مصنعة من لحوم الآدميين الذى ماتوا لتوهم .

وتأتى نهاية العالم فى فيلم "**رجل الأوميجا**" THE OMEGA MAN لبوريس ساجال

عام ١٩٧١ من حرب الجراثيم العالمية. وتدور الأحداث فى مدينة لوس آنجلوس حيث تظهر مجموعة جديدة من البشر الخفافيش سكان الليل الذين يهاجمون من لم تمسهم حرب الجراثيم ليلا. والفيلم مأخوذ عن رواية لريتشارد ماتيسون RICHARD MATISON بعنوان "**أنا أسطورة**".

وعن هذه المخلوقات المتوحشة التى تظهر بعد اندلاع الحرب العالمية، مهما كان شكلها قدم روبرت كلاوز ROBERT CLOUSE فيلمه "**المحارب الأخير**" THE ULTIMATE WARRIOR عام ١٩٧٥ وهى تتصارع هنا من أجل امتلاك البذور التى يمتلكها فريق آخر بحثا عن زراعتها.. ومن أجل هذا الكنز الثمين تقوم معارك دامية بين الفريقين هى بقايا الحرب الذرية الشرسة، ويمكن للجانب الشرير أن يجرى وراء امرأة حامل من أجل عقرها خوفا من الوليد الجديد بعد الحرب.

وقد أمكن لأجناس متعددة أن تقوم بإزاحة النوع البشرى. مثلما حدث فى سلسلة "**كوكب القرود**" وهى رباعية سينمائية بدأت بفيلم "**كوكب القرود**" PLANET OF APES لفرانكلين شافنر عام ١٩٦٨. وفيه يكتشف تايلور الملاح الذى غاب فى الفضاء لسنوات طويلة أن الكوكب الذى حطت عليه سفينته هو الأرض التى تحولت إلى قطعة من الصحراء الجرداء. أما البقايا الخضراء فيحكمها القرود التى أصبحت كائنات عاقلة، وتتمكن من سبى العنصر البشرى وإذلاله. وفى آخر سلسلة من هذه الأفلام "**ثورة كوكب القرود**" THE REVOLUTION OF PLANET OF APES يتمكن النوع البشرى من السيطرة مرة أخرى على الأرض بعد أن يقوم بثورة منظمة فى كوكب القرود.

أما فى فيلم PHASE II الذى أخرجه صول باص SAUL BASS عام ١٩٧٤ فإن إزاحة الجنس البشرى من الوجود قد تم بواسطة جنس من النمل أكثر ذكاء. إما بواسطة طفرة مفاجئة أو بتدخل سكان الفضاء الذين لجأوا إلى هذه الوسيلة للقضاء على الجنس البشرى.

وقد كانت فكرة نهاية العالم تمارس على الدوام سحرا على عقول الناس، وقد تطورت بواعثها النظرية ببساطة وأصبحت متمشية مع روح العصر. فقد كانت نهاية العالم قبل فيلم سنة ١٩٥٠ تنتج عن حادث كونى غير محتمل رياضيا قبل عدة ملايين من السنين.

ويقوم فيلم " **نهاية العالم** " THE END OF THE WORLD لآبل جانس عام ١٩٣٠ و " **صدام العوالم** " WORLDS' SHOCK لرودلف ماتيه عام ١٩٥٠ على هذه الفكرة . ولكن منذ هذا العام بدأت هيروشيما تسيطر على الأذهان ولم تعد نهاية العالم تأتى إلا بسبب كارثة نووية . وقائمة الأفلام المستوحاة من مثل هذه الفكرة طويلة "(١٠) .

" فقد وعى الناس اليوم فجأة بخطر أكثر توقعا ألا وهو الكساد والمجاعة والانفجار السكانى . ومن الآن فصاعدا سوف يتصارع الناس على قطعة أرض لاتزال قابلة للزراعة كما يحدث فى فيلم " **ولانبتة عشب** " NO BLADE OF GRASS عام ١٩٧٠ لكورنيل وايلد والذى يشبه معناه إلى حد كبير فيلم " **ذعر فى العام صفر** " PANIC IN THE YEAR ZERO لراى ميلاند مستبدلا الحرب الذرية بموت العشب والحبوب فوق سطح الكوكب . وإذا كان التهديد الذرى لايزال فى الأفق فهو " **الحل النهائى** " الذى تملكه الحكومات للتخلص بلا ألم من الفئة العاملة وإنقاذ " **الصفوة من الدمار** "(١١) .

ولو رجعنا إلى التقسيم الذى أجراه جيفورد لسينما الخيال العلمى ، سوف نجد أنه قد أهمل اختراق خيال السينمائيين للعلوم لمجالات متعددة وعلوم أخرى مثل الطب . وعلم النفس وعلوم الحاسبات الاليكترونية وغيرها .. ولوتناولنا مجال الطب مثلا فسوف نرى أن هناك بعض الأفلام قد مزجت الخيال العلمى بالفنتازيا مثلما حدث فى فرانكنشتين. لكن الشخصية الرئيسية هى الدكتور فرانكنشتين تعمل فى مجال علمى موقر وحسن السمعة . وهو يقوم بنقل قلب إلى جسد إنسان ميت لتوه قبل أن يفعل الدكتور كريستيان برنارد ذلك بأكثر من مائة وأربعين عاما . وقد نجح الدكتور فرانكنشتين فى خلق جسد إنسان متكامل من أشلاء جثث أخرى . "وكان نفسه أول من يتحول إلى مهموم وسواس ، خائف متشكك محايد . ولا أهمية كبيرة للإفاضة فى مدى جدية المضمون أو عمق تحذيره مما ولد وسمى فيما بعد الهندسة الوراثية ، ويكفى أننا أمام خيال فذ من نوع : ما المانع ؟ من الوحوش الشرسة الصناعية "(١٢) .

أما الدكتور جيكل فهو أيضا طبيب يعيش فى مجتمع يحترمه ويحترم المهنة التى

(10) Roland La Corbe, Le cinéma de la science fiction, Ecran, Juillet, 1977, page 42.

(11) Ibid.

(١٢) مدحت محفوظ . أزمة الخيال فى سينما الخيال العلمى . مجلة الفنون . العدد ٢٦ . القاهرة .

يمارسها . وهو إنسان طيب يهتم بالبحث العلمى فى المقام الأول وذلك فى رواية " **دكتور جيكل ومستر هايد** " DR. JEKYLL AND MR. HYDE لروبرت لويس ستيفنسون التى ظهرت فى السينما أكثر من خمس وعشرين مرة بدأت عام ١٩٠٨ . ويدفع شغف الطبيب بالبحث إلى أن يخترع أكسير يمكنه أن يحول الإنسان الطيب إلى مخلوق شرير. وهو إنسان خفاشى لايظهر سوى فى الليل . وعلى السينما ان تصور المخلوق الشرير بشعا من الداخل والخارج وهو مفهوم ساذج . ورغم المعالجات العديدة التى قدمتها السينما حول هذه الرواية فإن السيد هايد ظل دوما ذا الوجه القبيح والشعر الكثيف.. ومايهمنا هنا أن الدكتور جيكل الذى اشتغل بالعلم قد استطاع من خلال تجاربة – وخيال الكاتب – أن يبتدع شخصا جديدا..

ومثلما كان الدكتور جيكل طموحا للاستفادة من علمه فى تغيير الأشياء من حوله . فعل أيضا الدكتور مورو فى فيلم "**جزيرة الدكتور مورو**". لكن أشهر أفلام الطب هى "**الغيبوبة**" THE COMA لمايكل كرايتون ، ثم "**الرحلة العجيبة**" FANTASTIC VOYAGE لريتشارد فلايشر عن رواية لإسحاق أزيموف ، فضلا عن فيلم CHANGE OF MIND وفيلم "**شارلى**" CHARLIE لرالف نيلسون ثم "**محلل نفسى للرئيس**" THE PRESIDENT'S ANALYST الذى أخرجه جاك فليكر عام ١٩٦٨ .

فى فيلم "**الغيبوبة**" قدم كرايتون تجربة الاتجار فى الأعضاء البشرية فى المستشفيات الاستثمارية بالولايات المتحدة وذلك فى إطار أجواء بوليسية مليئة بالمطاردات مما قلل من جانب التخيل على حساب عنصر الحركة التى امتلأ بها الفيلم. وهذه النقطة مثيرة للاهتمام. فهل يمكن أن تجذب الحركة مريدين جدداً لأدب وسينما النوع؟ لاشك أن أجواء الإثارة فى هذا الفيلم قد غلبت أجواء الخيال العلمى . وماحدث فى مستشفى بوسطن من استغلال لأعضاء المرضى الذين تم إماتتهم والاحتفاظ بأجسادهم فى مخزن خاص . هذا الأمر يمكن ان يحدث فى أى مستشفى . لكن قيام الطبيبة بمغامرات بوليسية قد قلل كثيرا من التخيل العلمى . وقيمة هذا الفيلم فى سينما النوع أن أحداثه تدور فى زماننا المعاصر. وفى وقت يمكن للإنسان التبرع بأحد أعضاء جسده ، أو الاستعانة بأعضاء المرضى الذين لاشفاء لهم . أى أن الخيال العلمى فى هذه الحالة حالة حاضرة

يمكن أن تحدث الآن ، وانه ليس محصورا فقط على مايمكن أن يحدث فى المستقبل . مثل هذه الحالة يمكن أن نراها أيضا فى فيلم " **محلل نفسى للرئيس** " الذى يفترض أن رئيس الولايات المتحدة قد اصيب بحالة اكتئاب نفسى فاستجلب إلى البيت الأبيض محلل نفسى يقيم فيه بصفة دائمة كى يتولى علاجه . وتدور أحداث هذا الفيلم فى الحاضر. ورغم أن هذا لم يحدث حتى الآن ، فإن خيال الفنان قد ذهب إلى البيت الأبيض . وتنبع أهمية هذا التخيل السياسى فى السؤال عن : ماذا يمكن أن يحدث لو ..؟

أما فكرة فيلم " **تغيير الدماغ** " **١٩٧١** فهى تقوم على أن رجلا أبيض تمت له عملية تغيير مخ رجل أسود إليه فأخذ يفكر بأسلوبه ، وهى فكرة قديمة سبق لبعض الأفلام العربية أن تناولتها فى الخمسينات حين أحب حسين صدقى الطبيب مريضته المريضة بالقلب . وعندما ماتت زوجة أحد اصدقائه قام بنقل قلبها إلى قلب زوجته المتهالك . وبعد أن تعافت تخيل أن هناك تحولا من قبل ليلى إلى صديقه..

وقبل أن تقوم السينما برحلة داخل الجسد البشرى فى كبسولة صغيرة من خلال فيلم " **الرحلة العجيبة** " عام ١٩٦٨ قدم فرانكنهايمر قبل عام فيلما هاما بعنوان " **ثوانى** " SECONDS قريبة فكرته إلى هذه التيمات . فهناك رجل عجوز يعيش هانئاً مع زوجته . تقوم إحدى المؤسسات الغامضة بالاتصال به وتتفاوض معه على إعادته إلى سن الشباب . وبعد أن يقبل على مضض يدخل غرفة العمليات ليخرج شخصا مختلفا تماما .. يحمل هوية أخرى وملامح جديدة وشباب وحيوية . وفى المصحة التى ينضم اليها يكتشف أن كل من حوله أقرب اليه . بمعنى أنهم قد كانت لهم شخصيات أخرى فيما قبل . وأنهم يتكيفون مع عالمهم الجديد . ويعرف أن صديقا قديما ، تصور أنه مات ، هو الذى رشحه للقيام بهذه التجربة . ويتعرف فى شخصيته الجديدة على امرأة تراقصه يعرف أنها لاتختلف عمن حولها . والمشكلة التى أصابت الرجل هى أنه لم يتكيف مثل الآخرين مع شخصيته الجديدة . فرغم تغيير الثوب الخارجى الذى ارتداه جسدا ، فإنه يتوق إلى شخصه القديم . فيذهب إلى بيت زوجته – أو أرملته – ويحدثها عن زوجها – المفروض أنه راحل – ويشترى أحد مقتنياته . وعندما يعود إلى المؤسسة يطلب أن يغيروا من شخصه إلى إنسان ثالث لأنه لم يستطع التكيف. وفى النهاية يجرونه إلى غرفة العمليات من جديد ، ليس من أجل تغييره هذه المرة ، بل لقتله .

فكرة فيلم "**ثوانى**" تدور فى الحاضر الذى نعيشه. وبطل الفيلم يمكن أن يعيش بيننا ، بما يعطى معنى أن أكثر أفلام الخيال العلمى التى اتخذت من الطب مجالها كانت تدور فى "**الآن**" أكثر من سنوات المستقبل. ربما لهذا لايضعها الكثيرون فى الحسبان. ومثل هذه الأفلام تحمل أفكارا أكثر من مثيلتها من الأفلام الأخرى فى أدب وسينما النوع.

وفى السينما العربية كان الفيلم العربى الوحيد الذى ينتمى إلى النوع حول طبيب أيضا.. وهو يدور أيضا فى الحاضر. وهو فيلم "**قاهر الزمن**" لكمال الشيخ عام ١٩٨٧ ، الطبيب حليم صبرون هنا يمتلك أحد المستشفيات الخاصة فى حى حلوان بالقاهرة. ويقوم أتباعه بتهريب جثة مريض مات لتوه إلى منزله. كما أن الصحفى الذى يقوم بإجراء تحقيق عنه يختفى فى ظروف غامضة ، خاصة أنه اعلن ذهابه لمقابلة الدكتور حليم. وهذا يدفع بابن خال الصحفى ، وهو الباحث التاريخى (كامل) الذى يتمكن من دخول منزل الطبيب ليعرف أن هذا الأخير يقوم بإجراء تجارب جادة مفادها تجميد الإنسان لبعثه فى فترة زمنية أخرى.

وفى هذا الفيلم ذهب كامل إلى الفيللا "بحثا عن مغامرة صحفية رغم أنه يتفرغ لعام كامل لتأليف كتاب عن بعض الظواهر الفلكية. أما فى الرواية فإن (حليم) يسعى إلى استقطاب (كامل) لمنزله كى يقوم بتأريخ أبحاثه ، لأن ابنة أخيه زين تعبت من التأريخ. ولأن كامل هو راوية الأحداث ، فإنه لايفهم سر الدكتور خليم. يراه تارة شخصا شريرا غامضا مثل تجاربه ، وفى أحيان أخرى إنسانا طيبا يعمل لخدمة البشرية. ولأن الكاميرا هى الراوية فى الفيلم فقد اختلفت هذه الراوية لأن الكاميرا محايدة. أما الراوية الأدبى فهو يعبر عما يراه حتى تتكشف الأمور.

"فى أفلام الخيال العلمى يلعب المكان – غالبا – دور أحد الأبطال الرئيسين فهو الإطار الذى تدور فيه التجارب العلمية أو ينتقل إليه البشر.. والمكان فى "**قاهر الزمن**" مغلق معزول. كئيب. تحوطه الأسوار، وتحرسه كلاب متوحشة. وفى أعلاه محولات كهربية بالغة القوة. وهو نائم فى حضن الجبل : من الخارج أشبه ببيت عادى ، وثمة باب يؤدى إلى مقبرة شبه فرعونية يتم فيها الاحتفاظ بحضانات التجميد. وهو يحوى أشخاصا

غامضين مثل مرزوق الممرض الذى نعرف فيما بعد أنه طبيب ناجح هارب من العدالة بعد أن كان سببا فى قتل أحد مرضاه. وهناك فتاة زين – آثار الحكيم – ابنة الطبيب وسكرتيرته وخادمة، وعم عبده الذى لايفهم شيئا مما يدور حوله"[١٣].

أما الشخصيات التى تدور فى فلك هذا العالم – المكان والفكرة العلمية – فهم أقل أهمية إلى حد ما؛ حيث إن الإنسان دائما حقل تجارب، مهما كان العلم مصنوعا لخدمة البشر، لذا ليس من المجدى أن نتساءل عن تطور الشخصية دراميا أو عن مفهوم الخير والشر بمنظور تقليدى. "فطوال الفيلم هناك تساؤل عن السمات التى يتمتع بها الدكتور حليم ومساعده مرزوق. فهما أحيانا شريران أشبه بزعماء العصابات. أحدهما قوى الجسم تلمع عيناه بالشر. وأحيانا أخرى نراهما يتحدثان عن الخير للعالم. فأهمية عملية الموت التى تمت فى المعمل من أجل الهدف الأسمى، ومن المعروف أن علماء من طراز حليم لايفهمون الخير بقدر نجاح تجاربهم، لأن الخير يتمثل فى مقدرة تحقيق نجاح التجربة العلمية حتى لو كانت ضد مصلحة البشر. ولايعنى هذا أنه إنسان شرير. وقد جاء تفسير مقنع على لسان الطبيب أن الناس الذين يموتون من أجل العلم أقل بكثير ممن يموتون فى الحروب أو فى حوادث المرور اليومية!.."[١٤].

وفى مثل هذا النوع من الأفلام يستعين المخرج دوما بعلماء لهم خبرتهم فى المجال العلمى الذى يناقشه، واعتقد أنه فات على كمال الشيخ أن يفعل ذلك. فقد رأينا الدكتور حليم يستعين فى تجاربه، والمفروض أنها أعلى من مستويات العلماء، بأجهزة مدرسية مثل المجهر الذى لم يعد يستعمل سوى فى المدارس الثانوية. بل إن هذه المدارس انتبذت المجهر إلى الكومبيوتر، هذا الكومبيوتر الذى رأيناه غريبا فى المرصد، ومثل الاستعانة بأجهزة فقيرة فى المعمل كالصناديق الهيكلية الخالية من الحياة.

لم تعتمد سينما الخيال العلمى على الموضوعات وحدها، بل سعت إلى الاستفادة من مجلات الرسوم المتحركة لنقل شخصياتها الناجحة إلى السينما. ثم طورت هذه الشخصيات وأصبحت سينمائية فى المقام الأول مثل شخصية سوبرمان وفلاش مان.

---

(١٣) محمود قاسم: نجحت التجربة وفشل الفيلم، الفيديو العربى، لندن، يونيه ١٩٨٧ ص ٣٠.

(١٤) المصدر السابق ص ٣١.

والرجل الوطواط PATMAN والرجل العنكبوت SPIDERMAN وفلاش جوردون وغيرها. ورغم انها شخصيات تسبح فى عالم فنتازى فانها مرتبطة بالخيال العلمى فى المقام الاول.

وأغلب هذه الشخصيات قادمة من الفضاء، وترتبط بالأرض بين فترة وأخرى. وهى شخصيات خارقة السمات تمتلك العديد من أسباب البطولة. قوية العضلات. تطير فى السماء. كما الطيور تسبق الطائرات والسفن. وهى فى أغلبها فانتازية التركيب. لكنها ذات علاقة بأجواء الخيال العلمى. فهى وليدة العلوم مثل سوبرمان، على سبيل المثال، القادم من كوكب كريبتون الأكثر تقدما. كما أن أغلب هذه الشخصيات قادمة من مجلات الرسوم المتحركة مثل مجلة MARVEL COMEX الصادرة فى نوفمبر ١٩٣٩. ومجلات أخرى سبقت فى المحاولة مثل TIMELY COMEX و ATLAS COMEX. والمجلة الأولى كانت واحدة من مجلات عديدة تحمل اسم مارفيل منها مجلة MARVELS SCIENCE FICTION التى صدر منها تسعة أعداد بين عامى ١٩٣٨ و ١٩٤١. ثم عاودت الصدور بين عامى ١٩٥٠ و ١٩٥٢.

وفى حين توقفت معظم محاولات "**مارفيل**" الأخرى، استمرت مجلة مارفيل كوميكس بنجاح. انتشرت فى طول الولايات المتحدة وعرضها. ثم مالبثت أن بدأت تزحف نحو بلدان العالم الأخرى. لتصبح بقصصها وحكاياتها المرسومة، المجلة الأولى من نوعها.

"مارفيل كوميكس، مع مانطرحه من تسلية، كونت أبطالا مثل "**كابتن أمريكا**" و "**الرجل العنكبوت**" و "**رجل أشعة الأكس**" و "**الرجل المطاط**" ولاحقا واحدة من أشهر الشخصيات باسم "**سوبرمان**" [١٥].

وأهم أفلام عن سوبرمان تم إنتاجها عامى ١٩٧٨، ١٩٨٣. وهى رباعية أخرجها على الترتيب ريتشارد دونر وريتشارد ليستر الذى أخرج الجزئين الثانى والثالث معا. وفى البداية تعلقت الحكاية بصورة الخيال العلمى. فى كوكب كريبتون KRYPTON كل شئ معرض للدمار. وهناك مكائد ودسائس رغم التطور العلمى الهائل الذى توصل اليه

(15) Claudio Lazzaro, Arriva Superman, Amica, 22-1-1982 Page 60.

أبناء ذلك الكوكب. وهناك أسرة صغيرة يحس عائلها بالخطر القادم إلى الكوكب الذى ينفجر فيقرر إرسال وليده الصغير إلى كوكب الأرض ، ويضعه فى صاروخ ويضع معه جزءاً من معدن الكريبتون النادر الذى سيصبح للأبد مصدر قوة الابن الخارقة. ويسقط الطفل الذى سيصبح رجلا خارقا إلى الأرض حيث تتلقفه أسرة أمريكية تتولى رعايته، وتكتشف سر قوته منذ صغره. فهو يمكنه أن يرفع شاحنة كبيرة. وعندما يصبح شابا يمكنه أن يطارد قطارا ويسبقه. ويعيش هذا الشاب – الذى أصبح أمريكيا بحكم الأرض التى يعيش عليها – فى حالة شيزوفرنيا واضحة. فهو المواطن الأمريكى العادى الخجول. الذى لايستطيع حتى البوح لإحدى الفتيات بمشاعره الفياضة نحوها. يرتدى نظارة وملابس تقليدية. لكنه من خلال استشعار خاص يمكنه رصد الأخطار الكبرى التى تحيق بالعالم فيهرع للنجدة.. والجانب الآخر من الخيال العلمى عند سلسلة سوبرمان هو أن هذا الأخير يجابه قوى تعمل فى الخفاء، مثل الرجل المجنون الذى يسعى لدمار العالم ويعرف سر معدن الكريبتون الذى يمده بالقوة.. هذا الرجل يختفى فى الجزء الاول، ثم يعاود الظهور مرة أخرى فى الجزء الثانى الذى ظهر فى عام ١٩٨٠، وهو يساعد ثلاثة من أشهر رجال كوكب كريبتون على الطيران والتدمير. وفى الجزء الثالث هناك رجل رأسمالى يريد تدمير زراعة البن عن طريق التحكم فى الطقس بالكومبيوتر. وجهاز الكومبيوتر هذا بارع الذكاء والمناعة. بحيث إنه يمتلك القدرة على توليد الكهرباء بطريقة خاصة إذا منعوها عنه. وقد أفلح هذا التحول من خلال مايمتلكه من سمات فى تحويل سوبرمان الطيب إلى مخلوق شرير.

وقد ابتدع هذه الشخصية لأول مرة الرسّامان جيرى سيجال JERRY SIEGEL وجو شوستر JOE SCHUSTER فى عام ١٩٣٣ عقب الازمة الاقتصادية الطاحنة التى تعرضت لها الولايات المتحدة. ويقال إن سوبرمان قد جاء لإنقاذ البلاد من عثرتها التى أصابتها. إلا أن أول رسم لهذه الشخصية لم يظهر إلا بعد ذلك بخمسة أعوام.

وقد دفع نجاح شخصية **"سوبرمان" إلى ظهور شخصية "الفتاة الخارقة"** SUPER GIRL وهى أيضا شخصية جاءت من الرسوم المتحركة. ولدت فى عام ١٩٥٩ واسم هذه الفتاة الحقيقى هى اكا – كارا. وقد ولدت فى كوكب كريبتون حيث

ولد من قبل سوبرمان. ومع اضطراب الأوضاع فى هذا الكوكب حضرت **" الفتاة الخارقة "** إلى الأرض وعمرها خمسة عشر عاما فقط " وبمجرد هبوطها إلى الأرض بدأت تشعر بالقوى الخارقة التى تمتلكها والتى لايباريها فيها إلا ابن العم **" سوبرمان "** ، وبرغم ذلك فقد أخفى سوبرمان وجودها عن الجميع . وعاشت باسم مستعار بالقرب من مدينة شيكاغو هو **" ليندالى "** إلى أن قرر سوبرمان أن يعرفها بالعالم ويعرف سكان الأرض بها .

" ومقدما تروى الأساطير الخيالية التى ابتدعتها العقلية الأمريكية - وما أبرع الأمريكيين فى اختراع الأساطير السينمائية - فإن سوبرمان فعل ذلك خلال جولة مشوقة إلى أركان الكرة الأرضية وانتهت بزيارة خاصة للبيت الأبيض الأمريكى وحضور جلسة فى الأمم المتحدة ، حيث قررت الهيئة الدولية أن تقدم شهادة ذهبية إلى المرأة الفذة القادمة من أجواء الفضاء تماثل الشهادة التى سبق منحها لابن عمها . مع تصريح خاص **" للفتاة الخارقة "** بأن تنتقل كما تشاء فى أراضى الدول الأعضاء دون الحاجة للحصول على تأشيرة دخول أو خروج .

" الطريف فى الأمر أو ربما الغريب فيه ، أن حفلا أقيم بالفعل فى البيت الأبيض فى شهر فبراير عام ١٩٦٢ على شرف الفتاة الخارقة وأن الرئيس الأمريكى آنذاك - جون كيندى - رحّب بها قائلا : سوبر جرل أنا واثق من أنك سوف تستغلين كل قواك الخارقة . ليس فقط فى مكافحة الجريمة على الأرض ، ولكن فى الحفاظ على السلام فيها " .

" ومنذ ذلك العام ، والأسطورة الأمريكية آخذة فى التطور على صفحات المجلات الأسبوعية والجرائد اليومية . حتى أصبحت الفتاة الخارقة - وقبل أن تتحول إلى السينما - شخصية معروفة بأعمالها المفيدة سواء لأصدقائها أصحاب الشخصيات الأسطورية الخرافية أو لخدمة البشر " .

" من ذلك مثلا انها انقذت الرجل الخفاش - باتمان - ومجموعة من أصدقائه من سجن أبدى كان أعداء سوبرمان قد فرضوه عليهم فى باطن الأرض ! كما أفلحت - رغم كل الصعوبات - فى أن تشق مجرى فريدا للمياه الحلوة يروى كل الأراضى الصحراوية " .

" ودمرت عائقا جويا كان يسير بسرعة خرافية فى طريقه للتصادم مع الأرض قبل أن

يعرف أحد حتى بوجوده. وحولت اتجاه عاصفة خطيرة تحمل أمطارا سامة كانت فى طريقها إلى الأرض، وبالطبع كانت ستذهب بالزرع والضرع لو اجتازت مجال الغلاف الجوى الأرضى. كما أذابت جليد القطب الجنوبى لتجعل منه منطقة خضراء تصلح لسكنى البشر الذين انفجرت قنبلتهم السكانية بحيث لم تعد الأرض – على وسعها – أن تسمعهم! وأخيرا – وليس آخرا – وبما أن كل شئ يهون عند السينمائيين خاصة فى مجال الخرافة، فقد حافظت على حقوق المظلومين ودافعت عن المسحوقين فى الأرض فى غياب سوبرمان، الذى اضطر للذهاب فى بعثة سرية إلى مكان مجهول من الكون ويبعد عن الأرض ملايين السنين الضوئية "(١٦).

أما شخصية فلاش جوردون FLASH GORDON فهى على عكس سوبرمان. ليس بطلا خارقا يطير أو يزحف على الجدران، ولايلتقط الطائرات والصواريخ ويسبق الطائرات والقطارات، ولايضع جسده بدلا من قضبان السكك الحديدية التى التوت. فلاش جوردون إنسان آخر قادم من الرسوم المتحركة وأهم سمة فيه أنه ينتمى إلى عصر الخيال العلمى. يتمتع بشجاعة نادرة وحب المغامرة بلاحدود.

وفلاش جوردون إنسان فضاء. حيث ترمى به الأقدار فى سفينة فضاء تنطلق به وبفتاته إلى رحاب الكون التى لاتنتهى. فتحط به السفينة فوق كوكب يسمى فونجو يحكمه رجل شرير هو الإمبراطور مينج.

وقد ظهر فلاش جوردون للمرة الأولى فى مجلة رسوم متحركة فى ٧ يناير عام ١٩٣٤ وأيضا فى العشرات من الصحف الامريكية. وكان السؤال الذى طرحته السلسلة الأولى من مغامرات فلاش جوردون هو: هل يمكن ان ينجح فى منع تدمير كوكب الأرض من قبل الإمبراطور مينج MING. وتقول مجلة الإكسبريس إن "قراء قصص فلاش جوردون قد ظلوا ينتظرون سبعة عشر عاما كى يعرفوا ذلك"(١٧).

وفلاش جوردون البالغ الخامسة والعشرين من العمر. شاب رياضى مثل أليكس ريموند ALEX RAYMOND الذى ابتدعه فى تلك السنوات، وهو الذى ابتدع من

---

(١٦) نجوى الطامى، من سوبرمان إلى سوبرجيرل، المجلة– ١٠ أغسطس – ١٩٨٤ ص ٤٨.

(17) Michel Ement, Flash Gordon Tout Nouveau, L' Express, 24 Janvier 1981, P. 28.

قبل شخصية بك روجرز BUCK ROGERS عام ١٩٢٩ وهى شخصية من الرسوم المتحركة وجدت طريقها أيضا إلى السينما فيما بعد.

وقد ظهر فلاش جوردون فى السينما لأول مرة عام ١٩٣٦ فى فيلم "**رحلة إلى المريخ**" وأدى الدور الممثل المعروف بستر كراب. وفى هذا الفيلم وقف فلاش جوردون فى مواجهة مينج يعاونه صديقان فيدخل الطرفان فى صراعات متعددة ويطيح فى النهاية فلاش جوردون بخصومه، ويصل فى النهاية إلى الإمبراطور الذى تصرعه مقدمة سفينة فضاء صغيرة فإذا به يتبخر ويموت.

وفى عام ١٩٣٨ قام بستر كراب بالفيلم الثانى من هذه السلسلة تحت عنوان "**فلاش جوردون وغزو العالم**" ثم اختفى تماما عن السينما حتى عام ١٩٨١ حيث فكر دينودى لورانتيس المنتج الإيطالى المعروف فى إعادة إحيائه فى فيلم ضخم الإنتاج، وأسند الدور إلى عارض أزياء سابق هو سام جونز.. ولم يكن الفيلم يليق قط بأهمية هذه الشخصية سواء فى السينما أو فوق صفحات الرسوم المتحركة ..

إذا كان هذا هو حال موضوعات الخيال العلمى فى السينما، فلاشك أن النوع قد ساعد كثيرا فى أن تطورت تقنياتها سواء من حيث المؤثرات الصوتية أو الديكور أو صناعة هيا كل الآليات التى نراها، ومع كل فيلم جديد يجب أن تأتى هذه السينما بتقنيات أكثر تطورا لملاحقة خيال السينمائيين. وقد تطورت صناعة السينما فى العالم إلى أن حدث مايمكن تسميته بعصر السينما الاليكترونية، وذلك من خلال إنتاج فيلم TRON عام ١٩٨١. وهذا الفيلم – وأيضا فى النوع الذى سنراه فى المستقبل – يعتمد فى المقام الأول على تطور الأجهزة التى توصل إليها العلماء لصناعة المؤثرات المختلفة فى صناعة هذه السينما. ولذلك لن يكون هناك مخرج بالمعنى التقليدى، ولكن الخبير الاليكترونى هو المخرج الحقيقى، فرغم أن فيلم ترون يحمل اسم المخرج ستيفن ليسبرجر STEPHEN LESPERGER فإنّ منفذ الفيلم الحقيقى هو ريتشارد تايلور ومعه مساعده هاريسون اللينشو H. ELLENSHAW، يقول تايلور إن كل صورة فى هذا الفيلم "قد تكونت من مليونى نقطة ضوئية بالألوان. وأن كل نقطة منها قد ترجمت من وحدات كودية، وأن العقل الاليكترونى لايمكنه فقط قراءة الصورة السينمائية، ولكن يمكنه قراءة الذاكرة

البشرية ويسجلها. فكرنا فى أول الأمر أن الأشرار فى الفيلم يجب أن يكونوا باللون الأزرق. أما الأخيار فيتم تلوينهم باللونين الأحمر والأصفر. ووجدنا أن علينا أن نقلب المفهوم، فالأحمر بالنسبة للعقل الاليكترونى يقلب الألوان، والأزرق شئ رقيق. اليوم يمكن للعقل الاليكترونى أن يخلق كل شئ، حتى وجه مارلين مونرو"(١٨).

ولأن السينما الاليكترونية يمكنها تخزين الذاكرة فإن خبراء هذه السينما يؤكدون أنه سيتم إنتاج أفلام جديدة نرى فيها نجوم السينما القدامى بشحومهم ولحومهم مثل مارلين مونرو وكلارك جيبل وأنور وجدى يقومون بالبطولة فى أفلام جديدة.

وهكذا يمكن أن يرتبط زمن الخيال العلمى بزمن الواقعية العلمية. وكما يقول المخرج ليسبرجر فإن " هناك خمس عشرة دقيقة كاملة من فيلمى لم تمسها يد بشرية. لذا لم يكن هناك طاقم عاملين تقليديين بالسينما. فهناك سيناريو بسيط قمت بكتابته. ثم جلسنا مع التقنيين أمام شاشة ندير بعض المشاهدين أحيانا. لكن على العقل الاليكترونى أن يؤدى الدور الأكبر. فقد استغرق تصوير أحد المشاهد- الذى استغرق عرضه سبع ثوان- أربعين ساعة عمل فيها ستة تقنيين، وثمانية تشكيليين وعشرون مبرمجاً للعقل الاليكترونى "(١٩).

أما قصة الفيلم نفسه فهى من نوع الخيال العلمى حول الصراع الأزلى بين الخير والشر، فهناك ساحر يناضل ضد الآلة التى تمردت عليه بعد أن صنعها. هذا الساحر هو الإنسان. وهو فى هذا الفيلم يمثل الجانب الشرير. أما الجانب الطيب فهى الآلة التى تتمرد على صانعها. فقد ضاقت هذه الآلة بالأوامر الغبية التى يطلبها الإنسان كل يوم. ولأنها أكثر ذكاء منه، فإنها تعلن تمردها عليه وتغير من برامجها التى برمجها بها وتتحول إلى شئ مختلف.

فى نهاية حديثنا حول سينما الخيال العلمى يهمنا أن نؤكد أن كُتّاب النوع يجمعون على نقطة واحدة – على الأقل – وهى أن " هناك كارثة رهيبة تحيط بنا فى منعطف العقود الأخيرة من القرن العشرين. ولكن هل تكون تلك يوتوبيا متشائمة ورجعية؟ إن التفاؤل

---

(18) Francois Forestier, Le regne Des electrons, L' Express-17 Decembre 1982, P.9.

(19) Ibid.

الأعمى لم يسبق له أن أنقذ أحدا إذا ماحانت الساعة. والوسيلة الوحيدة لتفادى كارثة ما، هى أن تمعن التفكير فيها، وان تعمل على تفاديها. إذا كان ذلك يدخل فى إمكانيات البشرية. لقد كثر الحديث عام ١٩٥٠ عن خطر الحرب الذرية، وهو خطر لايزال يلوح فى الافق. وان كانت الاحداث قد تخطته وهو أشبه ما يكون بسيف ديموقليس لايزال معلقا فوق رؤوسنا، بينما نجد أن الخطر الاخر الطبيعى هو أشبه بسيف يسقط بقوة هائلة. والوسيلة الوحيدة لتجنبه هى فى الابتعاد عن مساره. ولكن الا يزال هناك مكان واحد لن يتعرض لبأسه؟

ديموقليس لايزال معلقا فوق رءوسنا، على حين نجد أن الخطر الآخر الطبيعى هو أشبه بسيف يسقط بقوة هائلة. والوسيلة الوحيدة لتجنبه هى فى الابتعاد عن مساره. ولكن ألا يزال هناك مكان واحد لن يتعرض لبأسه؟

" ويتفق علماء الاجتماع وعلماء البيئة على أن التهديدات التى تتجمع فى الأفق هى من الضخامة بحيث لايمكن لمبدأ القومية الذى عفا عليه الزمن أن ينتصر عليها بسبب ضيق أفق هذا المبدأ. ولكن ماهى هذه التهديدات؟ أولا هناك **"الانفجار السكانى"** فترى هل هناك سياسة لتنظيم المواليد؟ من الاستحالة تطبيق مثل هذه السياسة والحصول على نتائج فعالة، حتى لو أمكن الحصول على نجاح فورى فسنظل متخلفين عن حل المشكلة لعشرين عاما. تلوث البيئة؟ سوء استخدام الأراضى الزراعية؟ التبذير الذى يهدد العالم بمجاعة لم يعرف العلم مثيلا لها، بالإضافة إلى أننا سوف نعانى عن قريب من نقص فى مياه الشرب، ولن يكون أحد فى مأمن من الأوبئة التى ستنجم بالضرورة عن نقص الوسائل الصحية. وقد عبر المدير السابق لبرنامج الأمم المتحدة السيد موريس سترونج فى حديث له فى جريدة AURORE و L فى ٢٧ مارس ١٩٧٤ عن مخاوفه التى تتطابق تماما مع ماذكرناه آنفا عما سيكون عليه شكل الكارثة. يعتقد موريس سترونج أنها ستأتى فى صورة وباء ضخم. وقد وجدت الطبيعة دائما حلولا جذرية للمشاكل غير القابلة للحل.

" إن الوقت فات. والخيال العلمى التأملى كان بإمكانه أن يحذر ويضاعف من فرصتنا. وذلك بمساعدة السينما. وهو الفن الشعبى الواسع الانتشار. والسينمائيون وكتاب

لسيناريو والمنتجون هم على شاكلة جمهورهم ، جبناء وكسالى ، لايزالون يعيشون على مستوى القرون الوسطى بينما نحن قد تخطينا العصر الذى على المستوى التقنى. ولكنّ السينمائيين الذين يزعمون تمثيل الصفوة المفكرة لمجتمعنا يلهون لطمأنة ضمائرنا إذا أضافوا على النحل المجرد من الذكاء تأملات سياسية قومية ضيقة الأفق. بالرغم أن هذه الاهتمامات لم تعد على مستوى المخاطر التى تهددنا.

" وعلينا أن نفكر إذن فى إعادة توازن العدالة ومساواة الفرص ، والاخاء الوطنى. ولكن المجاعة أهلكت ستين مليون نسمة فى عام واحد تقريبا (أى عدد مماثل لقتلى الحرب العالمية الثانية) .. إننا نصاب بالقلق لمجرد مرض يصيب حلقنا على حين بدأ البركان الذى نعيش فوقه ينفجر بالفعل " [٢٠] .

(20) Roland La Corbe, **Le cinéma de la science fiction,** Ecran, **Juillet,** 1977, page 51.

المراجع

أولا : المراجع العربية :

برانيللى ، فنسنت : إدجار ألان بو. القصصي والشاعر. ترجمة عبد الحميد حمدى ، دار النشر للجامعات المصرية. القاهرة ١٩٦٢ .

براد بورى ، راى : من مسرح الخيال العلمى (٣) ترجمة وتقديم رؤوف وصفى من المسرح العالمى. الكويت. يناير ١٩٨٥ .

تشابك ، كارل : من مسرح الخيال العلمى . إنسان روسوم الآلى. ترجمة وتقديم د. طه محمود طه. من المسرح العالمى. الكويت. يناير ١٩٨٣ .

تكلا ، ميشيل : كائنات العوالم الأخرى ، كتاب الهلال ، دار الهلال ، القاهرة يوليو ١٩٧٥ .

الثقافة الأجنبية ، كتاب : أدب الخيال العلمى. دار الشئون الثقافية العامة. بغداد ١٩٨٦ .

الحديدى ، محمد : نماذج من الرواية العالمية ، كتاب الهلال ، دار الهلال ، القاهرة ١٩٧٥ .

راغب ، نبيل : موسوعة أدباء أمريكا. دار المعارف القاهرة ، ١٩٧٩ .

: الادب والعلم. دار المعارف. القاهرة. ١٩٨٢ .

رايس ، المر : الآلة الحاسبة . ترجمة وتقديم د. طه محمود طه . من المسرح العالمى ، الكويت ، يناير ١٩٨٤ .
: الآلة الحاسبة ، ترجمة عادل سليمان . روائع المسرح العالمى ، القاهرة ، سبتمبر ١٩٦٦ .

السمان ، غادة : مواطنة متلبسة بالقراءة ، منشورات غادة السمان ، بيروت ١٩٧٨ .

شريف ، نهاد : قاهر الزمن ، روايات الهلال . دار الهلال . القاهرة ١٩٧٢ :
: رقم ٤ يأمركم ، كتاب اليوم . أخبار اليوم . القاهرة ١٩٧٤ .
: سكان العالم الثانى ، مطبعة الأمانة ، القاهرة ، ١٩٧٧ .
: الماسات الزيتونية . دار المعارف . سلسلة اقرأ . القاهرة ١٩٧٩ .
: الذى تحدى الإعصار، دار المعارف ، القاهرة . ١٩٨٠ .
: أنا وكائنات الفضاء . كتاب اليوم ، أخبار اليوم ، القاهرة ١٩٨٣ .

صالح . عبد المحسن : التنبؤ العلمى ومستقبل الإنسان ، عالم المعرفة . الطبعة الثانية ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب . الكويت ١٩٨٤ .

طه ، طه محمود : القصة فى الأدب الإنجليزى . الدار العربية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٦ .

العامل ، عادل (ترجمة) : الأدب وقضايا العصر. دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨١ .

عوض ، رمسيس : جورج أورويل حياته وأعماله . الهيئة العامة للكتاب . القاهرة ١٩٨١ .

(أشـــراف) : ١٩٨٤ . ترجمة مجموعة من طلاب جامعة عين شمس . القاهرة ١٩٨٣ .

عيسى ، يوسف عز الدين : نريد الحياة . دار المعارف ، ١٩٨٦ .

: الرجل الذى باع رأسه . دار المعارف ١٩٨١ .

عنايات ، راجـى : مغامرة على كوكب الزهرة ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨٣ .

: محنة النجم الأسود ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨٤ .

: سفينة الفضاء الملعونة ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨٤ .

غانم ، فتحى : من أين؟ ، الكتاب الذهبي ، روز اليوسف ، القاهرة ١٩٦٦ .

فيرن ، جول : الرهان العجيب (حول العالم فى ٨٠ يوما) ، روايات الهلال القاهرة ١٩٦٠ .

٨٠ يوما حول العالم ، المكتبة الحديثة للطباعة والنشر. القاهرة ، ١٩٦٠ .

: من الأرض إلى القمر، مطبعة مأمون . القاهرة ، ١٩٨٥ .

: رسول القيصر (ميشيل ستروجوف) ترجمة

حلمى مراد . روايات الهلال . دار الهلال .
القاهرة ، ١٩٥١ .

قاسم ، محمود : الرواية اليهودية الحديثة فى الولايات المتحدة وفرنسا ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، ١٩٩٢ .

كامل ، عمر : ثقب فى قاع النهر: دار التوفيق النموذجية ، القاهرة ، ١٩٨٧ .

كرم ، انطونيوس : العرب أمام تحديات التكنولوجيا ، عالم المعرفة . العدد ٥٩ . المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، نوفمبر ١٩٨٢ .

كلارك ، آرثر : رمال المريخ ،ترجمة إمام إبراهيم أحمد . مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٧٧ .

الكومى ، زهير : العلم ومشكلات الإنسان المعاصر. عالم المعرفة . العدد رقم (٥) المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، مايو ١٩٧٨ .

محمود ، مصطفى : رجل تحت الصفر، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٢ .
: العنكبوت ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

محمود ، زكى نجيب : مدينة الأحلام ، كتب للجميع ، دار الشعب . القاهرة ١٩٥٦ .

المرجوشى ، جيهان شفيع : رؤية الإنسان فى بعض روايات الخيال العلمى فى الأدب الإنجليزى والأدب الأمريكى . رسالة

دكتوراه مقدمة إلى جامعة القاهرة. القاهرة يونيه، ١٩٧٧.

مسعود، محمود : مع الشوامخ فى أبراجهم، كتاب الهلال، دار الهلال، القاهرة، ديسمبر ١٩٨١.

معاطى، صلاح الدين : إنقذوا هذا الكوكب، المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة ١٩٨٦.

وصفى، رؤوف : غزاة من الفضاء. المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب. القاهرة ١٩٧٨.

وهبة، مجدى : معجم المصطلحات الأدبية، مكتبة لبنان، بيروت. ١٩٨٤.

ويلز، هربرت جورج : الرجل الخفى. ترجمة عزت السيد ابراهيم، روايات جديدة، القاهرة، ١٩٤٠.

: طعام الآلهة. ترجمة محمد بدران، دار الكاتب المصرى، القاهرة ١٩٤٧

: أول من وصل القمر؛ ترجمة ميشيل عبد الأحد، الألف كتاب، وزارة التربية والتعليم العالى، القاهرة، ١٩٧٩.

: مغامرة فوق القمر: روايات الهلال. دار الهلال، القاهرة ١٩٦١.

المراجـــــع

أهم المجلات التى تم الرجوع إليها وتواريخ صدورها :

– عالـم الفكر	: الكويت ، أبريل ١٩٧٩ .
	: الكويت ، أكتوبر ١٩٨٠
– فصـــول	: القاهرة ، يونيه ١٩٨١ .
– المجلـة	: لندن ، أغسطس ١٩٨٤ .
– الفيديو العربى	: لندن . يونيه ١٩٨٧
– الـفنـــون	: القاهـرة . العدد ٢٦ عام ١٩٨٥ .
– القاهـــرة	: القاهـرة . مايـو١٩٨٧ .
– الثقافة الأجنبيـة	: بغداد . ربيع ١٩٨٣ .
	: بغداد . شتاء ١٩٨٣ .
– هنا لنـدن	: لنـدن . مارس ١٩٨٤ .
– العربـــى	: الكويت أغسطس ١٩٧٦ .
– الجديـــد	: القاهـرة . ديسمبر ١٩٧٧ .

محتوى الكتاب

تم طبع هذا الكتاب

بمطبعة سياك SIEC ـ قصر السعيد

501 465

حسن أبو يوسف اللويشي

حسن أبو يوسف اللويشي

غلاف : محمد حجي